مؤلفات محمود كامل



٢

أرواح بين السحب

وقصص أخرى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

مؤلفات
محمود كامل



أرواح بين السحب

وقصص أخرى

د. محمود كامل



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٦

المحتويات

مقدمة

عندما نشر الدكتور محمود كامل كتابه « الرجال منافقون » ــ وكان قد بدأ يحول حوار قصصه من اللغة المصرية الدارجة الى العربية الفصحى ــ عقب الأديب الناقد حسن كامل الصيرفى على هذا الكتاب فى مجلة « المقتطف » بأن :

« محمود كامل من أقدر كتابنا القصصيين على تصوير المجتمع المصرى الجديد ، المجتمع الذى اختلطت فيه المدنية الحديثة ببقايا آثارنا التقليدية ، ومن أبرع المصورين لآثار الانقلاب الخلقى الذى ينشأ عن هذا الخلط العجيب والنتائج التى تترتب

عليه ، وقد حفلت مجموعات قصصه الكثيرة التى أصدرها بصور من هذا اللون » .

وقصة « الرجال منافقون » هى التى أصبحت ـ بعـد أن أعيدت كتابتها ـ تحمل اسم « أرواح بين السحب » التى صدر بها هذا الكتاب الذى بين يدى القارىء ، والذى اخترنا له من كتاب « أول يناير » لنفس المؤلف قصة « صوت زينب » ، كما اخترنا من كتابه « أنت وأنا » قصة « عطر قديم » ، ومن كتابه « المجنونة » قصتى «امرأة مرت» و «ذكرى الغرام» ومن كتـابه « الربيع الآثم » قصتى « خيبة دون جوان » و « منتظـرات »، ومن كتابه « عيون معصوبة » قصص « عيون معصوبة » و «امرأة القدر» و « امرأة أخرى » و «اللقاء الأخير» و «رعدة الذكرى» ومن كتابه «آبار فى الصحراء» قصص «غـرام ذات صيف» و « ستعود غدا » و « الجارية » ومن كتابه « الهاربون من الماضى » قصص « سامى وسميرة » و « وحى رخيص » و «العودة الى سيدى بشر » .

ولما وضع عبد العزيز عبد المجيد رسالته بالانجليزية لنيل الدكتوراه من جامعة مانشستر عن « القصـة العـربية القصيرة الحديثة » أشار فيها الى مسابقة عن القصة كانت قد نظمتها مجلة « الهلال » عام ١٩٣٤ ، وعقب على نتيجة تلك المسابقة بأن أركان القصة الفنية وهى الوحدة والتكامل ، والتناسب ، والتوقيت اذا

قورنت بالقصص التى نشرتها « الهلال » لتيمور ولاشين وابراهيم المازنى ومحمود كامل لتبين أنها أكثر انطباقا عليها من انطباقها على القصتين الفائزتين ، وقارن فى موضع آخر بين قصة المؤلف « الشك الهائل » التى نشرت فى كتابه « التمردون » وقصة « موباسان » فى رسائل « كلمات حب » .

المؤلف فى تاريخ الأدب المصرى الحديث
الأب الشرعى للقصص الصحفية

ولما بدأت السياسة التربوية تتجه الى دراسة الأدب المصرى الحديث بطريقة علمية تردد اسم المؤلف فى الكتب التى عالجت هذه الدراسة فأشار محمود حامد شوكت فى كتابه « الفن القصصى فى الأدب المصرى الحديث : بحث تاريخى تحليــلى مقارن » عام ١٩٥٦ الى المؤلف على أنه :

« متأثر بالقصة الفرنسية ، ولا سيما بموضوع الحب العنيف والتحليل العاطفى للخيانة الزوجية والكاتب ينحو نحو البســاطة فى العرض الفنى ، وتتسم الفكرة بوضوحها .. »

وذهب نعمان عاشور فى مقــدمة مجمــــوعته القصصية « حواديت عم فرج » فى نفس العام أى ١٩٥٦ وهو يستعرض تطور القصة المصرية الى أن :

« محمود كامل هو صاحب هذه المجموعات المتضاعفة من

القصص ، ورأس مدرسة ذات طابع معين ، هى المدرسة التى تتلمذ فيها معظم كتاب القصة الصحفية القصيرة الراهنة .

ولهذا كان محمود كامل المحامى هو بحق الأب الشرعى لكل ما يكتب اليوم من قصص صحفية » .

وقد اندمج اسم مجلة « الجامعة » التى كان يصدرها المؤلف والتى كان ينشر فيها قصصه ، كما اندمج اسمه حتى فى حوار القصص التى نشرها فى الأعوام الأخيرة القصصيون المحدثون .

كما فعل عبد الرحمن الشرقاوى فى حوار قصته « الشوارع الخلفية » التى أصدرها فى عام ١٩٥٨ اذ أجرى على ألسنة شخصياتها الحوار الآتى :

« ان قراءة قصة محمود كامل بعد غداء كل خميس هى أحد مراسم الخميس التى لا تتغير أبدا ..

أليست هذه التى تقف أمامك الآن .. هى نفس بطلة قصة محمود كامل الأخيرة .. ؟

بطلة قصة محمود كامل طويلة . سمراء . مكحولة العينين . فى نهديها كبرياء وشموخ . وبعينيها حزن جليل .

آه يا أبى .. لو كنت تقرأ قصص محمود كامل .. »

واستقر لدى القصصيين المحدثين أن القصة القصيرة بدأت بالمؤلف والرواد الأوائل الذين عملوا على خلقها فى هذا الجيل .

فذهب يوسف السباعى الى أنها بدأت بالمؤلف وطاهر لاشين وادوارد عبده سعد .

وذهب الناقد الأدبى لمجلة « روز اليوسف » الى « أن الذى فتح باب الغرب هو كتب وزيارات وغراميات توفيق الحكيم وطه حسين وكتابات محمود كامل وكلمات الصاوى » .

ورأى محمود تيمور أن المؤلف هو الأديب الذى نسى نفسه ولم ينسه قراؤه المعجبون به .

« لوحات وظلال » :

لوحات تقترب من فن الرسم ، شخصية المؤلف تقف من وراء جميع الجزئيات .

ولما أعاد محمود كامل كتابة بعض قصصه ونشرها فى أول عام ١٩٦٠ بعنوان « لوحات وظلال » أشار محمد عبد الغنى حسن الي أنه :

« والحق أن محمود كامل قد نجح فى رسم مجتمعنا المصرى الى حد كبير . فهو مجتمع صادف فترة من التطور السريع الفعال السائر بخطى فساح ، وكان لابد من قلم مثل قلم محمود كامل وفن مثل فنه ، ليصور لنا هذا المجتمع المتطور الى أبعد الحدود ، من تزمت وقيود ، الى تحرر وانطلاق بلا حدود .

ومن الوفاء لمحمود كامل الا تمر قصة من قصصه ، أو كتاب من كتبه دون تحية ولو عابرة .. فان الرواد لا ينسى أبدا ذكرهم

ولو غطت الأضواء زوايا أخرى فى الميدان ، فان الضوء الـذى أرسله محمود كامل على القصة العربية الحديثة والأقصوصة سيظل دائما مذكورا فى تاريخ الأدب العربى الحديث •

ولقى محمود كامل من المعجبين وغير المعجبين مالا يضيق به الفنان الأصيل ، فقد نصبه بعض النقاد أستاذا للقصـــة المصرية الحديثة ، وهو بذلك لم يمل به ميل ولا هوى ، فان أسـتاذيته غير منكورة ، وهى تتضح من تلك المقدمة التحليلية التى صـدر بها كتابه هذا » •

وأضاف أحمد عباس صالح ان محمود كامل :

« كان ألمع كتاب القصة •• لم تخل صحيفة أو مجلة من عمل له أو حديث عنه ، كتب للمسرح ورأس تحرير «اللطائف المصورة» و « الجامعة » و « الـ ٢٠ قصة » وكتب ٣٠٠ قصة قصـيرة صدرت فى عدة كتب وقدمت السينما احدى قصصه الطويلة فى فجر حياتها وقدم له يوسف وهبى وفاطمة رشدى مسرحيات بقلمه وترجمت بعض قصصه الى اللغات الأجنبية ••

وكثيرون من دارسى الأدب يقولون ان محمود كامل هو الاب الشرعى للون معـــين من القصص يمثله الآن يوسف السباعى واحسان عبد القدوس واسماعيل الحبروك وابراهيم الوردانى وأمين يوسف غراب »

وقرر عنه عبد الحميد يونس الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القـــاهرة :

« وفى هذه المجموعة الأخيرة « لوحات وظلال » ضربان من القصص : أولهما • صور واقعية برئت أو كادت م نالاتجـــاه الرومانسى الذى غلب على القصة المصرية فى الجيل الماضى ، والذى لا تزال آثار منه تطل برأسها فى انتاج هذا الجيل ، وهــــذه اللوحات تقترب من فن الرسم ، وتختلف عنه باختلاف الريشة عن القلم ، كما أن اطارها أوسع ، ومهاد الصوزة فيها أرحب ، وتدخلها الحركة ، وتستعين باللون الظاهر والتخطيط المحـــدد للملامح والقسمات ، وهى تستوحى هدفا اجتماعيا لا تعبر عنـــه تعبيرا مباشرا ، وانما تكتفى بما تسجله الخطوط والألوان وترتيب العناصر ، واقتراب بعض هذه العناصر من بؤرة الصورة أو بعدها عنهـــا ••

أما الضرب الآخر من القصص ، فيتدخل المؤلف فيه من ناحية الانتخاب ، ومن طريقة العرض ، ومن التعديل الذى يستحدثه فى السياق والشخصية والحادثة ، وفى الحوار الذى يجريه على ألسنة شخوصه • وهذا النوع يحس القـــارىء فيه الهدف الاجتماعى احساسا واضحا ، ويدرك أن شخصية المؤلف تقف من وراء جميع الجزئيات • »

وقد قرر المستشرق الألمانى أوتوشبيس عميد معهد الدراسات الشرقية فى جامعة « بون » فى صدد نقد قصص المؤلف :

« ان محمود كامل أحد أعلام الأدب العربى فى مصر الذائعى الصيت ، وهو أستاذ القصة القصيرة التى أدخلها فى الأدب المصرى الذى أرسى قواعده محمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم وعلى الأخص محمود تيمور . ولعل فن القصة عند محمود كامل متأثر بالأدب الفرنسى ولكنه يتميز بالتوفر على تصوير حياة ومشكلات الشعب المصرى ، والحب فى الأوساط الاجتماعية المتوسطة هو الموضوع المفضل عند محمود كامل ، وكل هذه القصص قد صيغت فى أسلوب شائق وقد خلا هذا الأسلوب من التعبيرات المفتعلة ، فمحمود كامل يجيد فن كتابة القصة وتقديم شخصياتها فى قالب يعلق الانفاس ، وهو ــ دون أن يستخدم تعبيرات ضخمة ــ يرسم الخلجات النفسية وتطورات شخصيات قصصه ويحلل هذه الشخصيات ويكشف عن نواحيها الخلقية بطريقة يبدو منها توا أنه ــ كمحام ــ قادر على الخوض فى روح الموكل الذى عهد اليه بقضيته » .

وعقب المستشرق الايطالى مارتينو ماريو مورينو فى مجلة « الشرق » التى يصدرها « مركز العلاقات الايطالية العربية » بروما ، فذكر أن المؤلف قد أشار اليه عبد العزيز عبد المجيد فى كتابه « القصة العربية القصيرة الحديثة » ــ وهو الذى

سبقت الاشارة اليه ــ وأن المؤلف قد ذاعت شهرته فى مصر حيث لقب باسم « موباسان وادى النيل » وأنه قـــد عرف أيضا فى الأوساط الأدبية حيث ترجمت بعض كتبه الى الفرنسية والانجليزية ثم أشار الى تقدير النقد الأدبى لقصة « حياة الظلام » والى ترجمتها الفرنسية ، وختم نقده بأن قصص محمود كامل « ذات طابع مصرى أصيل وقد صيغت فى أسلوب رشيق أنيق واضح يغرى على قراءتها » •

أرواح بين السحب : المؤلف ، رائد القصة القصيرة ، فنان سبق عصره •

ولما صدرت الطبعة الأولى من كتاب «أرواح بين السحب» فى عام ١٩٦٢ كتب الناقد الأستاذ أحمد رجب فى مجلة «المصور»:

« اكتشفت أن محمود كامل لا يزال العملاق الضخم فى فن القصة ، فقصصه القديمة فى كتابه الجديد لا تنفصل فى بنـــائها الفنى عن الزمن الذى نعايشه ، فهى تحمل فى بنائها الفنى ــ منذ سنين طويلة ــ بذرة التطور ، لأن كل عمل فنى سابق لعصره يحمل دائما أسباب وجوده كعمل فنى متألق فى الزمن الذى يليه، ومحمود كامل ــ رائد فن القصة القصيرة ــ فنان سبق عصره ، وكتابه الجديد ــ ذو القصص القديمة ــ هو فى الواقع بطـــاقة شخصية لأستاذ فن القصة ، يجـــددها فى سنة ١٩٦٢ ليــؤكد أستاذيته المستمرة •• وآتى الى آخر الكتاب وأنا حزين ، فـــان

محمود كامل قد هجر القصة ، ربما لأنه تربع طويلا فوق قمة المجد الى حد الشبع والتخمة ، ربما لأنه زاهد ، ربما لأنه مشغول باهتمامات جديدة ، ربما لانه ليس فى حاجة الى كتابة القصة .. ولكن القصة فى حاجة الى فنه . »

وقرر الأستاذ الدكتور عبد الحميد يونس :

« لا نستغرب أن نجد الأستاذ محمود كامل يفيد من الموهبة المسرحية فى كتابة القصة .. يفيد منها فى ادارة الحوار الذى نجده محور أكثر قصصه ، فلا يجد مجالا للسرد أو الوصف ، ومن خلال المشهد الواحد يتبين القارىء آفاقا أوسع فى الزمان وفى المكان وفى التجربة . والواقع أن القصة القصيرة مثل المسرحية ذات الفصل الواحد من أصعب الفنون الأدبية ، ويخطىء من يتصورها يسيرة بسيطة ، فان اطارها المحدود يتطلب قدرة على التركيز من ناحية ، وعلى الربط بين السياق المقيد فى اطار معين ، وبين ماكان قبل ذلك من أحداث وعلاقات من ناحية أخرى . وليس من شك فى أن مؤلفنا قد أفاد من تجربة الكتابة للمسرح افادته من ممارسة القصة القصيرة دهرا طويلا .

واذا كان الاتجاه الرومانسى قد جاء تمردا على الكلاسية الجديدة التى حمل لواءها فى الشعر شوقى وزملاؤه ، وحمل لواءها فى النثر المويلحى فى حديث عيسى بن هشام ، فان الواقعية امتداد لهذا الاتجاه الرومانسى ... وليس القصاص واعظا

أخلاقيا ، ولا مشرعا اجتماعيا ، ولكن مثله لا بد أن تظهر فى السياق وفى النهاية معا ، ولكل أديب كلمة يقولها ، ورأى يعرضه والقصاص يقول كلمته ويعرض رأيه بطريق غير مباشر • »

وفى تحقيق صحفى نشرته مجلة « الاذاعة والتليفزيون » فى عام ١٩٧٤ للناقد والقصصى عبد المنعم صبحى :

« كان د • محمود كامل المحامى أشبه بكتاب المدرسة الواقعية الذين تغلف أعمالهم النزعة الرومانسية •• وذلك من حيث معاناته لتناقضات ومفارقات مجتمع الطبقة الوسطى ، خاصة بعد ظروف الغلق الفكرى الذى صاحب الثلاثينات • وقد كانت المرحلة الاجتماعية تملى ضرورة ظهور وذيوع هذا الفن المستحدث ليكون قنطرة أساسية للتعبير الابداعى والفنى عن الانسان المصرى • فقد كان الاحساس برواج قيم جديدة فى الحب والحياة فى حاجة الى وعاء ابداعى يحملها الى وجدان الجماهير • ولم يكن هذا ممكنا وميسرا الا عن طريق القصة القصيرة •• وكانت من قبل قصص محمد تيمور ومحمود تيمور وطاهر لاشين قد مهدت السبيل • لكن قصص محمود كامل كانت تتسم بالتقدم من حيث الوعى الاجتماعى • ومن حيث التكامل الفنى للقالب والشكل والأسلوب « التكنيكى » ، ولم يكن د • محمود كامل يعطى هذا الفن المستحدث عن طريق القالب التقليدى المدرسى المحض بالقدر الذى كان يسعى فيه الى الصدق الفنى • وقد انعكس هذا الصدق

على المضمون الاجتماعى والمحتوى الجمالى لقصصه مثلما انعكس في اختيار القوالب الفنية للاشكال الابداعية » •

وفى دراسة نقدية للناقد علاء الدين وحيد فى مجلة «الثقافة» عام ١٩٧٤ بعنوان « الرائد القصصى : محمود كامل » :

« القارىء ازاء أسلوب محمود كامل لا يملك الا الاعتراف سواء استساغ هذا الأسلوب أو لم يستسغ بقدرة صاحبه على النفاذ الى ما يريد بشكل سهل بسيط •• ولهذا يمكن أن يبدو أسلوب رائدنا ، مباشرا ينطلق نحو هدفه كالخط المستقيم، لا يكاد يعبأ بالأسلوب الجمالى الذى يجعل الأدب أدبا فى مفهوم البعض، ولكن هذا الانطباع الأول لا يلبث أن يكشف بمداومة تذوق هذا الأسلوب ، عن شىء أو أشياء أخرى ، كانت من الأسباب التى مكنت لقصة محمود كامل من الاستئثار باهتمامات القراء العرب والمصريين سنوات طويلة ، وهى أولا : انسيابية أسلوبه التى لا تتردد فى أن تقتحم على المتلقى دنياه • كأنها تدرك جيدا أنها لن تحدثه بلغة لن يفهمها أو يصيب فى تذوقها عسرا • ولذلك سواء بدأت الحديث، أو استمرت فيه، أو أنهته، فهى قريبة منه•»

وعندما صدر الجزء الأول من هذه السلسلة : « حياة الظلام وقصص أخرى » قرر الناقد الأدبى الأستاذ كمال النجمى فى مجلة « المصور » :

«ان محمود كامل وقد خدم القصة خمسين سنة ، قد بلغ في الأدب المصرى منزلة الرائد ذى المكانة التى تفرض على نقاد الأدب وأهل الأدب وقراء الأدب جميعا أن ينظروا فى انتاج هذا الأديب المصرى نظرة التأمل . والتفكير . والتكريم .. وكاتبنا الدكتور محمود كامل من أشهر كتاب القصة في الخمسين عاما الأخيرة . وكان في بعض مراحل تطور القصة العصرية يشار اليه بكل بنان .. وأن اسمه ما زال بحمد الله يرن رنينه ، وحسبه الى ذلك هذا الفيض من كتابات عشرات السنين ، وأنه لعمل طيب حقا أن تبدأ هذه الكتابات فى الخروج الى الناس فى مؤلفات كاملة . باكورتها « حياة الظلام » .

أرواح بين السحب

ارواح بين السحب

* كان أبوها المرحوم يشغل احدى وظائف الادارة الكبرى في الأرياف ، وكانت هي بحكم ذلك تنتقل معه في عواصم المحافظات والمديريات التي كان يؤدي فيها عمله الحكومي ، وتعيش وفق الظروف الاجتماعية التي كانت تحيط بابنة وكيل المديرية أو المدير منذ خمسة وعشرين عاما أيام كانت هيبة الحكومة تتركز في حاكم المديرية .. كانت تسليتها الوحيدة أن تخرج مع والدتها في يوم معين من أيام الأسبوع لرد الزيارة لزوجات القضاة ووكلاء النيابة وبعض كبار موظفي المديرية ، وكانت «عربة المدير»

يجرها جوادان تقلهما من « بيت المدير » الى حيث تريدان وقد جلس « شاويش المديرية » بجانب السائق فاذا وصلتا المنزل المرغوب زيارته أسرع فهبط يفتح الباب لتتقدمها والدتها وتتبعها هي حاثة الخطى الى داخل المنزل ؛ ثم يجلس الشاويش على « الدكة » بجانب بواب المنزل أو خادمه حتى تنتهي الزيارة فتعودان بنفس النظام ٠

لم تكن تعرف شيئا عن الحياة خارج « بيت المدير » الكبير ذي الحديقة الواسعة المطلة على الترعة أو على فرع رئيسى من فروع النيل ، بل بل لم يكن مستطاعا أن تعرف شيئا لأن صوت حوافر الجوادين اللذين كانا يجران العربة كان معروفا لدى أهل المدينة ، لا تكاد الحوافر يرتفع دبيبها حتى تتطلع الأنظار الى من فيها فاذا وقعت على والدتها وهى الى جانبها فهم الجميع توا ان « امرأة المدير » خارجة لترد الزيارات ، وكان المفروض دائما أن تطرق « هى » الى الأرض فلا تلتفت الى أى جانب حتى لا تشجع تلك النظرات النهمة التى كانت تصوب الى من بداخل العربة ٠

وهناك تسلية أخرى لا تزال تذكرها ٠٠ هى تلك الفرقة المكونة من أطفال ملجأ الايتام التابع للمجلس البلدى التى كانت تحضر الى « كشك » حديقة منزل المدير ثلاث أو أربع مرات فى كل أسبوع لكى تعزف وتوقظ والدها من نومه فى الصباح ، كانت

تنتظر تلك الفرقة بفارغ الصبر لأنها كانت الشيء الوحيد الذى يخرجها من نطاق حياتها اليومية المتشابهة المملة ، ولكنها مع ذلك لم يكن مسموحا لها أن تهبط الى الحديقة لكى تتبين وجوه أفراد تلك الفرقة ، اذ أنها لما طلبت ذلك ذات مرة بعد أن سمعت صوت الناى وراقها عزفه الحنون أجابتها والدتها وهى تحبس عبوسا خفيفا :

ـ .. أتريدين أن تذيع « البلد » أن ابنة المدير تجالس « بتوع المزيكة » ؟

فلما عقبت

ـ ولكنهم أطفال ـ أجابتها وهى تغالب نغمة ساخرة :

ـ لا . ان بينهم شابا فى العشرين .. كيف تجرئين على النزول والجلوس معه ؟

منذ تلك اللحظة قنعت بالجلوس فى غرفتها التى كانت فروع من « تكعيبة » الكرم تتعانق أمام نوافذها تستمع من بعيد الى الموسيقى كلما عزفت فى الحديقة لان بين أفرادها شابا لم يكن من اللائق أن تجالسه أو تتحدث اليه !

ـ ٢ ـ

ولكن تلك الحياة تغيرت منذ عشرة أعوام .. توفيت والدتها .. وكانت « هى » قد أتمت دراستها الثانوية فرأى والدها أن تنتقل الى القاهرة لتقيم بمنزل خالتها وتتم تعليمها .

وأحست علية فجأة أن القيود التى كانت تحيط بها فى «بيت المدير» قد تفككت .. أصبحت تستطيع أن تخرج من بيت خالتها أنجة لزيارة بنات صديقاتها كما أصبح لها الحق فى أن تجلس مع فتيات الأسر التى كانت تتزاور معهن يتحدثن عن قصص السينما ويبدين بعض تعليقات صريحة عن كلارك جيبل أو تايرون باور .

أى تغيير ..

وأخذ خيالها يختزن تلك الألوان الجديدة التى طرأت على حياتها .. كانت تجلس أحيانا فى شرفة منزل خالتها تنظر الى السيارات الصاعدة فى طريق الهرم بعد غروب الشمس وقد جلس خلف عجلة القيادة شاب التصقت به شابة تلتهمه بنظراتها .. شفاهما تنفرج عن حديث هادىء كسير السيارة ، لم تكن تسمع منه شيئا ولكنها لم تكن تجد كبير عناء فى أن تتبين أنه حديث بين عاشقين .. أحيانا تعمد الجالسة المجهولة فى السيارة المارة من بعيد الى اشعال سيجارة تضطرب بين شفتيها ثم تقدمها الى الجالس بجانبها فى حركة رشيقة ، وأحيانا تمد يدا تنسق بها شعر رأسه الذى عبث به هواء الطريق .. وكانت علية فى بادىء الأمر تحاول اكتشاف « شاويش المديرية » فى مكان ما بتلك السيارات خلفها أو أمامها ولكنها فى كل مرة لم تجد الا هما .. لا ثالث لهما .. اثنين يمران من أمام حديقة المنزل ثم يبتعدان فى هدوء .. وكانت أحيانا أخرى تسائل نفسها

« كيف سمح أهل هذه الفتاة لها بالخروج مع شاب فى مقتبل العمر ؟ » ولكنها لم تكن تحظى بجواب تطمئن اليه ولو أنه كان يخيل اليها أن كل أولئك الفتيات اللاتى تختفى أجسامهن داخل السيارات المارة ولا تبدو الا رءوسهن سعيدات لأن الابتسامة لم تكن تفارق ثغورهن وهن يعبرن شارع الهرم من أمامها .

الى أن رأته ..

كانت ليلة من ليالى الشتاء ، وكانت فى زيارة مع خالتها أنجة لمنزل عبد الحميد راشد أحد كبار رجال القضاء المحالين الى المعاش، ولصاحب المنزل ابنة فى سنها كانت قد نشأت بينهما أواصر صداقة خاصة بعد أن كثر تردد خالتها على أسرة عبد الحميد راشد .

ولاحظت علية فى تلك الليلة أن سميرة ابنة عبد الحميد راشد قد أكثرت من الكلام عن شقيقها أحمد وكانت كلما حاولت أن تنقل الحديث الى موضوع آخر أعادته سميرة الى «أبيه أحمد» كما اعتادت أن تدعوه ، فلما يئست من اثارة اهتمامها أدنت مقعدها منها ثم أمسكت باحدى يديها وشخصت طويلا الى عينيها وقالت فى صوت هامس لم يخل من رجفة .

ــ انه لا يخفى سعادته كلما سمع حديثا عنك . أو اشارة اليك . وأنت ياعلية تتهربين من كل حديث عنه، كم أنت قاسية ..

ــ فالتفتت اليها مذعورة ثم سألتها :

ــ ماذا تقولين ؟ انني لم أره بعد ولا أعرف شكله •

فربتت على ظهرها كأنها تدلل طفلة صغيرة ثم قالت لها وهي تضحك :

ــ لقد رآك هو وأحبك ، منذ وقع بصره عليك وهو لايتعب من تكرار : أين علية ؟ متى تحضر ؟ متى تذهبين لزيارة علية ؟ ألم تتحدث علية في التليفون ؟ لم لا تسألين عن علية ؟ •• حتى أرهق أذني ، لم أسمع من قبل عن حب مثل حب « أبيه » أحمد لك •

وعادت علية تسألها في سذاجة وهي تفتح فمها كبلهاء :

ــ ولم يفعل ذلك ؟

ــ اسأليه •• بلغ من جنونه أنه طلب من وزارة الصحة الغاء نقله الى أسيوط مع أن المركز الذي عين مفتشا لصحته يدر أرباحا طائلة على أطبائه وأنت تعلمين أن أحمد من أنبغ زملائه •• كان ثاني « الدبلوم » وقضى مدة في « القصر العيني » ثم عين في أسيوط وقدم الكثيرون لتهنئته وبدأ يستعد للسفر واشتركت أنا في اعداد حقائبه •• وفجأة عاد ظهر ذات يوم وأخبرنا أنه طلب من الوزارة الغاء النقل •• مجنون ! ــ فأطرقت علية الى الأرض ثم سألتها :

ــ لم ؟

ــ لانه ليس من الحكمة أن يقدم على هذه التضحيات كلها

قبل أن يعرف .. ـ وتظاهرت بالتردد ـ أن يعرف رأيك ـ سألتها :

ـ وماذا أفعل ؟

ـ لا أعرف ماذا يجب أن تفعله فتاة فى مثل سننا . اذا وجدت شابا متعلما من أسرة طيبة يشغل مركزا محترما يهتم بها هذا الاهتمام العجيب .. أنا لا أخفى عنك ياعلية انك لست أول فتاة وقع بصر «أبيه» أحمد عليها . لقد رأ ىعددا من صديقاتى كما أنه يشاهد كل يوم فى عيادته أشكالا وألوانا . وهو شاب أنيــق . وايراده كبير . لا أذكر ان أبى بخل عليه مرة بأى مبلغ طلبه منه . ومع ذلك فانه ظل مستقيما استقامة تثير الدهشة . من البيت للقصر العينى . ومن القصر العينى للعيادة . ثم للبيت . وبعد الظهر يذهب الى العيادة ثم يقضى ساعة أو ساعتين مع بعض زملائه الأطباء فى أحد النوادى ولا تأزف الساعة التاسـعة حتى يكون فى البيت . لا يمكن أن يسهر خارج البيت الا معى اذا ألححت عليه فى أن يصحبنى الى السينما . أين يمكن أن تعثر الفتــاة على رجــل من هذا النــوع فى هــذه الأيام ؟! اننى أسمع من صديقاتى أمورا يشيب لها الشعر .. شبان لا يتــورع الواحد منهم عن أن يدعو صديقته الى نزهة فى ســيارته الى الهرم . ويؤكد لها أنه يحبها ويعبدها . وان قلبه لم يخفق من قبل بحب غيرها . ولا يمكن أن يخفق بحب أخرى . فاذا أوصلها

الى منزلها أسرع ليقابل راقصة كانت الى عهد قريب تتخذ مكانها المنزوى على « دكة المخدم » فى احدى أزقة « البغالة » ، راقصة « مفعوصة » يشيع الوشم الأخضر فى وجهها ويديها وساقيها .

وسكتت سميرة قليلا وشخصت الى عينى علية . فلما اطمأنت الى أنها كانت تتبع حديثها باهتمام استمرت قائلة :

ــ لقد قصت على منيرة ابنة على قدرى حكاية غريبة .. عرفت فى الصيف الماضى بالاسكندرية شابا يشغل منصبا فى السلك السياسى كان يقضى أجازته فى مصر اذ ذاك . ولو سمعت الكلمات التى كان يسكبها فى أذنها لقلت ــ كما قلت أنا ــ انه شاعر وان منيرة هى وحيه .. وروحه . وانه لا يقوى على الابتعاد عنها ساعة واحدة . حكت لى أنه دعاها ذات مرة لنزهة فى طريق أبى قير . وانتحى بسيارته ناحية منعزلة ومرت بهما سيارات أخرى عديدة وهو صامت لا يتكلم ثم أدنى عينيه وقد لمعت فيهما الدموع من عينيها وتمتم « أتظنين يا ريرى أن هؤلاء الشبان يحبون الفتيات الملتصقات بهم كما أحبك أنا . أقسم لك أن قلبى يخفق بحبك حبا لا تعرفه قلوب الرجال أجمعين . أترين ؟ أترين انهم يعدون بسياراتهم يضحكون . ويمرحون ويتبادلون القبلات . أما أنا فاننى لما أراك الى جانبى أقنع القناعة كلها فلا أحس برغبة فى أن أتحدث . أو أن أمد يدى لأضعها فى

يدك وأضغط عليها . أو أن ألف ذراعى لأطوق به عنقك . لقد شبعت من ذلك مع فتيات أخريات قبلك فى أوروبا . فتيات من نوع آخر خلقن لهذه « المرمطة » واعتدن عليها .. أما أنت .. لست أدرى ما هذا الشعور الجديد الذى استحوذ على .. ــ فلما سألته ــ وما هذا الشعور ؟ ــ أجابها ــ أحب أن أنظر الى عينيك وأحلم . أحلم بمستقبلى ومستقبلك . مستقبلنا معا . لم يخطر لى قط أن تصادفنى فتاة تتحكم فى كيانى هذا التحكم . كنت أطارد فكرة الزواج دائما كما أطارد هرة متوحشة تتحرش بى وتحاول نشب أظافرها فى جلدى . طالما كتب لى أهلى وأنا فى أوروبا يعرضون على أسماء العرائس وطالما قدمت الى فتيات أوروبيات وأمريكيات من أسر طيبة، ثرية . ومع ذلك كانت الهرة المتوحشة تنفرنى .. الى .. الى أن رأيتك . ماذا فعلت بى يا ريرى ؟ »

وهزت سميرة رأسها هزات بطيئة متقطعة ثم مدت يدها وضغطت على يد علية بشدة واستمرت قائلة :

ــ أتعرفين ماذا فعل ذلك الرجل الذى تفوه بكل هذه الكلمات ؟

فتمتمت علية فى خوف، :

ــ ماذا فعل ؟

ـ لما عادت منيرة الى القاهرة بعد انتهاء الصيف بحثت عنه فلم تجده وعلمت أنه سافر الى أوروبا بعد انتهاء أجازته •• ظلت المسكينة تنتظر كلمة منه • طال انتظارها شهورا • وكانت قد أفضت بخبر خطبتها له الى بعض قريباتها وصديقاتها فلم تعد تدرى بم تجيب على أسئلتهن • ولذا احتجبت ولم تعد تبدو فى حفلات الليالى « الأولى » لبرامج دور السينما الكبرى كعادتها لتتفادى النظرات المستفسرة • والبسمات الحائرة الموجهة اليها من المقاصير الأخرى • وأخيرا •• آه •• أخيرا قرأت فى احدى المجلات أن وزارة الخارجية استدعته لأنه لما كان فى أثينا قبل ذلك بعامين عاشر احدى العاملات ثم انتقل الى جهة أخرى دون أن تعلم وغدر بها بعد أن رزق بطفل ••

وشهقت علية شهقة حادة طويلة • سادت بعدها فترة صمت رهيب • ثم قالت سميرة :

ـ لو بحثت عشر سنوات فى كل مكان • لما عثرت على شاب من طراز « أبيه أحمد » •

ولما انتهت سميرة من حديثها تداعت فى خيال علية ذكريات جلساتها الطويلة فى شرفة منزل خالتها تنظر الى السيارات الزاحفة فى بطء الى سفح الهرم كأنها أشباح غامضة فى قصة حب •

وارتجف جسدها •• ان أحمد راشد شاب كغيره من

أولئك الشبان الذين طالما مروا من أمامها والى جانب كل منهم فتاة غارقة فى جوف السيارة كيلا يبدو وجهها لأحد من المارة قد يشى الى أهلهــا بخبر خروجهــا مع رجل غريب عن أسرتها الى تلك النزهة الخلوية المريبة ، وتذكرت علية انها كثيرا ما ساءلت نفسها وهى تطيل النظر الى احدى تلك السيارات المختفية فى ظلام الطريق : أين ذهب رشد هذه الفتاة ؟ الا تدرى يا ترى أن هذا الشاب الذى الى جانبها قد خرج فى الليلة السابقة مع فتاة غيرها فى نفس هذه السيارة واجتاز معها نفس هذا الطريق وقال لها نفس الكلمات التى يقولها الآن أم انها تدرى ولكنها تخدع نفسها ؟ .. ثم تشتد بها الدهشة من قبول فتاة تحس بكرامتها ان تقبل الجلوس فى نفس المكان الذى سبق ان جلست فيه من قبلها فتاة أخرى ، والى وضع يدها فى يد طالما داعبت غيرها ، وتسليم شفتيها الى فم لم يشمئز من تقبيل عشرات سابقات . !

وأحيانا كانت تقف حيرى أمام ســؤال آخر طالما هاجمها فى قسوة أليمة « كيف تقوى هذه الفتاة على اخفاء هذه المغامرات عن زوجها فى المستقبل ؟ انها لابد تعــرف أن هــذه النزهــات المختلسة . فى سيارة تعدو تحت ظلام الليل كأنها تحمل معالم جريمة منكرة لا تمهد لزواج أكيد مســتقر . ان الرجل الذى سيهبها اسمه يعرف أن الطريق لذلك هو التقدم بخطى ثابتة الى باب منزل أهلها وطلب يدها . ومادامت ستتزوج برجل آخر فبأى

وجه ستقابل هذا الزوج ؟ بأى ضمير ستحمل اسمه أمام الناس ومن بينهم هذا الشاب الذى الى جانبها الليلة .. »

كانت فى كل مرة لا تصل الى جواب تطمئن اليه .. كانت دائما تذكر « شاويش المديرية » بالخير وتلعن نفسها لأنها خيل اليها أحيانا ان تسخط عليه وعلى جلسته التقليدية العسكرية بشاربيه المفتولين كسوطين الى جانب حوذى (عربة المدير) ولكن ..

ولكن سميرة أكدت لها أن شقيقها أحمد ليس كغيره ..

وعادت كلماتها الأخيرة ترن فى أذنها ..

« لو بحثت عشر سنوات فى كل مكان . لما عثرت على شاب من طراز أحمد » .

وكانت اذ ذاك تتقدم مسرعة الى الثامنة عشرة من عمرها .. وخطر لها لحظتئذ خاطر بدا غريبا أمامها لأول وهلة لأنه لم يسبق أن خطر لها من قبل حتى كادت تنكر نفسها .

خطر لها أنها لابد أن تنتهى قبل انقضاء وقت طويل الى اختيار الرجل الذى ستحمل اسمه . وتشاركه الحياة . وتعطيه كل ما يمكنها اعطاؤه .

واحمر وجهها فجأة ولحظت سميرة ذلك لأنها أدنت رأسها منها وسألتها :

ـ مالك سكت ؟ ـ فتمتمت •

ـ ماذا تريدين أن أقول ••

ـ انه يعرف انك قادمة لزيارتي اليوم • لا يجب أن تطرقي أمامه الى الأرض اطراقك الآن •

ولم تكد تنقضي بضع دقائق حتى أقبل أحمد •• شاب في الخامسة والعشرين من عمره • قامة رائعة تغرى باطالة النظر الصامت اليه في شبه هيبة • قسمات توحي توا بفكرة ما عن رجولة • وعينان واسعتان تنمان عن ارهاق في عمل زاخر بالمسئولية •

كانت تعرف أنه طبيب • ولكنها لما وقع بصرها عليه شعرت بانه أكثر من طبيب • لم يكن متأنقا في ثيابه كما اعتاد الأطباء الشبان أن يتأنقوا في أوقات فراغهم • ولم تكن تبدو في جيبه الداخلي فوهة « السماعة » المعدنية اللامعة •• لم يكن كغيره •• بل كان يرتدي ثوبا من القماش الأبيض السميك الذي كثرت فيه الثنايا الدالة على أنه في حاجة الى الكي •

غمرها اذ ذاك احساس بالراحة لأنها مالت الى الاعتقاد انه منهمك فى عمله الى حد لم يجد معه الوقت الكافى لكى يعنى بكى ثوبه ..

وانحنى أحمد وهو يتقدم اليها وقد شاعت فى وجهه ابتسامة هادئة خجلى ولما قدمتها سميرة اليه أسرع فمد يده وصافحها .. فلمحت بقعة على « كم » قميصه .. نقطة من صبغة اليود . أو أثر من دواء أو من دم تخلف من حقنة حقن بها مريضا . ؟

لم تشمئز من رؤيتها ولذا لم تشأ أن تنبهه أو أن تنبه سميرة اليها خشية أن يخفيها . ولما تقهقر فى رشاقة الى مقعد فى أقصى الغرفة وجلس عليه أحست برغبة فى أن تتخيل شيئا عن حياته التى كانت تجهلها . لم تدر لم استبعدت توا فكرة امكان ان يكون طبيبا لأمراض النساء .. ومالت الى تخيله طبيبا من أطباء المستشفيات المتنقلة فى قرى الريف المصرى التى لا يقع البصر فيها الا على المرضى القرويين وذلك النوع المتخشن الخجول الورع من القرويات اللاتى لا تفكر زوجة فى الغيرة على زوجها منهن ..

وبعد أن تبادلا حديثا قصيرا عن خبر كان قد نشر عن اعتزام شركة أجنبية التقاط مناظر « فيلم » شرقى تحت سفح الهرم وعن حاجتها الى بعض ممثلات وراقصات مصريات يشتركن فى تمثيل « الفيلم » شعرت علية برغبة فى أن تسأل أحمد :

ـ من هى البطلة التى سيقع اختيار هـذه الشركة عليها يا ترى ؟

فضحك ضحكة قصيرة هازئة ثم قال :

ـ ان مهمة هذه الشركة شاقة عسيرة .. لأن بائعـات « الخص » و « الملانة » اللاتى يعملن كراقصات فى بعض ملاهى الليل بالقاهرة. واللاتى تبدو علىجلودهن آثار محاولة ازالة وشم قديم بماء النار لا يصلحن لتمثيل جمال نساء العهد العربى الذى تدور حوادث القصة فيه . اننى اعتقد أن من واجب الحكومة انقاذ الشبان من هذه الطبقة من النســوة اللاتى تخفى أنوار المسرح عيوب وجوههن وأجسامهن .

وشعرت بكيانها كله يهتز عندما سمعت أحمدا يهاجم تلك الطائفة بذلك الالقاء المتحمس الحاد المقاطع كأنه نصل سـكين حامية . كانت تخشى الا يفعل ..

صفقت ـ فى داخلها ـ اعجابا به ، خيـل اليها أن تنهض وتتقدم اليه ثم تصافحه بحـرارة .. ولكنها ترددت . تذكرت توا أنه لم تربطهما به بعد رابطة ما . ليس زوجا ولا خطيبا .. ولا حبيبا ..

ـ ٣ ـ

عادت ليلتئذ الى المنزل. منزل خالتها المطل علىطريق الهرم وهى عاجزة عن أن تتخلص من التفكير فيه . وجلست كعـادتها

تنظر من بعيد الى السيارات الزاحفة فى بطء الى سفح الهرم .

للمرة الأولى فى حياتها تبينت أن هناك شيئا تفتقده .. ان وحشة مضنية تحيط بها . أحست بأنها فى حاجة الى من يشاركها تلك الجلسة الهادئة كما يشاركها السخرية من أولئك الفتيات الشقيات اللاتى يقذفن بمستقبلهن وسمعتهن وسعادتهن الى تلك المغامرة الجريئة فى ظلام ليالى الهرم ..

تلفتت حولها فلم تجد أحدا .. خيل اليها وهى ذاهلة أن تنادى . وأنها لو ارتفع صـــوتها بالنداء لاستراحت لأن صدرها كان يضيق به ..

وتمتمت فى صوت هامس «أحمد» .. ثم تجــرأت فرفعت صوتها « أحمد . أحمد » .. ولما ولما لم يجبها أحد ســكنت واستراحت . لم تكن تتوقع أن يلبى أحمد نداءها . وانما كانت تود أن تذكره . وتناديه لأنهــا كانت واثقة من أن أحمـــد فى منزله يقرأ فى كتاب من كتب الطب . أو ينـــام ليريح جسمه استعدادا لعمل اليوم التالى . انه ليس كغيره من الشــــبان الذين يلوثون لياليهم بتلك الألوان العابثة المستهترة ..

وتذكرت كلمات سميرة « من البيت للقصر العينى . ومن القصر العينى للعيادة ثم للبيت . وبعد الظهر يذهب الى العيادة ثم يقضى ساعة أو ساعتين مع بعض زملائه الأطباء فى النادى

ولا تأزف الساعة التاسعة حتى يكون فى البيت• لا يمكن أن يسهر خارج البيت •• »

ولما أغمضت عينيها بعد منتصف الليل لتنام كان يغمرها شعور هادىء بالسعادة • كانت تعتز بنفسها وترثى لأولئك الفتيات اللاتى غادرن منازلهن فى تلك الليلة من ليالى الشتاء القارص البرد مع شبان لا يمكن الوثوق بوفائهم • وتجشمن تلك المخاطر الجريئة من أجل غرام توهمن بقاءه • ولمست الفرق الشاسع بينهما وبينهن • هى مستلقية على فراشها مستريحة مطمئنة الى وجود أحمد فى منزله • وهن مشردات فى الطرق • معرضات لأخطاره • مرتجفات خشية رؤيتهن مع أولئك الشبان • أو تأخرهن عن العودة الى منازلهن فى الموعد الملائم •

فنامت نوما هادئا عميقا ••

استيقظت على صوت الخادمة فى الصباح المبكر تدعوها للتحدث الى سميرة فى « التليفون » فلما ذهبت للرد عليها قالت :

ـ « ما يقدر على القدرة الا ربنا » • لقد أيقظنى أحمد عند الفجر قبل مغادرته البيت ورجانى أن أخبرك انه سيسافر بسيارته الى العياط وان كل ما يتمناه ان تقفى فى الساعة السابعة بشرفتك ليتمكن من القاء نظرة عليك قبل أن يتابع طريقه الى العياط •

دهشت علية فى بادىء الأمر لذلك ولكنهـا لم تلبث أن شعرت بنوع من التيه ..

تبينت مرة أخرى أن « رجلها » لا يعمد الى ارهاقهـا بدعوتها الى مغادرة المنزل للقـائه والتعرض لخطر رؤيتها الى جانبه فى سيارة ، وانما يقنع بالمرور أمام بابها . من بعيد ..

أسرعت فأخرجت ثوبا أنيقا من ثيـاب المنزل . كان ثوبا ناصع البياض . وأمسكت بيدها وردة حمراء ثم وقفت تنتظره..

وبعد قليل أقبل بسيارته . لم يكن الى جانبه أحد . وانما كان جالسا خلف عجلة القيادة وقد وضع الى جانبه معطفه الأبيض وحقيبته الجلدية الصغيرة . كان يبدو جليا أنه ذاهب الى عمل. عمل رجل مسئول لا الى نزهة داعرة من نزهات الشبان فى سفح الهـرم ..

وأخرج يده من نافذة السيارة يحييها. فلوحت بالوردة التى كانت فى يدها بقوة لترد تحيته . ولما اختفت السيارة مسرعة كانت علية ما تزال تنظر الى الأفق البعيد الذى احتواه ..

ولما عادت الى غرفتها لم يكن يشغل تفكيرها الا هو . أحمد

تطورت حياة علية بعدئذ فكثر ترددها على منزل عبد الحميد راشد بحجة زيارة ابنته سميرة • لم تشك خالتها انجه هانم فى سلامة قصدها فكانت تسمح لها بذلك وهى مطمئنة •

واعتادت علية أن تنفرد بالجلوس مع أحمد برهات متفرقة أثناء اهتمام سميرة بالاشراف على ادارة المنزل • وفى كل مرة يزيد اعجابها به وتقديرها له •

أثار دهشـتها انه لم يعمد قط الى دعوتهـا للخـروج معه فى السيارة كما يفعل غـيره ولكنه فى نفس الوقت أثار اعتزازها بكرامتها • لم يفـكر يوما فى الدنو منهـا والقبض على يدها والايحاء اليها برغبته فى أن يفوز بقبلة • كان يخيل اليها عندما تراه قانعا بأن يختلس منها بضع نظرات خاطفة انه يسمو بها عن المكانة التى يضع غيره من الرجال فيها فتياتهم المعشوقات •

ووفق الدكتور أحمد راشد بعد بضع مرات أخرى ترددت فيها على منزل عبد الحميد راشد فى أن يدعها تطمئن اليـه اطمئنانا لم تحس به من قبل نحو رجل آخر • لاحظت فى كل مرة أنه كان يكتفى بالجلوس فى أقصى الغرفة يتبادل معها الحديث عن أمور مختلفة ويوجه اليها نظرة بين كل فترة وأخرى • نظرة بدأت خاطفة سريعة ثم أخذت تطول • وتطـول •• وتطـول

حتى أصبحت أغنية تلك الجلسات التى كانت تنفرد فيها به أثناء انشغال سميرة شقيقته بشئونها المنزلية .. الأغنية التى كانت تطرب لها . وتنتشى منها روحها .

وبعد كل زيارة من هذه الزيارات تعود الى منزلها لتجلس فى نفس الشرفة التى تطل على طريق الهرم العتيد .. تشاهد ذالك السرب المتقطع من السيارات الزاحفة أحيانا فى سرعة هائلة وأحيانا أخرى فى بطء متثائب .. ثم تستعرض فى خيالها كل ما حدث بينها وبين أحمد .. كيف دخل الى « الصالون » . ماذا كـان يرتدى . كيف جلس . موضوع الحـديث الذى اداره بلباقة شفتاه الغليظتان القمحيتان عندما تنفـرجان عن ابتسامته التى ابتدعها والتى لم تر رجلا آخـر استطاع أن يقلده فيهـا .. الابتسامة التى تدل توا على وثوق صاحبها بنفسه والتى كانت تقول لكل فتاة .. أخرى « حاذرى . لا تظنى أننى رجل سهل انثى لها .. لها وحدها .. » كان احساسها فى كل مرة يتضاعف بأن تلك التى تستأثر بقلب أحمد والتى تشـير اليها ابتسامته الهادئة هى .. وحدها ..

.

التقت علية بفتيات أخريات يترددن على منزل عبد الحميد راشد مثلها . كان أحمد يلتقى بهن ويحييهن أمامها . فكانت تهتم اهتماما خاصا بملاحظة نبرات صوته وهو يتحدث اليهن . ولون الحديث الذى يختاره .. وتقلصات شفتيه .

ان بعض هذه التفاصيل قد لعبت فى حياتها دورا هائلا • ان شفتيه لم تخيبا مرة واحدة فى تغيير اقتناعها بأن أحمد لم يكن يهتم بفتاة أخرى غيرها •• كان يحيى الجميع ولكنه كان يحتفظ بتلك النظرة الطويلة الشاردة • الحالمة • بتلك الأغنية التى اعتاد أن يسكب فيها روحه • لها •• هى وحدها ••

ظلت تتردد على منزل راشد دون أن يدعوها أحمد الى •• الى لقاء فى الخارج • حتى بدأت تشعر هى نفسها بأنها فى حاجة الى أن تختلى به • بعيدا عن ذلك الجو الذى تسممه نظرات سميرة وصديقاتها من المترددات على المنزل • كان يخيل اليها أنها لو اختلت به لأصبحت أكثر قدرة على أن تصارحه بأشياء كثيرة كانت تداعب خيالها •

انتظرت تلك الدعوة منه • انتظرتها طويلا ولكنه لم يفعل ••• ظل ساكنا حتى بدأت تغار من اصراره على البقاء فى منزل ابيه الى جانب والدته وشقيقته •••

أخذت رغبتها فى أن يدعوها الى نزهة خلوية فى سيارته تشتد حتى كادت تفاتحه هى فيها • عندئذ تحرك أحمد ودعاها •

كانت هى وخالتها انجه هانم تشاهدان أحد « أفلام » السينما فلمحته جالسا مع شقيقته سميرة فى احدى المقاصير القريبة •• لم تستطع ليلتئذ أن تفهم شيئا مما كان يعرض أمامها

لأن الغيرة أعمتها .. الغيرة من شقيقته التى اهتم بها الى حد دعوتها لمشاركته سهرة السينما ولم يفكر فى أن يدعوها هى للانفراد به ساعة أو بعض ساعة يتحدثان دون أن يسمعهما أحد !

نسيت اذ ذاك ان شر ما كانت تخشاه عند بدء علاقتها بأحمد أن يجرؤ فيدعوها الى الخروج معه فى سيارته كما يفعل الشبان فى طريق الهرم بأولئك الفتيات اللاتى يدفن أجسامهن فى أجواف السيارات ولا يدعن ظاهرا منها الا بعض الرؤوس .. نسيت ذلك تماما ولم تعد تفكر الا فى أن تجلس الى جانب أحمد .. مرة واحدة منفردين . ينشدان أغنيتهما الحبيبة الصامتة التى تشترك نظراتهما فى توقيعها .

وانتهى عرض الفيلم .. ولما التقوا عند الباب انشغلت خالتها فى تحية سميرة شقيقته وعندئذ مال على أذنها وهمس فيها « غدا فى الساعة الثامنة مساء . عند آخر سور الحديقة .. تظاهرى بالرغبة فى مغادرة المنزل للسير على قدميك قليلا فى شارع الهرم » .

لم تجبه . ولكن الفرح كان ظاهرا بجلاء على قسماتها .

تحققت أمنيتها . وزاد فرحها ان أحمدا استطاع أن يعرف تماما اللحظة التى نفد فيها صبرها ولم تعد تستطيع بعدها أن تطيق الانتظار .

قضت الليلة تحلم بذلك اللقاء المرتقب . استيقظت مبكرة

لكى تقف أمام المرآة تصلح شعرها وتتأنق فى اختيار الثوب الذى يرضى أحمدا ويمكن أن يثير اعجابه • واعتصرت ذاكرتها كى تستعيد بعض تعليقاته القديمة على أزياء الفتيات •• الألوان التى يفضلها والأشكال التى يميل اليها وطرق تنسيق الشـــعر التى يعجب بها • قضت اليوم كله واقفة أمام المرآة حتى أزف موعده فاستأذنت من خالتها فى أن تنزل للسير قريبا من المنزل

وأقبل أحمد بسيارته ففتح بابها وهو يمد يده ليستقبلها فى رقة ثم ابتعد بها مسرعا وهى الى جانبه ••

شعرت اذ ذاك أنهـــا ملكت كل شىء فى العـــالم لأن أحمدا كان الى جانبها •

ولما وصلا الى أول طريق الفيوم انحرف أحمـــد وأوقف سيارته خلف ربوة مرتفعة حجبتهما عن الطريق •

كانت الشمس قد غربت وكانت الربوة الرملية الصامتة تبدو كأنها حيوان أليف يؤنسهما ويحرسهما •

وتلفت أحمد حوله ثم رفع جذعه الأعلى فى رشاقة وأدنى رأسه منها •• كانت مرتبكة لا تدرى ماذا تفعل فلم يسبق لها أن ركبت سيارة الى جانب رجل غريب ولحظ هو ارتباكها فأدار ساعده الأيمن ورفع رأسها فى رقة ثم وضعها على ســاعده كى تســتريح •• وأخذت شــفتاه تقتربان فى بطء من شــفتيها

وقد لمعت على ضوء قمر الصحراء فرحة فى عينيه • وفجأة قبلها •• •• قبلتهما الأولى ••

وبقيا خلف تلك الربوة التى رجحت ليلتئذ ان رواد طريق الفيوم يجهلونها حتى ساد الظلام تماما فأوصلها الى المنزل ثم تناول يدها وطبع على ظهرها قبلة طويلة وابتعـــد عائدا الى القاهرة ••

أصبح عاديا بعد ذلك أن يلتقيا حتى دون أن يكون قد سبق بينهما اتفاق على اللقاء • فكان يمر بسيارته وينبهها بصوت « الكلاكسون » الذى حفظته كأنه قطعة موسيقية نادرة • فتسرع الى ملاقاته عند نهاية سور الحـــديقة التى كانت تحيط بمنزل خالتها وتفصله عن طريق الهرم •

وتبينت بتوالى الأيام أنها أصبحت مخلـــوقة أخرى •• مخلوقة جديدة •• لها آمال أخرى فى المستقبل ونظرات أخرى الى الحياة ورعشات أخرى لم يكن لها بها عهد من قبل • كان يكفى ان يضع أحمد يده على يدها ويطيل النظر الى عينيها لكى تحس بأنها ملكت كل شىء • بل كان يكفى أحيــانا أن تحس بوجوده الى جانبها لكى توقن بأنها أسعد فتيات العالم •

وكانا يتفننان فى تلوين تلك النزهات الشـــعرية فى طريق الفيـــوم ••

كانت تحضر معها أحيانا بعض مأكولات جافة تطهيها بنفسها لكى تتمتع برؤية أحمد وهو يأكل ويمضغ ثم وهو « يزور » وهى تدفع الأكل الى فمه .. وكانت أحيانا أخرى تحضر معها الابرة لكى تطرز على صدر قميصه الحريرى الحرفين الأولين من اسمه كأنهما زوجان . أكثر من مرة أحضر معه أوراقه المصلحية .. وبعض حسابات أطيان أبيه ثم استعان بها على عمليات الجمع والطرح أثناء جلوسهما على الرمل الى جانب السيارة .. وذات مرة رجته أن يحضر لتراه فصارحها أنه مرهق اذ قضى اليوم كله يجوب أنحاء المستشفى سيرا على قدميه . ولما ألحت عليه أقبل مسرعا ولكنها لم تكد تراه حتى تبينت توا صدق ما أخبرها به كان فى حاجة الى الراحة فألقى برأسه على صدرها واستغرق فى النوم كطفل ..

وانقضت بضعة شهور وهما يسعدان بذلك الحب الهانى. لم تشعر يوما ما بأنه أهملها . أو أغضى عنها . أو رفض لها طلبا . كان لها كما كانت كلها له . كانت تؤمن بأن واجبها فى الحياة ينتهى اذا ما استطاعت أن تطيعه وأن تسعده .

وأطاعته . فاستسلمت ..

— ٥ —

وحدث ذات ليلة أن أقبل بالسيارة كعادته . واصطحبها معه . ولكنه لم يكد يبتعد قليلا عن المنزل حتى التفت اليها وقد

ظهر على وجهه بعض الألم ثم قال صوت مرتجف :

ـ انني اليوم في أشد حالات الضيق •• لقد حاولت أن اتفادى هذا الانتداب بكل الطرق فلم أستطع •

فالتفتت اليه مذعورة وسألته :

ـ أي انتــــداب ••

ـ صدر أمر بانتدابي لمستشفى الاسكندرية بسبب مرض أحد زملائي هناك وسأضطر للتغيب شهرين •• شــهرين طويلين ••

وانقض ذلك الخبر عليها كالصاعقة ولكنها تجالــــدت • واندفعت الى أن تقول له وهي تتكلف الهدوء •

ـ ولم هذا الضيق كله ؟ انك ستغيب لتؤدي واجبا عليك أداؤه •

فتمتم ـ ولــكن ••

ـ ولــكن ماذا ؟

ـ كيف أتركك ؟

ـ سأنتظرك • ستجدني كما أنا اليــوم •

ـ أسوف لا الاحظ عند عودتي تغيرا ؟

ـ أجل • ستلاحظ تغيرا في شيء واحد •

ـ ما هـو ؟

ـ ستجدنى أكثر حبا لك وتعلقا بك.

وعندئذ مد يده الى درج السيارة وأخرج منه كتابا قدمه لها . كان قد حدثها عنه من قبل . وتلا عليها فى بعض خلواتهما نماذج من قصائده الرقيقة . « كتابى لك » للشاعرة الفرنسـية «مرجريت بروفانس» فوضعته فى حقيبتها . ثم قضيا برهة قصيرة أوصلها بعدها الى المنزل وقبل أن تغادر السيارة تعانقا عناقا طويلا ووعدها أن تصلها رسائله عن طريق شقيقته سميرة ..

أحست بعد عودتها بالفراغ المخيف الذى أخذ يحيط بها . حاولت النوم فلم تستطع وعادت الى الشرفة التى طالما انتظرته فيها ، أخذت تنظر الى الأفق البعيد الممتد حتى صحراء الفيـوم ..وخيل اليها أن تلك الربوة الرملية التى كانت تؤنسهما وتحرسهما كحيوان أليف قد توحشت بعد غيبة أحمد . كادت تسمع ريح الصحراء حول هذه الربوة وهى تزأر . وتحاول أن تفترس كل من يقترب منها ..

عادت مسرعة تبحث عن الكتاب الذى أعطاه أحمـد لهـا « كتابى لك » مجموعة تلك الرسائل الغـرامية الجبارة التى أرسلتها الشاعرة العاشقة الى حبيبها الذى فتنت به حتى العبادة.

وشعرت برغبة قوية فى أن تكتب الى أحمد حتى قبـل أن يكتب هو اليهـا . فتناولت ورقة وكتبت اليه هذه الكلمات :

« أحمـــد ..
انني أنصت ولا أسمع شـيئا .
وارتعش ولا أشعر ببرد
وأصرخ وليس هنا ما يثير ذعرى
أتدرى لمـاذا ؟
لأننى أنتظرك يا أحمد دون أن تحضر .. »

ثم وضعت الورقة داخل مظروف وكتبت عليه عنوان أحمد بالمستشفى الذى ندب للعمل فيه بالاسكندرية وظلت ساهرة ترقب الصباح فنزلت وألقت الخطاب فى أول صندوق صادفها من صـناديق البريد .

ولما عادت الى المنزل لم تجد عزاء لها الا مطالعة ذلك الكتاب الذى تركه أحمد معها .

انقضى اليوم وهى تتصفح . بل تلتهم ذلك الكتاب العاشق وتستعيد لياليهما خلف الربوة المختفية عن أنظار المارة فى طريق الفيوم . وتذكرت ليلة قال لها وهو يساعدها على الهبوط من سلم السيارة فى بدء غرامهما وقد تعثرت لارتباكها فى طرف ردائها الأبيض « أتعرفين ماذا خطر لى الآن ؟ » فلما هزت رأسها متسائلة أجابها « خطر لى أن أركع على ركبتى اليمنى وأقبل طرف ثوبك وانت تهبطين من السيارة كملكة » .

وهاجت في صدرها اذ ذاك رغبة في أن تكتب الى أحمد مرة أخــــرى •

لم يخطر ببالها قط أنها أرسلت اليه رسالة في اليوم السابق لم يجبها عليها لأنها لم تكن واثقة من أنها وصلته بعد •

وتبينت بعد قليل أنها انتهت من كتابة هذه الرسالة •

« أتذكر يا أحمد ليلة تعثرت أثناء هبوطي من سيارتك في طريق الفيوم وكدت أسقط فتلقيتني بين ذراعيك وأنت تقول — خطر لي أن أركع وأقبل طرف ثوبك ؟ — كان صــوتك يرتجف اذ ذاك الى حد أن الدموع تدفقت الى عيني •

كان ذلك في وقت لم أكن فيه بالنسبة اليك شيئا مذكورا، في وقت كنت أكتفي بأن أقرأ حبك لي على تلك الطبقة اللامعة من دموع عينيك • وكانت حياتك صلاة صامتة أسمع تراتيلها تتجاوب في أعماق روحك •

تعال الآن • ها هو ذا ثوبي وها هي ذي يداي •• ابق راكعا وأنا اداعب في بطء رأسك العاري وأتلقى روحك الجبارة صاعدة كشيء عظيم محبوب • سأحس بها وساحبك حتى النهاية•

ثق يا أحمد • ثق تماما انني اذ ذاك سأهبط كي أركع الى جانبك •• سأركع على ركبتي الاثنتين لكي أقول لك — أعطني يديك المهتزتين اللتين لا تجرؤان على الاساءة الى لكي أضع

فيهما قلبى .. انه لك ذلك القلب فى الفـــرح والشقاء . فى الحياة والمـــوت » .

وكان أول ما اهتمت به فى اليوم الثانى أن سألت سميرة شقيقة أحمد عما اذا كانت قد وصلتها رســـائل منـــه فأجابتها مندهشـــة :

ــ من منا تسأل الأخرى ..

ولكنها سرعان ما التمست لأحمد ألف عذر فى عمله الجديد بالاسكندرية . وخطر لها أن تكتب له تستفسر عن سبب تأخره فى الرد عليها ولكنها طردت ذلك الخاطر توا وفضلت الا تكون رسائلها اليه الا معبرة عن حبها الشديد له . الحب الذى كانت واثقة اذ ذاك ان امرأة أخرى لم تشعر بمثله نحو رجل آخر .

وبعد قليل ، بعد أن أعادت قراءة صفحات من « كتابى لك » وعاشت مع شاعرته العاشقة ، كانت تكتب هذه السطور والقلم يرتعد فى يدها :

« سألتنى ذات مرة ــ لم تحبيننى ؟

أتعرف لماذا يا أحمد ؟ انه صوت يقبل من بعيد ويتجاوب صداه بين شاطىء القدر الذى ينتظرنى .

أحبك لأنه سجل فى كتاب الحياة أن خطواتى وخطواتك ستلتقى . وأن نظرتى الأولى ستقهرها نظرتك الأولى . واننـــا بعد سنصبح شيئا واحدا . أحبك لأنه سجل فى ذلك الكتاب أيضا

ان ساعدى سيتلقيان ذلك السحر الفاتن الجميـــل الذى تهيــه رجولتك والذى يقود الى الشاطىء الذى تنشده كل فتاة .. الهنـــاء .

أحبك لأنك انت .. »

وتحدثت سميرة اليها فى اليوم التالى . أخبرتها فى لهجة مقتضبة أن أحمد يعتذر عن الكتابة لانهماكه الشديد فى عمله . فلم يخيل اليها بأن ذلك العذر يمكن أن يكون مختلقا وأجابتها مسرعة .

ــ لا داعى لازعاجه يا سميرة . أنا أعرف أن أحمد اذا تفرغ لعمل انصرف له تماما . وقد علمت أن نجاحه فى ادارة القسم الذى انتدب له سيعود عليه بنفع كبير . أرجو أن ترسلى اليه تحيـــاتى اذا كتبت له .

خيل اليها أنها تستطيع أن تخفى سر حبها لأحمد حتى عن شقيقته سميرة . كانت تحـــرص على أن يظل سرا مدفونا فى صدريهما .

يكفى فى مثل الظروف التى كانت تجتازها هى وأحمد أن يكتب أحدهما للآخر .

ولكن الغيرة بدأت تندلع فى صدرها بعد أن طال غيابه فقد كتبت اليه :

« قلت لى ذات ليلة وصوتك يرتجف ـ كل ما أتمناه أن أغمض عينى بعد أن أطيل النظر اليك ثم لا أرى بعدك أحدا .

لتكن اذا ضريرا حتى الموت يا أحمد .. !

أريد أن أحفر صورتى فى أقصى أعماق عينيك الحبيبتين قبل أن تغلقهما .

عندئذ لا أغار بعد من الزهور والأشجار التى كنا نمر بها فى طريقنا الى الهرم . ولا من السحب المتنقلة الحيرى التى تظلل صحراء الفيوم والتى كانت نظراتك تتطلع اليها فى شغف معجب .

سوف لا تعرف بعد أن تصبح أعمى ما اذا كانت امرأة أخرى قد مرت الى جانبك . سوف لا يمكنك أن تتبين من بعيد جمال شعرها . أو فتنة يديها . أو قسمات وجهها التى تعبر عن اعجابها بك .

صورتى وحدها هى التى تحيا فى خيالك المغلق وهى وحدها التى ستغذيها بالضوء الذى يكفى لاقناعك بسر حبى لك .

اقترب منى يا أحمد . اقترب منى .. أكثر من هذا قليلا .. اقترب ولا تخش .

اننى فقط أريد أن أحس بأنك عميت عن كل شىء سواى »

وظلت رسائلها تتوالى اليه تحمل كل منها تلك الكلمات

المعبرة عن ولهها وهى قانعــة بأنه يقرؤها ويرضى عنها . كانت تقضى الساعات الطويلة مع شعر « كتابى لك » . تقرأه . وتعيد قراءته . وتعيشه . لا يشغل تفكيرها الا أحمد . حتى تحفظ هذا الشعر عن ظهر قلب . ثم تجلس للكتابة اليه .

وخيل اليها ذات مرة أن تثور على ذلك الاستعباد الذى أرضخها غرامها بأحمد له صاغرة ذليلة ولكنها سرعان ما تبينت أنها واهمة فى تصور قدرتها على تلك الثورة فكتبت اليه تقول:

« كنت أسير منذ بضعة أعوام مزهوة رافعة الرأس . . ولكنى توقفت فجأة . كانت خطاى لا تتبع الا هواها ولكنــك قيدت سيرها بقيود من حرير . كانت عيناى الفاحصتان تدققان فى كل ما يعترضهما من صور الحياة ولكنهما أصبحتا لا تريان الا أنت .

أناملى النشطة لم تعد تستطيع الفــكاك من بين يديك .

فمى لم يعد يرتل الا أغنية الهناء التى علمتنى اياها .

سأبقى أسيرتك كما تبقى الجارية عبدة لذلك السيد الذى يتحمل عنها عبء الحياة ويجعل نفسه مسئولا عن سعادتها .

ليكن .. لا جهل الطريق الذى يسير فيه الناس . ولا جهل بقية الأماكن التى يحتوى عليها العالم والتى لم ترها عيناى بعد.

لأنس كل الكلمات التى يتبادلها الناس سوى :
يا حبيبى •
لأنس كل الاشارات التى لا ترمى اليـــك •
لينسدل الأفق وليهبط مخفيا كل شيء الا ابتسامتك •

ولكن أستحلفك يا أحمد أن تحتفظ بى كما تحتفظ بأصغر الأشياء التى لها أكثر الزوايا تواضعا فى بيتك•
احتفظ بى •»

أما آخر رسالة كتبتها اليه فما زالت تحفظها عن ظهر قلب •• كتبتها وهى تضع أمامها « كتابى لك » الذى أذابت مؤلفته فى شعرها أعصابها وروحها وعاطفتها •

« أحمـــــد ••
لن تقول لى قط : لا •
تذكر أننى قبلت شفتيك كيلا تنفرجا الا عن أرق الكلمات•
لن تدع الغضب تتصــاعد ثورته الى عينيـــك
تذكر أننى قبلت أهدابك كى تصبح نظرتك الى مداعبة رقيقـــة •
لن ترفع أصبعك فى وجهى مهددا متوعدا •

تذكر أننى قبلت يديك حتى لا تتعـــودا الا على أكثـــر الاشارات حنـــانا .

لن تبتعـــــد عنى

تذكر أننى قبلت ساقيك كى تعودا وفيتين الى منـــزلى

ستغلق قلبك عن حب غيرى من النساء

تذكر اننى قبلت قلبك من فوق صدرك ليبقى لى .. لى وحدى حتى القبر »

وانقضى شـــــهر . وشهران . ولم يعد أحمد . تكرر سؤالها عنه فى منزل راشد فكانت سميرة تجيبها فى أول الأمر منتحلة له الأعذار ولكنها لاحظت أن لهجتها أخذت تجف وتقسو كلما ألحت فى السؤال عنه .

وأقبل الشهر الثالث وانتظرت عبثا أن تراه ، طالت غيبته ولم يعـــد .

وبدأ القدر يهاجم روحها الشابة مهاجمة لم تخل من قسوة كلما ذكرته وذكرت الليالى التى اصطحبها فيها الى جانبه فى سيارته الى سفح تلك الربوة العالية فى طريق الفيوم .

حاولت عبثا أن تتصل به تليفونيا من القاهرة لتطمئن الى

وصول رسائلها اليه ، ولكنها لم توفق ، مرة يجيبونها بأنه يجوب غرف المرضى فى المستشفى ، ومرة أخرى بأنه خرج لعيادة مريض فى الخارج ، فلما أخبروها بأنه سافر الى القاهرة لشأن مصلحى فى وزارة الصحة ، سألت نفسها مئات المرات، لم لم يتصل بها؟ لم لم يمر بسيارته أمام منزل خالتها أنجه هانم بطريق الهرم؟

واشتد انزعاجها الى حد أنها أرسلت اليه برقية تنبؤه فيها ـ كذبا ـ بأنها مريضة مرضا يستدعى حضوره الى القاهرة وانتظرت ردا عليها اسبوعا كاملا دون جدوى .

الى أن كانت اللحظة الهائلة التى اكتشفت فيها أنها خدعت كغيرها من آلاف الفتيات اللاتى كانت تشاهدهن من شرفتها وهن منزويات فى أجواف السيارات الصاعدة الى الهرم أو الهابطة منه ملتصقات الى جانب شبانهن المعشوقين .

كان ذلك فى اليوم التاسع من شهر يونيو .. كانت قد دعيت الى حفلة زفاف منيرة ابنة على قدرى صديقة سميرة وصديقتها وهى التى كان قد أوهمها شاب من موظفى السلك السياسى بأنه أحبها ثم اتضح أنه كان قد عاشر أثناء اشتغاله فى الخارج عاملة رزق منها بطفل .. واستطاعت منيرة بعد ذلك أن تنسى الصدمة وأن تجد الزوج الذى كان يجهل كل شىء عن ماضيها .. اختارت علية ثوبا من ثياب السهرة البيضاء لأنه كان يثير اعجاب أحمد ، وذهبت الى حفلة زفاف صديقتها وهى لاتزال

تحاول اقناع نفسها بأن عذرا قاهرا جبارا هو الذى عاق أحمد عن الكتابة اليها أو الاتصال بها .

كان أول شيء أثار انتباهها فى حفل الزفاف تلك الراقصة المغربية التى كانت تؤدى بعض رقصات شرقية لتسلية المدعوات. كما كانت تقحم على أغانيها بعض تعبيرات فرنسية مكشوفة لاثارة ضحكهن .

وجلست تنظر اليها حتى انتهت من احدى أغانيها فأومأت اليها أن تدنو منها ولما اقتربت قالت لها فى صوت خافت :

ــ ألم تجدى غير هذا الكلام ؟ كنت تستطيعين أن تختارى غير هذه الأغنية ــ فسألتها وهى تغمض احدى عينيها وترفع حاجب العين الأخرى :

ــ ماذا أختار يا «حبة عينى» ..

فأجابتها مسرعة وهى تخشى أن تتطاول عليها

ــ أغان كثيرة ، لقد استمعت أمس الى أغنية جميلة تنشدها مطربة جزائرية عنوانها « أرواح بين السحب »

فأرسلت الراقصة ضحكة عالية وفتحت حقيبتها ثم أخرجت سيجارة أشعلتها بسرعة وهى تقول :

ــ انك تذكريننى به

ـــ من هـــــو ؟

ـــ شاعر مثلك . لا هم له طول النهار الا القــراءة وكلما استوقفه شيء في الكتب التي يقرأها أكد لي أنني مظلومة اذ ولدت في الشرق . لأنني يمكن أن أكون وحي أجمل ما في تلك الكتب!

وزفرت نفسا يدل على الضيق ثم استمرت قائلة :

ـــ انظري ماذا أعطاني عندما ودعني على محطة سيدي جابر عند سفري لحضور هذا الفرح .

ومدت يدها ثم أخرجت من حقيبتها شيئا لم يكد بصر علية يقع عليه حتى شهقت .. كان « كتابي لك » للشاعرة مرجريت بروفانس . وفيما هي تشخص اليه استمرت الراقصة المغـــربية في لهجتها الساخرة .

ـــ قلت له انني لا أستطيع أن أقرأ سطرين من هذا الكتاب لأن معرفتي بالفرنسية ضعيفة ضعفا مخزيا . صارحته بأنني أخشى أن يرى بعض من يعرف جهلي هذا الكتاب في حقيبتي فيسخرون مني ولكنه قال لي « لقد احتطت .. ستجدين ترجمة عربية لأهم ما في الكتاب » ـــ ونفثت دخان سيجارتها ثم قالت ساخرة ـــ والنبي ما فتحته .. أنا فاضية ..

وانطلقت تتابع خطاها الراقصة وتعليقاتها الماجنة . وقـــد تعالى ضجيج المدعوات وصخبهن وضحكهن .

ووجدت علية رسائلها كلها •• الرسائل التى كانت قــد أرسلتها الى أحمد موضوعة وسط صفحات الكتاب الذى كانت تحمله الراقصة المغربية فى حقيبتها •

مادت الأرض تحت قدميها •• أخذت أشباح المدعــوات فى أثواب السهرة بحليهن البراقة تبدو أمامها كأنها أبالسة تحمل أسواط الجحيم وتلهب بها جسمها •

تبينت الخديعة الكبرى • ولمست بيديها اللتين طالما تناولتا يدى أحمد لكى تنهال عليهما تقبيلا نفاق رجل •• خطر لها ان تستنجد وتستغيث • خيل اليهــا ان تنشــب أظافرها فى عنق الراقصة التى تعاشر الرجل الذى اختارته من بين الرجال أجمعين لكى تهبه ثقتها كلها ولكى تضع تحت قدميه قلبها وســمعتها ومستقبلها •

ولكن قواها خانتها فهوت الى أقرب مقعــد • استطاعت بعد جهد عنيف أن تستجمع شيئا من شجاعتها وأن تذكر أنهــا فى حفلة زفاف لا يجب أن تشوهها باثارة تلك الفضيحة • وأخيرا تمكنت من أن تتكلف ابتسامة فاترة وأن تسأل الراقصة فى صوت ضعيف أن تعيرها الكتاب لتقرأه فأجابتها وهى توليها ظهــرها وتتقدم لالقاء احدى أغانيها المبتذلة •

ــ تفضــلى • اننى لا طاقة لى على احتمال هــذا الكلام الفارغ ••

ثم عادت ترسل ضحكاتها الثملة المستهترة واختفت بين صفوف المدعوات .

وأسرعت علية بالعودة الى منزلها لكى تلزم الفراش فريسة مرض لم يستطع الأطباء له علاجا .

تلقى « هو » عناصر هذه القصة منذ عدة أعوام فنشرها .

وانقضت أعوام .. أعوام أخرى .. طويلة ..

وسكن « هو » ركنا هادئا من غابة تكاثفت فيها أشجار « الكازورينا » و « الكافور » فى نهاية طريق الهرم بنى فيه « كوخا » وسط حديقة اختار أزهارها وحرص على أن يرعاها بنفسه .. وكان كلما أوغل سيرا على قدميه وسط تلك الغابة فى ساعات الصباح الباكرة لفت نظره بيت على حافة الصحراء .. يطل على طريق الفيوم .. بيت منعزل لم ير قط أحدا من أهله .. لم ير سيارة تقف أمامه أو تخرج منه .. ولم يستمع الى جلبة « راديو » تصدر عنه فى ساعات الليل أو النهار .. ولم يشاهد فى حديقته غداة « شم النسيم » أشلاء البيض والكرات والفسيخ .. كما عهد دائما فى البيوت الأخرى المتناثرة فى تلك الغابة .. ومع ذلك فان تلك الحديقة لم تكن مهجورة أو مهملة .. كان يبدو كما لو أن روحا تضفى عليها خلسة فى ساعات الفجر أو

ليالى القمر رقتها وعنايتها •• وسأل خفيره البدوى ذات مرة عن سر ذلك البيت فتمتم البدوى أنه بيت بنته سيدة من القاهرة قبل ذلك بعشرين عاما لا يجرؤ غيرها على سكناه لأن •• الأرواح تسكنه معها ••

وغداة اليوم الذى انطلق فيه أول صاروخ اخترق السحب ، وحمل الانسان الى طبقات الفضاء ودار به مرات حول الأرض ثم عاد به سالما قدم اليه الخفير البدوى مذعورا رسالة أخبره أن ساكنة « بيت الأرواح » قد استدعته وطلبت اليه أن يسلمها اليه . ولما فض « هو » الرسالة قرأ فيها :

« لعلك تذكر القصة التى نشرتها منذ عشرين عاما باسم « الرجال منافقون » •• اننى الفتاة التى أرسلت اليك اذ ذاك وقائع تلك القصة •• ولقد انزويت فى هذا المكان منذ ذلك الوقت البعيد واعتزمت الا أتزوج •• اننى أعيش وحدى أستمع فى هدوء الليل الى السيارات الصاعدة الى الهرم أو الهابطة منه أو المسرعة فى أشهر الصيف الى الاسكندرية أو العائدة منها •• ولكن دون أن أشارك أهل هذه الأرض حياتهم •• مازالت روحى تعيش بين السحب حياتها التى عاشتها معه •• « هو » •• ولكن الناس •• أهلى وأهل هذه الناحية لا يودون أن يرحموا عزلتى انهم يعتقدون أن من تعيش حياتى لابد أن يكون قد أصابها مس من جنون ولذلك أطلقوا على هذا البيت الاسم الذى لا شك

أنك عرفته منذ جاورتنى .. ولكن .. الحياة فى هذه الدنيا قد تطورت منذ كتبت اليك قصتى .. استطاع الانسان أن يخترق السحب فى صاروخ وأن يعود الى الأرض سالما .. استـطاع الانسان هذا كله .. كما أن الحياة فى هذه الضاحية قد تغيرت معالمها . أنشئت فيها الفنادق الفخمة . وتناثرت المقاهى والمطاعم. التى لا تتوقف فرقها الموسيقية الصاخبة عن العزف ومع ذلك فان الانسان ما زال عاجـزا عن أن يستعيد الأرواح التى اعتادت الحياة بين السحب سليمة الى أجسامها على الأرض .. انه لا يستطيع أن يستعيد هذه الأرواح من بين السحب الا محطمة .. ولا مكان لها على هذه الأرض الا .. الا « بيت الأرواح » .

صوت زينب

صوت زينب

❋ لم تكن قرية « قليب ابيار » التابعة لمركز كفر الزيات من القرى التابعة لمنطقة عمله فى الشرطة ، ولكنه مع ذلك كان يميل دائما الى أن يقضى فى تلك القرية جزءا كبيرا من وقت فراغه لأنه عثر على طالب كان يقوم اذ ذاك بدراسة الحقــوق فى مصر وبقضاء عطلة الصيف فى قريته هو ابراهيم عبد اللطيف.

ولم تكن الرغبة فى الذهاب الى « قليب ابيار » هى رؤية ابراهيم ، فلم تكن علاقته به علاقة صـــداقة أو زمالة ، ولكن كان هناك شيء يجمعه به ، ويجذبه جذبا الى قريته المتواضعة

الصغيرة ، ذلك أنه كان أشد ما يكون سخطا على عمله الحكومي وحقدا على البقاء في الريف الممل المتشابه الذي يكاد يخنقه خنقا ، وينغص عليه بهجة الحياة وبسمة المستقبل الهادىء ، وكان ذلك الطالب يعيش ثلاثة أرباع العام في القاهرة ، مدينة ذكرياته الجميلة ، كما كان يتلقى دراسته في نفس المعهد الذي يطبع في الروح أثرا لا يمحى ، فكان مجرد الحديث معه يعيد الى صدره الضيق شيئا من الهدوء ، ويصله بأعز ذكريات حياته .

وفي غروب يوم من أيام الصيف كان جالسا مع ابراهيم في شرفة داره التي تطل على حارة ضيقة من حواري القرية ، في هذه الدار مجموعة كاملة من أدوات المائدة الفضية تقدم في كل وجبة ، ولكن على أنها من أدوات الزينة لا تستعمل ولا تمس ، وفجأة سمع من بعيد صوتا يحمله نسـيم الغروب يرتل الأغنية الريفية :

يا نخلتين في العلالي .. يا بلحهم دوا »

وأحس اذ ذاك بهـزة عنيفة اعترت ابراهيم ، ابن صاحب الدار ، وفجأة التفت الى ضيفه وقال :

ــ هيا ننزل الى الغيط .

فسأله :

ــ لم ؟ الشمس راحت ، وأنا أود أن أرجع الى كفر الزيات .

ـ ياشيخ تعال ، بنات البلد كلهن يجمعن القطن فى الغيط • منظر لا يمكن أن تلقاه فى مصر •

وانتصب ابراهيم واقفا وصفق يأمر خادم الدار أن يعد الفرس والبغلة ••

ولم تكد تنقضى دقائق معدودة حتى كان « هو » على ظهر الفرس ، ومضيفه على ظهر البغلة يجتازان الدزب الضيق المجاور للدار الى الجهة البحرية من « قليب ابيار » حيث احتشدت فتيات القرية متناثرات خلف الشجيرات تجمع كل منهن ما تقع عليه يدها من القطن وتضعه فى « عب » ثوبها الأسود المهلهل ، وقد لفت حول خصرها حبلا رفيعا ، ولما توقفا عند حافة الغيط اقترب ابراهيم منه وهو على ظهر البغلة وهمس قائلا وهو يشير الى فتاة سمراء جلست فى وسط حلقة من فتيات القرية وشبابها تشترك معهم فى «فرز» ما جمعته الأخريات من القطن استعدادا لوضعه فى الزكائب :

ـ أترى هذه الفتاة ؟

فأطال النظر اليها ، رشـيقة الحركة وهى تميل بصـدرها الى الأرض تجمع القطن المتناثر ثم تعتدل ، خمرية اللون • واسعة العينين • حاجباها الكثيفتان يلتقيان عند أعلى أنفهـا الدقيق • وأهدابها ترتجف عندما لحظت أنه يطيل النظر اليها :

ـــ نعم رأيتها ، مالها ؟

ـــ صوتها جميل ، جميل جدا ـــ وقبل أن يتم جملته صاح عامل من عمال الشيخ عبد اللطيف الجعيدى والد ابراهيم قائلا :

ـــ هيا اصهلى يازينب ، جاء ضيوفنا ليسمعوا غناءك .

وتمنعت القروية الشابة استحياء فى بادىء الأمر. فتدافعت زميلاتها مستحثات مشجعات .. وسرعان ما دوى صـــوتها فى ذلك الفضاء الواسع الذى لم يكن يحده الا قرص الشمس المختنق الهابط عند أقصى الأفق وأخذت تعيد أغنيتها الريفية :

يا نخلتين فى العــــلالى

يا بلحهم دوا

يا نخلتين عـــلى نخلتين

هم الأربعة طرحوا سوا

واحتشـــدت الفتيات حولها يرددن مطلع الأغنية ، ولكن صوتها برز بين أصوات العشرات من مثيلاتها واضحا ، جليا ، نقيا يسيل رقة وعذوبة وحنانا ..

ولما عاد « هو » الى كفر الزيات ليلتئذ لم يستطع أن يتخلص من أثر ذلك الصوت الغريب الذى كانت ترسله حنجرة زينب القروية الجميلة الشابة ، حتى أن بعض زملائه فى المكتب دهشوا فى اليوم التالى عندما لحظوا أنه لم يكن يقرأ صحيفة الصباح

كعادته فى كل صباح بل كان يتمتم وهو يشخص بعينيه الى سطور الصحيفة :

« يا نخلتين فى العلالى ••• »

— ٢ —

وانقضت بضعة شهور ، وتراكمت الأعمال عليه حتى كاد ينسى أن يتردد على صديقه ابراهيم عبد اللطيف فى «قليب ابيار»، ولكن ابراهيم كان يتردد عليه أحيانا فى مكتبه ، وذكر له ذات مرة أن زينب خطبها أحد فلاحى القرية وربما تزوجها عن قريب••

وفوجىء ذات ليلة وهو راقد فى فراشه باشارة تليفونية من عمدة « قليب ابيار » تذكر بأن المدعو عبد الغفار عليوة شرع فى قتل ابنة أخيه زينب عليوة البالغة من العمر ثمانية عشر عاما بأن طعنها فى بطنها عدة طعنات لم تصبها الا باصابات طفيفة ••

وتسرب الشك اليه من اسم زينب عليوة ، وساءل نفسه : أيمكن أن تكون زينب هذه •• هى نفس زينب التى أشجته ذات ليلة بأغنية « يا نخلتين فى العلالى » والتى ظل صــوتها يدوى فى أذنه مدة طويلة •• يهز مشاعره •• ويسحره سحرا ؟

كان الانتقال فى منتصف الليل لضبط أمثال تلك «الوقائع» الجنائية مما يثير عادة سخط المحققين ، ولكنه أحس ليلتئذ من نفسه برغبة جارفة فى أن يرتدى ملابسه وأن يتجه الى « قليب ابيار » ••

واستقبلته أشجار النخيل من بعيد وهى تتمايل تحت الهواء العاصف ، وتذكره بصوت زينب ..

ولم يكد يصل الى القرية حتى رأى أهلها جميعا قد اجتمعوا حول زينب ، زينب نفسها ذات الصوت الساحر الحنون ، وهى واقفة أمام دار العمدة بثوبها الأسود الممزق ، وقد سال الدم من صدرها .. ولما هبط من سيارة « المركز » أخذوا يشيرون الى الفتاة وهم يضجون ويضحكون ويصفقون ساخرين وصائحين فى أصوات مضطربة هائجة رهيبة ، كأنها لعنة الموت صـــادرة من جوف جحيم :

« يازينب ياوش القملــة .. واش قال لك تعملى دى العملة .. ! »

دهش « هو » لثورة أهل القرية ضد الفتاة صاحبة الصوت الذى طالما أطربهم . وأشجاهم . واجتمعوا حوله فرحين مهللين ..

ولكنه لم يلبث أن عرف السبب، فقد تقدم العمدة اليه وأسر فى أذنه بسبب الجريمة ، ان المتهم ــ وهو عم الفتاة ــ اشتبه فى سلوكها ، وهاله ما تناقله أهل القرية بعد أن لحظوا انتفاخا فى بطنها ، فتربص لها فى الليلة الماضية وهى تعود الى المنزل فى

ساعة متأخرة من الليل وهجم عليها بالسكين يريد قتلها لولا أنها فلتت وأنقذها الخفراء منه ..

أحس « هو » الآخر بسكين تحز فى قلبه ، وتحولت عواطفه كلها الى القروية ذات الصوت الجميل، ولما تقدم اليها ظن المحيطون به من أهل القرية أنه سيصفعها أو يضربها بعصاه فعادوايصيحون: « يازينب ياوش القملة .. » وعندئذ لم يتمالك نفسه من أن يهوى بعصاه على أقربهم اليه ، وأمر شيخ الخفراء أن يفرق تلك الجموع الساخطة على الفتاة المسكينة . ثم اقترب منها فأجفلت ، خيل اليها هى الأخرى أنه سوف يصفعها فرفعت ذراعها وأخفت عينيها الدامعتين ، ولكنه ابتسم وقال لها :

ــ ألا تذكرينني يازينب ؟ ــ فأجابت وهى تستند بظهرها الى جدار دار العمدة ، وقد عاد اليها بعض الاطمئنان :

ــ نعم ، صاحب سيدى .. ــ واختلج صوتها ، وخفضت رأسها فى خجل شديد ثم استمرت قائلة فى تمتمة ضعيفة ــ سيدى ابراهيم .

وخطر له اذ ذاك أن يستدعى عم الفتاة وأن يسأله :

ــ أتعرف من فعل ذلك بابنة أخيك ؟

فأجابه الشيخ وهو يمسح لحيته البيضاء بيده :

ــ لا أعرف ، لا يهمنى أن أعرف ، كان يجب أن أغسل عارنا وعار البلد بدمها النجس ••

والتفت اليها وسألها هى الأخرى :

ــ من هو يا زينب ؟

فهزت رأسها و أجابته فى ثبات :

ــ فلاح من البلد ••

ــ ألا أستطيع أن أعرفه ؟

فعادت تهز رأسها قائلة :

ــ لا ••

ودنا منها ، وهو يشخص الى عينيها الجميلتين ، وقد تجمعت قطرات من الدموع على أهدابها الطويلة وكرر سؤاله :

ــ ألا تودين أن تفصحى عن اسمه ؟

ــ لا ، أبدا ••

ثم أجهشت بالبكاء ••

وقام بكتابة المحضر الذى اعتاد المحققون كتابته فى أمثال تلك المناسبات ، ولما سأل عن صديقه ابراهيم علم أنه كان فى القرية الى منتصف الليل ولكنه تلقى برقية تستدعيه الى القاهرة لسبب هام فغادر القرية قبل حضوره ••

لم يكن فى حاجة الى كبير جهد لكى يعرف الحقيقة ، كانت وجوه أهل « قليب ابيار » المكفهرة وأبصارهم الخافضة تشير الى ذلك الاسم ، ابراهيم عبد اللطيف ، لقد سلمت زينب عرضها اليه فى برهة خضوع ، وحب ، وجنون .

— ٣ —

وانقضت بضعة أعوام ..

عاد « هو » الى الاشتغال بالمحاماة بعد أن مل حياة الريف، وزهد المقعد الحكومى المربوط بسلك حديدى الى المكتب خشية أن ينتزعه أحد الزملاء فى غيبته ، كما أتم صديقه ابراهيم عبد اللطيف دراسته وعين فى احدى وظائف النيابة .

وأمس كان مكلفا بالدفاع عن متهم قدمته النيابة الى احدى محاكم الجنح طالبة تطبيق العقوبة عليه ..

ولمح صديقه ابراهيم جالسا فى كرسى النيابة فحياه وجلس فى مقاعد المحامين ينتظر النداء على القضية التى جاء من أجلها ..

وأمر القاضى بالبدء فى نظر قضايا المتهمين المقبوض عليهم انتظارا لمحاكمتهم ودخل الجنود يدفعون « المساجين » الى القفص ..

ونادى الحاجب .. زينب علبوة .! فانتفض جسمه ثم التفت الى القفص فرأى زينب قروية « قليب ابيار » ، كانت تنظر الى القاضى ، والى ممثل النيابة ، وهى تستند بيدها الى قضبان القفص

دقق النظر اليها فرأى شعرها الأسود وقد تناثر على ثوب السجن الأبيض الذى حاولت المتهمة أن تخفيه بملاءة سوداء كبيرة ، وتبين توا أى طريق ساقتها الحياة اليه .. آثار الكحل الكثيف لا تزال بادية على عينيها اللتين كانتا تشعان ببريق مخيف من السخرية ، والتمرد ، والاستهتار .. بضع أسنان ذهبية تلمع فى فمها ، « لبانة » كبيرة تلوكها لم تهدىء رهبة المحكمة حركتها ... وتدلت الملاءة السوداء عن ذراعها فظهر أثر وشم أخضر يمثل صورة نخلتين كبيرتين ..

سألها القاضى : اسمك ؟

ـ زينب عليوة .. ـ ثم ضحكت ضحكة عالية وهى تنظر اليه وقالت : من قليب ابيار .. ومركزنا كفر الزيات غربية ..

ودهش القاضى لتلك اللهجة الغريبة التى لجأت اليها المتهمة فانتهرها قائلا :

ـ ما هذه اللهجة ياولية .. أنسيت انك فى محكمة ؟

وتقدم الجندى المكلف بحراسة المتهمين اذ ذاك وقال :

ـ ضايقتنا كثيرا ياسيادة الرئيس ، ظلت طول الطريق من السجن للمحكمة تغنى وتضحك ، وتخطف السجائر من الناس ..

وضحك الجمهور فى قاعة الجلسة وضحكت زينب .. وأطلت برأسها من بين قضبان القفص وقالت:

ــ أغنى الآن أدوار أم كلثوم وعبد الوهاب ، ولكن لأجل خاطرك أغنى لك « يانخلتين فى العلالى •• »

ولما ارتفعت بعض ضحكات • دق القاضى المنصة بعنف وشدة وعاد يسألها :

ــ لم ضربت هذا الرجل ؟

فأجابت فى بساطة جريئة :

ــ كنت سكرانة •• ــ ونظر الرئيس الى ملف القضية ليزداد معرفة بالمتهمة الماثلة أمامه ثم تمتم :

ــ آه •• من محترفات الدعارة ؟

ــ نعم ••

ــ ولكنه يدعى أنك شرعت فى سرقة نقوده ؟

ــ لا تصدق كلام الرجال ،ما من حاجة يملكها حتى أسرقها، لو كنت قادرة على السرقة لسرقت من زمن طويل ••

واختلج صوتها •• ودمعت عيناها •• ثم قالت فى صوت منتحب :

ــ ياحسرة •• الناس يسرقوننى منذ طفولتى ••

وقضى الرئيس بحبس المتهمة زينب عليوة شهرا مع الشغل • وانتزعها الجنود من القفص ••

ولما نوديت القضية التالية لم ينتبه « هو » كما لم ينتبه عضو النيابة الى أن النداء قد تم عليها ، لأنهما كانا ينصتان ، وقد شحب وجهاهما وانخفض بصراهما ، الى أغنية « يانخلتين فى العلالى » يرسلها صوت زينب من بين قضبان عربة السجن وهى تبتعد عن باب المحكمة ، تشيعها ضحكات أهل المتهمين ، وصرخات الحراس، بينما كان القاضى يسند ظهره الى مقعده وقد ألقى بقلمه متوقفا عن العمل حتى يعود الهدوء الى قاعة الجلسة ..

وسادت فترة صـــمت قصيرة ، أحس «هو» أنه صمت الحداد ، وعاد الحاجب ينادى على أسماء المتهمين والشهود كأن شيئا لم يحدث ... .

عطر قديم

عطر قديم

— ١ —

« حمدى ..

هل تعلم كيف أكتب اليك الآن ؟

لا أظن ..

لقد عدت منذ برهة الى المنزل بعد أن جبت شوارع القاهرة على قدمي .. لم أرد أن أخرج بالسيارة لأننى كنت أعتزم المرور عليك فى مكتبك .. وذلك السائق الأصفر المغولى المظهر تضايقنى نظراته كثيرا عندما أكلفه المرور على ميدان عرابى .. اننى ... كما

تعلم ــ أخبره دائما أن مدام انطوانيت حائكة الثياب تقيم فى احدى الشقق المطلة على ذلك الميدان ولكن يظهر انه لحظ ان عنوان مدام انطوانيت يعنى .. مكتبك ! لدى ذلك الصنف من الخدم والسواقين غريزة اكتشاف أسرار السيدات .. ولقد احتملت نظراته مرة .. ومرتين .. ولكننى آخر الأمر لم أطق احتمالها . من المؤلم حقا أن أقبل تلك النظرات الساخرة التى توجهها الى عينا هذا السائق ، ولذا فضلت اليوم أن أخرج بمفردى وأن أركب الترام من أمام منزلنا بالعباسية الى مكتبك ..

لم أكن قد ركبت الترام منذ مدة طويلة .. ومع ذلك فقد أحسست بسرور غريب وأنا أجلس فى غرفة الحريم الى جانب بعض صاحبات « الملاءات اللف » أستمع الى حديثهن . كانت احداهن تتحدث عن زوجها الذى تزوج أخرى .. وتصف ضرتها بوصف خيل الى معه انها لابد أن تكون احدى القردة بحديقة الحيوانات ..

ولما مررت عليك فى المكتب أخبرنى الخادم بأنك ذهبت الى وزارة الثقافة .. فتذكرت انك سبق أن أخبرتنى أن الوزارة تفاوضت معك فى شراء حق نشر مسرحيتك الأخيرة عن « رمسيس الثانى » ولذا لم أغضب ..

ولكن ..

ولكنني مع ذلك لا أخفي عنك أنني بعد أن غادرت مكتبك وهبطت الى الطريق واندمجت فيأسراب الفتيات اللاتي لا ينقطعن عن السير في ذلك الجزء من القاهرة تذكرت قول صاحبة « الملاية اللف » التي جاورتني في عربة الترام وهي تقول لزميلتها بصوت متهدج :

ـ صنف الرجال لا يمكن ضمانه ... مجنونة من تصدق كلام الرجال ! .

واذا سألتني لم تذكرت كلام ابنة البلد .. فانني لا أستطيع أن أجيبك .. معقول أن تذهب من مكتبك الى وزارة الثقافة في عمل .. ولم يكن من المحتم أن أجدك في المكتب مادمت لم أحدد معك موعدا معينا فقد ذهبت لزيارتك فجأة .. ومع ذلك كنت أرجح .. أو حتى أميل الى الثقة بأنني سأجدك .. فلما لم أجدك خيل الى أن غيابك عن المكتب شيء من الخيانة لي !

عجبا!.. ربع ساعة قضيتها مع ذات «الملاءة اللف» المجهولة في الترام جعلتني أتأثر بطريقتها في التفكير .. وطريقتها في الالقاء الى حد كبير . انها طريقة مدهشة موفقة .. الطريقة التي تعتمد على « التشويح » باليدين وتحريك أصابع اليد اليمنى ورفعها الى الجبين .. ثم تحريك الحاجبين حركات سريعة .. أقسم لك يا حمدي أنك لو كنت الى جانبي الآن لأمسكت بثيابك ثم صحت بك قائلة في صوت متهدج كصوت جارتي في الترام :

ـــ يا خاين ..

آه .. نسيت أن أخبرك كيف. أكتب اليك الآن .. عندما دخلت الى المنزل كنت أتصبب عرقا . وأتهدج من شدة الحر .. السير ظهرا فى تلك الشوارع عقاب الهى .. فأسرعت بالدخول الى الحمام .. لأزيل تراب الطريق .. وعرق القاهرة التى لا تحتمل فى هذا الفصل القائظ .. ولما تمالكت قواى أحسست برغبة قوية فى أن أكتب اليك .. وأن أصارحك للمرة الأولى بأننى عندما أتفقدك فلا أجدك الجأ عادة الى تلك الزجاجة الصغيرة التى تحتوى على العطر . العطر الذى طالما صارحتنى بانه يسرى فى الشرايين كترياق خفى ، وأنه كالسحر ! لا يعرف سره الا أنت .. وأنا !

لقد فعلت ذلك منذ برهة وجلست أمام المرآة أجمع شعرى كتاج من تيجان أولئك الأميرات الفرعونيات اللاتى وصفتهن فى مسرحيتك الأخيرة .

أؤكد لك أننى اليوم فاتنة يا حمدى .. كان واجبا أن أراك .. ومازلت أحس بأننى يجب أن أراك .. فمتى ؟

٦ من يوليو ..

ريرى »

ـــ ٢ ـــ

« تلقيت رسالتك فى القاهرة وأنا أعد حقيبتى للسفر

للاسكندرية فى أمر يختص بمسرحيتى الأخيرة .. لا تظنى أننى دهشت من لهجتك فى رسالتك الأخيرة .. اننى أعهدك يا ريرى تلك الطفلة الكبيرة التى تثير الاعجاب بذكائها وملاحظاتها الحادة ..

ولكن شيئا واحدا استرعى نظرى فى تلك الرسالة هو قولك لى : انك لم تعودى تحتملين نظرات السخرية التى يوجهها اليك سائق سيارتك الأصفر الوجه .

ما معنى ذلك ؟

حاولت أن أجد فى رسالتك ذكرا لزوجك فلم أوفق .. ولكننى أعرف طريقة الطفلة الكبيرة فى التخابث .

ان ذكر حكاية السائق ونظراته الساخرة نغمة جديدة .. فهمت توا ما ترمين اليه من ورائها . انك تريدين أن تقولى ان زوجك قد لاحظ شيئا وانك لذلك لا تريدين أن يطلع على سر علاقتنا . وفى رسالتك المقبلة ستكونين أكثر صراحة فتخبريننى أنك لست معتادة على الخروج من منزلك فى العباسية بالترام أو باحدى سيارات الأجرة لرؤيتى وانك لذلك تفضلين الاقلال من زياراتك حتى لا يعلم الناس شيئا عما بينى وبينك . أما الرسالة التى بعدها فاننى عندما أفضها سأجد رائحة نفس العطر تفوح منها . وسأقرأ فيها انك شقية تعسة لأن الظروف التى أحاطت بغرامنا ظروف قاسية وانك تودعيننى ولكنك كلما اشتد بك

الشوق الى رؤيتى سوف تسكبين ذلك العطر .. عطـــرنا على شعرك لكى تذكرينى !

لا .. اننى أريد أن أراك .. أسمعت ؟ أريد أن أراك .. ولا أود أن تصلنى منك هذه الرسائل الملتوية التى تتحدثين فيها عن أشياء قد تكون آخر ما أهتم له .

لم أصل الى البلاهة الى حد أن أقبل منك حديثا طويلا عن تلك المرأة المجهولة ذات « الملاءة اللف » ..

فى حين انك قد انقضى عليك أسبوعان دون أن أراك ؟

أين كنت طوال ذنيك الأسبوعين .. ؟ أليس من حقى أن أعرف ؟ أين كنت ؟

من يدرى.. ربما خفت هذه المرة من ساعى البريد ذى الوجه الأحمر فلم تجرئى على الكتابة الى خشـية أن يطلع على سر علاقتنا ! .. أكاد أختنق من هذا الجو الجديد الذى تريدين أن أحيا فيه .. اننى فى الواقع أسافر الى الاسكندرية لأنجو .

٧ من يوليو

حمدى »

— ٣ —

« حمــدى

ما هذا ؟ هل جننت ؟ لم تكتب الى بهذه اللهجة الحادة ؟ ماذا فعلت حتى أستحق كل هذا الايلام ؟

أعرف هذه الناحية الشريرة فى خلقك .. تصطنع حديثا يثيرنى . وقد يبكينى.. هل تذكر يوم خرجت معك فى تلك العربة ذات الجوادين الهزيلين التى استأجرتها من أمام مكتبك ثم أمرت سائقها أن يذهب بنا الى الجزيرة يجوب طرقها الهادئة التى تكاد تخلو من المارة فى تلك الساعة من الصباح ؟ كنت اذ ذاك فرحة لرؤياك .. ولكنك أبيت الا أن تذكر حياتى الزوجية وأن تثير أشجانى وهمومى من تلك الحياة التى انسقت اليها برغم أنفى .. انك تعلم قبل غيرك أننى أعيش مع زوجى دمية شمعية من دمى السيدات التى توضع فى واجهات المخازن التجارية الكبرى والتى تلبسها تلك المخازن أفخر الثياب وأغلاها .. ألم تر يوما احدى تلك الدمى تمثل سيدة فى ثوب من ثياب السهرة والى جانبها دمية أخرى تمثل رجلا يرتدى بذلة السهرة ؟

أنا وزوجى دميتان من دمى المجتمع البراقة !

نأكل معا .. ونسكن معا .. ونخرج أحيانا معا .. وقد يرانا الناس نبتسم معا .. ولكن أولئك الناس أغبياء .. أو قل انهم ليسوا فنانين والا لفهموا أى زيف نعيش فيه ونشقى به .. أقسم لك أننى كثيرا ما أقف أمام واجهة من تلك الواجهات الزجاجية أنظر الى فم دمية جميلة وقد ارتسمت عليها ابتسامة وادعة وأطيل النظر اليها .. حتى يخيل الى أن ابتسامة الدمية أصدق تعبيرا من ابتسامتى أنا .. اننى أنظر الى المرآة

وابتسم فأجد أن ابتسامتى لا معنى لها ولا لون فيها.. ان ابتسامة الدمية أكثر منى احساسا بالحياة الى جانب الدمية الأخرى .

ابتسامة الدمية !

ألا ترى أن هذا عنوان جميل لقصـــة جديدة تكتبها أنت ياحمدى ؟

لا تحاول ايلامى بذكر زوجى يا صديقى العزيز .. انك تعلم اننى لا أكرهه فهو رجل يصادف نجاحا عند غيرى من النساء . كثيرا ما قال لى عندما كان يدخل ليرانى مستلقية على وجهى أقرأ قطعة شعرية بصوت يختلج تأثرا :

« لم تبكين يا منيرة ؟ ما دام الكتاب الذى بين يديك يعذبك مزقيه .. ارمه ! »

كنت فى بادىء الأمر أناقشه لأقنعة بجمال ما أقرأ من شعر ولكننى لاحظت أنه كان يتقبل كلامى بابتسامة ساخرة أليمة كأنه طبيب فى احدى مستشفيات المجانين يســتمع الى هذيان أحد مرضاه ، فعدلت عن محاولة اقناعه وأصبحت لا أكاد أسمع صوت سيارته مقبلة من بعيد حتى أسرع بالدخول الى غرفتى وأغلقها على لأبكى وحدى .

كم أنت خبيث ياحمدى .. لقد استدرجتنى الى التصريح

الك بكل ذلك حتى أزيل ما علق بنفسك وصارحتنى به فى رسالتك الأخيرة .

أريد أن أراك .. لكى أحاسبك على الجملة التى قـذفتها فى وجهى ابان ثورتك اذ قلت لى انك سافرت الى الاسكندرية لكى تنجو .. ممن تنجو ياحمدى ؟ منى أنا ؟

أشك كثيرا فى أنك كتبت هذه الجملة وأنت تعلم الأثر الذى يمكن أن تحدثه فى نفسى .. أريد أن أعرف ماذا تفعل فى الاسكندرية الآن ؟ ان فتيات الشاطىء يغرين .. أليس كذلك ؟ أعرف رأيك فى ذلك النوع من البشرة التى أحرقتهـا أشـعة الشمس : أريد أن أراك وادنى عينى من عينيك لأفهم كل شىء.. مهما حاولت أن تنكر فاننى أستطيع توا أن أفهم ما أقدمت عليه فى غيبتى . أحس بأنك خنتنى .. لست أدرى لماذا أحس تماما بأنك لست بحمدى الذى أعرفه والذى أحببته لأنه كان وفيا لى.

حمدى .. انك تعلم اننى أحبك .. واننى لم أحب أحدا قبلك . انك عزائى الوحيد فى حياة تحيطنى من كل جانب بالشقاء .. ولكن أنت .. أما زلت تحبنى كما أحببتنى ؟ أريد أن أسمع منك جوابا .. أما زلت وفيا لى .. ؟

٩ يوليو

ريرى »

— ٤ —

« سيدتى منيرة هانم

أشكر لك اهتمامك بسرعة الكتابة الى وأرجو أن تكونى فى بيتك أكثر راحة وهدوءا .

الاسكندرية جميلة هذه الأيام . ولكنى أحس بوخز فى رئتى اليسرى . ان هذا الوخز يعاودنى منذ كنت أتلقى دراستى الجامعية فى فرنسا . وقد حذرنى الأطباء منه . ولو أننى أرجو أن يكون هذه المرة بسبب برد عارض فقد بقيت فى غرفتى المطلة على البحر أمس الى ساعة متأخرة من الليل أنقح فى مسرحيتى الأخيرة .

كنت أريد أن أطيل الكتابة اليك ولكنى متعب .. أنا واثق أنك ستقبلين عذرى .

سان استفانو فى ١١ يوليو

حمدى »

— ٥ —

« هل جننت ؟ كيف تخاطبنى بقولك سيدتى منيرة هانم .. أعرف ما يجول بخاطرك الآن .. انك حساس العاطفة الى حد كبير .. لقد فهمت من رسالتى الأخيرة أننى أتعذب بينك وبين زوجى .. فكتبت الى تتمنى لى أن أكون فى بيتى أكثر راحة وهدوءا .

انك طفل كبير ياحمدى .. ولست أنا الطفلة كما سميتنى. عندما أخفى عنك ما يحز فى صدرى من الآلام تغضب ، عندما أصارحك بها تظن أننى ألمح الى رغبتى فى انهاء علاقتى بك، أليس فى هذا مايثير الحيرة؟ ان الظروف وحدها هى المسئولة عن الموقف الشاذ الذى أقفه منك ياحمدى .. اننى أحبك ومع ذلك فأنا لا أستطيع أن أراك كلما أردت أنا أو كلما أردت أنت .. لا أستطيع أن أظهر معك أمام الناس فى الطريق ولا أن أدخل فى مسرح أو سينما متعلقة بذراعك ولا أن أنتشى معك بقطعة من قطع « التانجو » فى مرقص عام .. اننى زوجة .. أليس كذلك ؟ ولكننى امرأة تحب وتغار ككل امرأة .. أريدك لى وحدى . ولا أطيق أن أسمع عنك أنك مللت هذا الغرام الذى نختلسه اختلاسا ، أعلم أنه من المؤلم أن أرجوك الحضور الى دار من دور السينما لتجلس فى مقعد قريب تنظر الى وأنا الى جانب زوجى .. دون أن تستطيع أن تحدثنى أو أن تضغط على يدى ودون أن تملك الحق فى مناقشتى رأيا عن القصة المعروضة .. أو الممثلين الذين يقومون بأداء أدوارهم فيها وهو نوع من المناقشة أحبه أنا وتحبه أنت .. وأعلم أننى أغلو أحيانا فأطالبك بألا تلتفت الى امرأة أخرى .. وان تظل دائما تتجه ببصرك الى..

ولكن .. أؤكد لك يا حمدى أنك اذا كنت تتألم وأنت فى تلك المواقف التى أوقفتك فيها أثناء لقاءاتنا المختلسة .. متباعدين .. فى دور السينما فاننى الآن أكثر ألما . لا أعرف ماذا تفعل ؟

أين تسهر ؟ ولا مع من تقطع الشاطىء جيئة وذهابا فى ثوب البحر ساعة الغروب .

اننى أشقى بالبعد عنك أكثر مما تشقى أنت .. انك تعلم أننى هنا فى بيت زوجى أما أنت فحر .. لا رقيب عليك الا ضميرك .

ما زلت أحس بأن من حقى .. من حق هذا الشقاء الذى يحيطنى أن أطالبك بأن تكون وفيا لى .. مرة أخرى .. اننى أعلم أن شابا فى سنك يود دائما أن تكون غيرة «صغيرته» التى تحبه غيرة مباشرة .. ان مما يلهب الحب أن أراقبك وأعدو خلفك .. أضع أنفى على رأسك فى كل يوم علنى أكتشف عطرا غريبا .. وأقتحم شرفة الفندق التى اعتدت الجلوس فيها خشية أن تكون الى جانب امرأة أخرى ، أحاسبك على تأخرك فى العودة الى المنزل .. أتابع النظرة التى تلقيها من نافذة مكتبك الى العاملة التى تجلس أمام الآلة الكاتبة فى مكتب المحاسب المواجه لمكتبك .. أتشاجر معك .. وأمزق شعرى بسبب وبغير سبب .. هذه سعادة أخرى لا يمكنك أن تشعر بها أنت .. غيرى من النساء العاشقات يتمتعن بها وأنا محرومة منها ولكن .. انى لى ذلك كله؟

ان هذا الغرام المختلس اختلاسا يشقينى أكثر مما يشقيك .. فلا تعمل أنت على زيادة ذلك الشقاء بتلك اللهجة القاسية التى خاطبتنى بها .

.. كم أنا شريرة .. معذرة يا حمدى .

لقد استفزتنى كلمتك فنسيت واجبى نحو السؤال عن رئتك اليسرى التى أخبرتنى أنك تتألم منها . لا .. لا تكن مريضا يا حمدى .. أريد أن أسمع منك قريبا أن ذلك الألم قد زال .. والا فاننى سأفعل المستحيل لكى أحضر لرؤيتك فى الاسكندرية .

قبلاتى الحارة والى اللقاء

١٣ من يوليو

ريرى »

— ٦ —

« منيرة

أكتب اليك ويدى ترتعش .. لا من الحمى التى ارتفعت درجتها عندى فجأة اليوم .. ان هذه الحمى لا تهمنى بقدر ما تهمنى تلك القصيدة التى تركتها تحت وسادتى أثناء زيارتك الثانية لى اليوم فى غرفتى بالفندق وطلبت الى أن أقرأها بعد ان أخبرتنى أنها لشاعرة فرنسية شابة .. لقد أخرجت القصيدة المفصولة فيما يخيل الى من مجلة فرنسية وقرأتها .

ما هذا ؟ كيف خيل اليك اننى أقبل ذلك الحنان المذل الذى أسبغته الشاعرة على عشقيها الشاب .

هل أنت فرحة بذلك المعنى الرقيق الذى تفيض به قصيدة « حنان » التى تركتها تحت وسادتى ؟ هل راقك أن تقول الشاعرة لصديقها :

« عندما تتعذب .
تجعلنى أحبك حبا أعذب من ذى قبل .
ثم أحس بك ضعيفا مهيض الجناح .
إنه ليس شعور حبى لك .. انه حنانى .
الذى يحيطك الآن بلا انقطاع .
من قبل .
كنت أناديك .. ياصديقى الكبير .
ولكنك منذ مرضت .
ومنذ أخذت تئن فى فراشك .

عندما أقـدم لك قدح الدواء الباهت اللون أحس بأنك أصبحت صديقى الصغير .

ان الحنان شىء آخر .
يختلف عن الحب .

الحب أكثر جشعا ... كل من المحبين يجرؤ على أن يطلب من الآخر فى عتو وأنانية :

كل شىء دون أن يهب له شيئا .

أما الحنان فان معطيه لا يطلب .

الا أن يكون الآخر وديعا فيقبل هبة الوفاء المقدمة له »

هل راقك أن تقول الشاعرة لصديقها هذا القول؟ هل راقك أن ترينني أتعذب حتى تحسى نحوى بذلك الحنان ؟

لقد حدثتنى فى رسالتك الأخيرة عن شكك فيما أفعله وأنا بعيد عنك .. صارحتنى بأنك متزوجة وفى هذا ضمان لى لأن هناك من يراقبك فى بيتك .. وانني حر أملك أن أفعل ما أشاء دون رقيب .. ولذا يخيل الى أنك فرحت .. دون أن تشعرى .. اذ رأيتنى مريضا أئن على فراشى ، هذا هو الضمان الذى تطلبينه .. هذا خير ضمان لك .. فليس لمريض أن يتعقب الفتيات على الشاطىء أو يمتع بصره بالمصطافات اللائى يملأن أبهاء الفندق ! أليس كذلك ؟ ألا تجدين فى هذا لونا شريرا ؟

ان الشاعرة تقول لصديقها :

« فى هذه اللحظة .

لا أفكر فى المراقص ولا فى التزين والتبهرج .

ولا فى ارتياد أية حفلة أو ملهى .

رغبتى الوحيدة .

أن أكون الى جانبك . أن أراك تبتسم

أن أسمعك تقول لى :

اننى ظمآن .. أعصرى ليمونة فى فمى » .

آه .. من قال لك اننى أرتضى لرجولتى أن أنتظر مرضى حتى تحضرى لرؤيتى وأن أنتظر ارتفاع درجة الحمى حتى أحس بالحاجة الى يدك تتحسس جبينى والى عصير الليمون تسكبينه فى فمى ؟

أننى أريدك لى معافى ومريضا .. بل أريدك معافى قبل أن أريدك مريضا . أريد أن أقسو هنا فأقول لك ان أية امـرأة أخرى تستطيع أن تعنى بى أثناء مرضى فتقدم لى قدح الـدواء الباهت اللون .. وتسكب عصير الليمون فى فمى .

أشم الآن هذه القطعة الشعرية التى يفوح منها العطر .. عطرنا وأتألم .. لقد كان هذا العطر على الدوام رمز غرامنا القديم .. ولكنى لا أقبل أن أشم عبيره من هذه القصيدة التى تركتها لى رمزا لعاطفتك الجديدة .. ولذا أصبحت أمقت هذا العطر .. كما أمقت الظروف التى أخذت تحول بينى وبينك حتى ألجأتنى أن أكتب هذه الكلمة لأودعك .. اننى راحل يا ريرى فقد أشار على الأطباء بوجوب السفر لأقضى فترة راحة بمنطقة جبلية فى الخارج . لم أحس منذ عودتى بالحنين الى السفر كما أحس الآن .. كنت لى مدى غرامنا الطويل .. نور حياتى .. كنت متعـة هذه الحياة . وفتنتها وعطرها .. ولكننى أحس الآن بأننى فقدت ذلك النور .. وان ظلمة قاتمة رهيبة تحيط بى وتخنق أنفاسى .

لست أدرى لم يغمرنى شعور خفى بأننا قد لا نلتقى .. من كان يصدق يا ريرى أن يأتى اليـــوم الذى أودعك فيــه .. أتخيلك الآن تسـكين هذه السطور بأناملك الرقيقة المرتعشــة ترددين كلمة تلك السيدة المجهـــولة ذات الملاءة «اللف» التى قابلتك مرة فى غرفة الحريم بالترام وسمعتها تقول حكمتها البليغة عن خيانة الرجال وغدرهم .

أقسم لك أننى أحببتك ولم أحب غيرك .. ولكنى عندما لاحظت أن ذلك الحب قد أصابه الوهن فضلت أن أرحل بعيدا جدا حتى اذا فكرت يوما فى أن أثأر منك لغرامى القديم كـان هذا الثأر فى بلد لا تعيشين فيه .

أودعك يا ريرى وأرجو لك مرة أخرى أن تكونى فى بيتك أكثر راحة وهدوءا .

١٥ يوليو

حمدى »

— ٧ —

« ريرى :

أربعة شهور مضت دون أن أسمع صوتك أو أكتب اليـك .. لقد تعمدت أن أترك الاسكندرية قبل أن أترك عنوانى لك حتى أسدل على ماضى غرامنا الستار .. ولكن يظهر أن الله

لا يريد ذلك .. استطعت أن أقاوم تلك الشهور الأربعة لكى أنساك .. ولكننى اليوم اشتريت نسخة قديمة من مختارات شعر « سولى برودوم » اشتريتها من أحد باعة الكتب القديمة على شاطىء السين ثم عدت الى غرفتى لأقرأها .. لم أكد أفتحها حتى فاحت منها رائحة عطر اهتز له كيانى كله ونظرت الى الصفحة المفتوحة أمامى فشهقت .

انها سخرية عجيبة من سخريات القدر يا ريرى .

كانت قصيدة للشاعر الذى أحببته وطالما ترنمت بشعره عنوانها : عطر قديم

كان العطر الذى يفوح من الكتاب القديم هو العطر نفسه، عطرنا ، فكرت فى أول الأمر الا أقرأ القصيدة ولكننى لم أستطع ووجدتنى ألتهم أبياتها التهاما ثم وجدتنى بعد قليل أدور فى الغرفة أبحث عنك .. أين أنت ؟ ما جدوى هذا العطر بدونك ياريرى. ؟

وعدت أقرأ قصيدة « برودوم » التى يقول فيها :

« ولكن أنت أيها العطر القاتل الذى يبكينا ويسكرنا لقد سعى اليك قلبى يلتمس فيك الدواء فلم يجد الا السم الزعاف» .

ياللهول .. يخيل الى أن « برودوم » قد كتب قصيدته

عني وعنك ياريرى .. ان ذلك العطر يسممنى فعلا .. انه يترك فى قلبى شيئا أشبه بجمرة الفحم المحترق ، اننى أشم رائحة الحريق تصعد من قلبى الى أنفى .

ألا تحسين وأنت تقرأين هذه الكلمات أننى أحترق .. ؟

باريس فى ٢ نوفمبر .

حمدى »

— ٨ —

« حمدى :

لا أريد أن ألومك على أنك غضبت لغير سبب فدست على غرامنا بقدم جبارة .

ولا على أنك سافرت دون أن تترك عنوانك .. ولا على أنك ظللت سبعة شهور دون أن تكتب لى ، ولكننى ألومك على شىء واحد .. ذلك انك تعمدت أن تتغافل عن المقطع الأخير من قصيدة « عطر قديم » لسولى برودوم وهو المقطع الذى يقول فيه مخاطبا ذلك العطر :

« ان ذكراك مازالت حية تغذى القلوب .

انها كذلك الحنان المعطر الذى تسكبه فى القلوب لتطهرها عاشقة وفية طاهرة » .

آترى ؟ انك مازلت متأثرا بكبريائك تنكر ان ذلك الحنان له قيمته حتى عند ذلك الشاعر .. انه يشبه به العطر المحبوب.. فما هى جريمتى التى ارتكبتها فأثارتك يوم تركت لك قصيدة الشاعرة الشابة .. التى تتحدث عن الحنان كما يتحدث عنـه برودوم ؟ .

لقد علمت الآن انك تحبنى ياحمدى كما أحبك ويكفى أن أقول لك : ان نسخة مختارات الشعر التىعندى قد فتحتها منذ سافرت أنت علي قصيدة « عطر قديم » ومازلت أعيد قراءة تلك القصيدة حتى اليوم .. اننى أقرأ الآن هذه القصيدة وأدنى أنفى من صفحاتها . حتى لا تفقد أثر العطر الذى وضعته فيها منذبضعة شهور .. أتصدق أن ذلك العطر يحيى أمامى دنيا هائلة من ذكريات غرامنا ومع ذلك فهو .. عطر قديم .. »

امـــــراة حرّت

امرأة مرت

— ١ —

« عزيزى الأستاذ سامى :

تستطيع — وبكل سهولة — أن تعتبر هذه الرسائل تطفلا منى لأن أقدام سيدة على الكتـابة الى شاب لا تعرفه لا يسمى الا تطفلا حتى اذا حاولت برشاقتك أن تخفف من قسـوة هذا الوصف على ..

أما أنا فلم أفكر فى ذلك التطفل الا الآن .. الآن بعد أن اعتزمت أن أكتب وبعد آن تواردت خواطر هذه الرسـالة على خيالى .. خيالى الذى لا أكتمك أنه ظل مقصورا عليك يحوم

حولك كما كان يحوم حول ذلك الشاب الأشقر وهـو يعزف على « الكمنجـة » وأنت تراقص تلك الفتـاة السـمراء النحيفة التى خيـل الى أن سـاعديك ستصهران خصرها فـلا يبقى بعد ذلك الا جذعها الأعلى وساقاها .. وهى دون ذلك الخصر لاتساوى شيئا فى سوق الجمال .. ولقد ملت على أذن صديقتى التى كانت تتناول العشاء معى فى سطح فندق سميراميس أسألها عن ذلك الشاب المحترق الوجه الذى كان يبدو جليا أنه حديث العودة من مصيف . والذى كان يهمس فى أذن زميلته فى الرقص كلمات متتالية سريعة فأجابتنى وهى تدير وجهها الى الجهة الأخرى لكيلا تلحظ أننا نتحدث عنك .

ـ الأستاذ سامى جمـال .

وهنا لا أخفى عنك أننى شهقت شهقة حادة . لم أكن أنتظر وأنا أتفق مع صديقتى علوية على تناول العشاء فى سطح ذلك الفندق المطل على النيل أننى سأرى الأستاذ سامى النحات الشاب الذى لا أذكر أننى اهتززت أمام عمل فنى كما اهتززت عندما وقع بصرى على تمثاله العجيب الذى عرضه فى «متحف الفن الحديث» فى شتاء العام الماضى . والذى أطلق عليه اسم « الحالمة » .. بل اننى لا أخفى عنك اننى يوم شاهدت ذلك التمثال .. كان معى ابن عمى وهو زميل لك فى التدريس بمدرسة الفنون الجميـلة وقد عرض على أن يقدمك الى ففكرت ثم قلت له .

ـ من ينحت تمثالا لمثل هذه الفتاة . لا يمكن أن يعجب بمثلي ! اتركني وحياة أبيك ...

ثم عدت أطيل النظر الى التمثال . تمثال تلك الفتاة المدهشة التي تركتها تنظر الى الأفق البعيد في ابتسامة نحتها نحتا دقيقا حتى خيل الى أنها تبتسم لي .. وأدرت بصري فلاحظت أنها تبتسم لكل من كان حولي . أحسست اذ ذاك بشعور غريب .. شـعور الغيرة .. تصور .. امرأة تغار من امرأة أخرى لمجرد ابتسامة ترسلها الى الآخرين والأخريات .. متى كان ذلك قبل أن تعرض تمثالك في بهو « متحف الفن الحديث » ؟

أقسم أن نظرتها . النظـرة الحالمة التي أرسـلتها عيناها الجميلتان من خلال الأهداب الناعسة كانت توحي توا بفكرة الليل .. و .. الحلم .. كنت أحس بأن الجمهور الذي حولي يتحدث في همس خافت خشية ايقاظ « الحالمة » من نومها الرقيق ..

لم أكن أنتظر أنني سأراك ليلتئذ في سطح الفندق . ومع من ؟ مع تلك الفتاة السمراء .. التي لولا خصرها لما صح أن تراقص طالبا من طلبتك لا يزال يتهجأ طـريقة نحت عروس من عرائس المولد !

لست آدرى لم أجدنى مدفوعة الى الكتابة اليك .. بعد أن رأيتك تمر أمامى مرات عديدة فى حلقة الرقص وأنت بين ذراعى تلك الفتاة أو هى بين ذراعيك .. لعل خاطرا واحدا هـو الذى دفعنى الى أن أكتب هذه الرسـالة .. وأن أرسلها اليك لترى فيها رأيا .. رأى نحات فى رسالة امرأة من أسرة معروفة . لم تكتب الشعر ولكنها تشعر بأن لها فى الحياة نظرة تختلف عن نظرة غيرها ... يخيل الى يا سيدى ان خصر تلك الفتـاة التى كنت تراقصها لا يمكن أن يتسنى لمن كان لها جسمها .. الصدر البارز فى غير تناسق والساقان المنتفختان .. وذلك الوجه الذى يؤكد انحدارها من جدة لا يمكن الا أن تكون جارية سوداء . ذلك الخصر لا يمكن أن ينفرد بالجمال دون باقى أعضاء الجسم.. فما السر اذن ؟

أتعلم ما الخاطر الذى خطر لى ؟

السر فى جمال خصرها هو ذراعك التى كانت تطوق ذلك الخصر ..

ألم تفكر أنت فى ذلك عندما دعوتها للرقص ؟ . اننى واثقة أنك فكرت .. فكرت فى أن الناس لن يطالبوك ـ كفنان موهوب نابغ ـ بأكثر من أن تضع ذراعك على شىء جميل . أما الباقى فليس من شأنك . لست لذلك مسئولا عنه ..

.. لقد أطلت الحديث معك .. من يدرى ؟ ربمـــا كنت منهمكا الآن فى نحت قطعة جديدة . ولكن .. اغتفر لى ذلك.. ألست متطفلة ؟

أحييك ياسيدى . وأرجو أن تقبل منى اعجـــابى الشـــديد بتمثال « الحالمة » وبخصر الفتاة السمراء التى راقصتك ليلة كاملة .. خصر بلا وجه ولا صدر ولا ساقين . ولا روح .. ولا .. ولا امرأة ..

المنيرة فى ٢٥ أكتوبر

« أمينة »

ملحوظة ــ ترددت فى أن أذكر لك عنوانى ولكننى انتهيت الى ذكره . لست أدرى لم أريد أن أسمعك . أعنى أن أقرأ لك شيئا بخطك . يخيل الى أن خطك يشبه تلك التجعدات الخفيفة التى تعمدت أن تتركها تحت صدر «الحالمة» . أهذا صحيح ؟

ــ ٢ ــ

« سيدتى

« أريد أن أصارحك بأننى كنت أود ان آسر لنفسى كلمة شكر لك عقب أن انتهيت من قراءة رسالتك ثم أضعها حيث اعتدت

أن أضع مثيلاتها ولكننى أحسست بأن خلف سطورها تكمن امرأة لها شخصية « أصيلة » • فذة • تميزها عن الاطار العام وتخرجها عن المألوف • ولعلك تعلمين أننا ، أو بمعنى أدق وأصرح ، أننى كفنان لا يتسنى لى أن أعثر فى الوسط الذى أعايشه على مثل هذه الشخصية الا نادرا ••

اننى أستعيد الآن ذكرى ليـلة الأحـد الماضية الليلة التى رقصت فيهـا سـميحة هانم ومررت ــ كمـا تقـولين ــ من أمامك مرات عديدة دون أن أشـعر بأن عينيك تراقبان فى خبث ناقد قسمات جسمها • أستعيد ذكرى تلك الليلة بعد أن قـرأت رسالتك ثم أسائل نفسى : « ماذا تقصد من هذه الرسالة ؟ »

أعرف أن السيدات يفضلن دائما الالتجاء الى ذلك النـوع المبهم الغامض من الحديث اذا تقدمن الى رجل غريب • وان من أثقل الأمور أن يوجه اليهن هذا السؤال •• ولكننى أصر على أن أسألك « ماذا تقصدين » ؟

ان سميحة هانم لم تسىء اليك قط • أليس كذلك ؟ فلم هاجمتها ياسيدتى تلك المهاجمة القاسية •• ؟ اننى بالنيابة عنها أشكر لك اعجابك بخصرها •• أما الباقى فلا شأن لى به •• كما أظن ألا شأن لك به أنت الأخرى • •

أريد أن أقول لك ان الفنـان لا يطلب منه أن يصـادق

من يريد الناس له أن يصادقهم .. فالجمال قد لا يكون فى الصدر أو الساقين . قد يكون مثلا فى روح المرأة وهو شىء ليس من حق الناس أن يناقشوه وقد لا يكون فى مقدورهم أن يحسوا به .

أكتب اليك الآن قبل أن ألقاك ، أو أعرفك ، لأننى أحس بأن لك جمالا من نوع آخر ، جمال تلك الشخصية القوية التى تريد أن تسيطر وتملى رأيها ومع ذلك ـ واغتفرى لى هذه الجرأة ـ فمن يدرينى ما قسمات وجهك أو شكل ذراعيك وساقيك .. هذا هو آخر ما اهتم له .. اننى أحلم الآن بامرأة .. تتـذوق الفن الذى أحبه وتستطيع أن تتحدث عنه برشاقة وقوة . أما ما عدا ذلك .. فلا شأن لى به ..

ما رأيك فى خطى .. ؟ لا أظنه كتلك التجعدات التى لاحظتها تحت صدر « الحالمة » فى « متحف الفن الحديث »

.. كم أنت حساسة الملاحظة يا سيدتى . حتى « الحالمة » التى أعجبت بها ذلك الاعجاب الشديد لم تخل من غمزة سريعة خفية أو قرصة . ألا تقريننى على أن فتاة فى سن « الحالمة » من حقها أن تغضب اذا قيل لها ان التجعدات قد بدأت تظهر تحت صدرها الجميل . من حقها هى آن تغضب لذلك ، فى حين أنه

لا حق لى أنا أن أغضب اذا شبهت خطى بتلك التجعدات التى يخيل الى ألا أثر لها الا فى .. فى خيالك الجميل ..

لك ياسيدتى احترامى وتقديرى .

المرج فى ٥ نوفمبر

المخلص

سامى جمال »

— ٣ —

« عزيزى الأستاذ سامى

كان أول ما أردت أن أطمئن عليه عندما تلقيت رسالتك أن أنظر الى خاتمتها .

ولكنى لم أكد أفعل حتى ألقيت رأسى على أقرب وسادة الى .. وشردت .. شعرت بما يشبه خيبة الأمل .. لأننى ظللت ثلاثة أيام منذ بعثت اليك برسالتى أحلم برسالة تصلنى منك وفى نهايتها هاتان الكلمتان « والى اللقاء » ولكنك لم تفعل .. بل انك .. سألتنى ، فى بلاهة كتلك التى يتظاهر بها بعض الأطفال الخبثاء لينتزعوا من أمهاتهم اعترافا .. بأمر يعلمون هم حقيقته، عما أقصد من الكتابة اليك !

ألا تعلم أنت يا سيدى ماذا أقصد من الكتابة اليك ؟

ماذا يمكن أن تقصد شابة فى الثامنة والعشرين من الكتابة

الى شاب فى نحو الثلاثين .. رأته صدفة فى مرقص بعد أن أعجبت به من قبل وسمعت عنه الكثير من الثناء ؟

أكتب اليك الآن وأمامى المجلة التى تضـم صورا لبعض تماثيلك التى أرسلتها الى لندن لتعرض فى معرض الربيع القادم. أطيل النظر الى هذه الصـور وأهز رأسى .. يخيل الى أن ناحت هذه التماثيل لا يمكن أن يكون رجلا كباقى هؤلاء الملايين من الرجال الذين نراهم يملأون هذه الدنيا . انه رجل من طراز آخر .. رجل « منحوت » من طينة أخرى .. لا .. بل اننى أريد أن أقول انه لا بد أن يكون مجنونا .. حتى تخطـر له هذه الخواطر الرائعة التى تلهب حواسه وتحيل تلك الحواس الى هذه القطع الفنية العجيبة ..

نعم .. اما أن تكون مجنونا واما أن تكون عاشقا ..

لم لا ؟

هل تحب ياسيدى ؟

وهل من حقى أن أسألك .. من هى تلك السعيدة التى توحى اليك ذلك الوحى الجميل .. ؟

أهى تلك السمراء التى سمحت لنفسها أو سـمح أهلها لأنفسهم أن يطلقوا عليها اسم « سميحة » .. ما هذا ؟

يخيل الى أن عينى تلك الفتاة التى كانت تراقصك تشبهان عينى تمثال « الحالمة » . هل هذا صحيح ؟

أعصر ذاكرتى الآن لأستعيد ملامح تلك الفتاة السمراء وكلما مر الوقت زدت يقينا بأنها هى التى أوحت اليك بفكرة تمثال « الحالمة » ..

لست أدرى لم .. لم أغار .. لم أحقد على تلك الفتاة.. اننى لم أتبين هذه الحقيقة الا الآن .. ما السبب فى حقدى ؟

لم لا يكون هذا السبب هو اعجابى الشديد بالتمثال .. كم كنت أفضل أن يكون وحيك أجمل من تلك السمراء التى تنحدر من أصل لا يمكن الا أن يكون قد اعترضته جارية سوداء ..

لا أريد أن « أعطى عقلى لغيرى » .. تجرأ أنت واسألها . وأنا الكفيلة بأنها ستجيبك بأن أصلها لم يخل من تلك الجارية..

أخشى أن أكون قد أثقلت عليك ولذا أتركك الآن ولا أقول .. الى اللقاء .

٦ نوفمبر

أمينة »

— ٤ —

« عزيزتى أمينة هانم

لست أدرى اذا كنت أنا المجنون ، اذ أنحت تلك التماثيل التى أثارت كل هذا الجو بينى وبينك أو انك أنت المجنونة اذ تكتبين كل هذا فتعجبين . وتغـــارين . وتثورين . وتحقدين وتحسدين وتهدئين ثم تتركيننى دون أن تقولى لى الى اللقاء ؟

ما زلت أصر على أنك تمتازين بشخصية جديرة بأن يعرفها الفنان وأن يتودد اليها .

كنت أريد أن أطيل الكتابة اليك ولكنى أود انجاز تمثال نصفى أريد أن أسميه « امرأة القدر » .. سترينه لو تفضلت بالمرور على « المكان » الذى أنحت فيه تماثيلى فى منزلى بهذه الضاحية النائية .. ولذا أتركك وأنا أقول .. الى اللقاء ...

٩ نوفمبر

سامى »

— ٥ —

« عزيزى سامى

لو لم أكن أترفع عن التشبه بصديقتك سميحة الفتاة السمراء لقلت لك اننى خيل الى وأنا أجـــوب خلفك أنحاء «مرسمك» الرشيق فى المرج اننى كنت « حالمة » ..

ما هذا ياصديقى ؟

كلما زدت معرفة بك أيقنت بأننى أمام شخصية شـاذة جبارة . ان هذا الجو الذى تعيش فيه يلهب احساس كل امرأة شاعرة فنانة . وان لم تكتب الشعر . وان لم تنحت التماثيل .

يخيل الى انك كنت تعرف بأن من حقك أن تحبك النساء . لقد مددت ذراعك وأنت تقودنى الى داخل « المرسم » ودفعتنى من خصرى دفعة رقيقة وأن تقول :

ـ أنظرى يا أمينة .. هذا هو تمثال « امرأة القدر » ـ أحسست اذ ذاك برجفة وسألت نفسى : كيف استباح هـذا الشاب لنفسه أن يطوق خصرى وأنا أزوره للمرة الأولى ؟ وتذكرت اذ ذاك أننى صفعت ابن عمى .. ابن عمى اسماعيل رمزى زميلك فى التدريس الذى أراد أن يقدمك الى يوم رأيت تمثالك للمرة الأولى . صفعته لأنه أمسك بيدى ذات مرة وضـغط عليهـا وحاول أن يجذبنى ، ولما صرخ واجتمع من كان بالمنزل ، فضحته أمام الجميع فضيحة لايزال يذكرنى بهـا حتى الآن ، أما أنت يا صديقى فاننى تمنيت لحظة شعرت بذراعك حول خصرى أن تضغط .. وتضغط حتى تحطمنى .. تمنيت أن تذيبنى . أن تصهرنى .. وأن تجعل منى عجينة كتلك العجينة التى تخلق منها تماثيلك ..

اننى أفخر أن أكون عجينة بين يديك .. من حقك أن تعطينى الشكل الذى تريده .. لا .. بل أن تمنحنى ذلك الشكل

أيا كان .. منذ اليوم أضع روحى وجسمى فى الزاوية التى تختارها بمرسمك الصغير .. فاليوم الذى أستطيع أن أوحى اليك بفكرة ما عن قطعة فنية تروق لك هو يوم هنائى المنشـود . ان كلماتك لا تزال ترن فى أذنى . كلماتك التى قلتها لى وأنت تشخص الى عينى طويلا .. وقد لمعت عينـاك ببريق خاطف عجيب :

ـ ميمى .. قلت لك قبل أن أراك انك مدهشة أردت أن أسألك اذ ذاك :

ـ صحيح ؟ ـ ولكننى لم أستطع . حتى هذا السؤال التقليدى الذى ينم عن تواضـع واجب فى مثل ذلك الموقف أحسست بأن ليس من حقى أن أوجهه اليك .. انك تملك أن توجه الى ما تشاء من عبارات الثناء ، وأنت تطل على بعينيك من فوق قامتك العالية . وأن أسمع أنا ذلك صاغرة .

والآن .. بعد أن تحررت من نظراتك .. هل أنا مدهشة حقا يا سامى ؟ أريد أن أسـمع هذه الكلمة من فمك مـرة . مرة أخرى. بل عشرات المرات .. ملايين المرات.. انها لى ثروة الدنيـا بأسرها . اننى أبكى .. لست أدرى لماذا .. ثـم هأنا أضحك بصوت عال فى الغرفة الخالية الا منى ومن صورة لك فصلتها عن احدى المجلات . اننى أغمر صورتك بقبلاتى ودموعى ..

ألست مجنونة ؟ ألم تقلها لى أنت ؟ أيمكن أن توحى اليك المجنونة بفكرة متواضعة ؟

ان أقصى ما أتمناه أن تحبنى بعض الحب الذى أكنه لك . ولكننى مع ذلك لا أريد أن أكون أنانية فى هذا القدر الضئيل . أريد أن يكون غرامنا « مفيدا » لك يا سامى حتى تذكرنى ..

أقبلك .. أقبلك .. وثق اننى لك

١٤ نوفمبر

ميمى »

— ٦ —

« ميمى

ماذا حدث ؟

لقد انتظرتك أمس فى شرفة سميراميس فى الموعد الذى اتفقنا على تناول الشاى فيه فلم تحضرى ..

انك لا تستطيعين أن تتصورى كيف مرت الفترة بين الساعة الرابعة والخامسة بعد ظهر أمس . وأنا أنتظرك . كنت كالمجنون يستفزنى بوق كل سيارة مارة فأقف وأهرول الى نافذة الشرفة أطل على ذلك الطريق الهادىء البديع الذى طالما سرنا فيه بعد قضاء السهرة ذراعى حول خصرك ورأسك على كتفى ولكننى

كنت أعود فى كل مرة الى مقعدى وأنا أتلفت حولى خشية أن أكون قد أثرت التفات أحد ..
وأنا أتلفت حولى خشية أن أكون قد أثرت التفات أحد ..

وقد وصل الى آنفى من بعيد عطر يشبه العطر الذى اعتدت أن تضعيه فاعتقدت انك لا بد أن تكونى قد أتيت فى النهاية وتظاهرت اذ ذاك بقراءة مسرحية أخفى عنك اسمها الآن لـــكى أخبرك بها فيما بعد .. انه اسم موفق بديع .. ولكن امرأة مرت بجانبى ولم تكن المرأة هى ميمى العزيزة ..

أين كنت يا حبيبتى ؟ أخشى أن تكونى قد مرضت أثر تلك الســـهرة التى قضيناها معا فى طريق الهرم .. لقد قلت لك أكثر من مرة : زجاج نافذة السيارة مكسورة لفى حاجة على رقبتك ، ولكنك فى كل مرة كنت تقتربين منى وتدفنين أصابعك فى شعر رأسى وأنت تقولين : لا أشعر بالبرد .

انك عنيدة الى أقصى حد .. حتى لو جـــرك العناد الى الهلاك ..

وجبارة فى عنادك .. حتى البرد تريدين أن تهزئى به ..

أريد أن أطمئن على صحتك . هل تأثرت حقا من برد تلك الليلة ؟

فى انتظار ردك •• أقبلك واغتفر لك ساعة قضيتها كالمجنون الى جانب مائدتنا بشرفة سميراميس •

١٠ مارس

سامى »

— ٧ —

« سامى

أشكر لك كلمتك الرقيقة • لست مريضة • ولا أخفى عنك اننى ارتديت ثيابى لكى أحضر اليك فى الموعد الذى اتفقنا عليه • ولكننى عندما وقفت أمام المرآة فكرت قليلا •• ثم عدلت عن الحضور فخلعت ثيابى •

لا أريد أن أرهق أعصابك المتعبة بسرد الأسباب التىحملتنى على ذلك • فأنا أعلم أنك تسجن نفسك فى مرسمك معظم ساعات النهار • ومن حقك بعد ذلك أن تهدأ وتستريح • ولكننى أكتفى بأن أقول لك اننى تبينت بعد هذا الغرام القصير اننى كنت مخطئة اذ اندفعت نحوك هذا الاندفاع •

لقد أقبلت على حبك متناسية أنك أحببت قبلى عشرات النساء • من يدرى ؟ ربما مئات النساء •• بل اننى عرفتك وأنت

بين ذراعى امرأة . اعترفت لى أن نظراتها أوحت اليك بفكرة تمثال « الحالمة » .. التمثال الذى شدنى اليك قبل أن أراك ..

أليس فى هذا أقصى ما يمكن من المساس بعزة امرأة !

أترى .. مرة أخرى .. لقد أحببتك لأنك أجدت تصوير امرأة أخرى كنت تعرفها قبلى ..

كلما تذكرت هذه الحقيقة ارتجفت .. ولقد كنت أرتجف كلما وضعت فمى على فمك .. لاننى لا أعلم كم امرأة أخرى قبلها هذا الفم قبلى ..

انك تحـدثنى عن البرد الذى كان يمكن أن يصيبنى من نافذة غربتك ذات الزجاج المكسور .. أى برد ياصديقى ؟

ان هذا الحنان الذى أظهرته نحوى ليلتئذ اذ طلبت الى أن أضع شيئا حول رقبتى أظهرته أنا نحو خادمتى التى أعنى كل ليلة بتغطيتها واقفال نوافذ حجرتها قبل أن تنام ..

ما تمنيت هذا الحنان . بل اننى كنت أفضل ، ان لم أجد ما يحمى رأسى أو صدرى ، أن أقف الى جانبك فى الهواء الطلق عارية الرأس والصدر تحت وابل المطر المنهمر ذات ليلة من ليالى الشتاء القارس البرد لو أننى كنت أثق من أنك لى وحدى ..

أعود فأكرر اننى لا أريد أن أرهق أعصابك بالاستماع الى

هذا الحديث . حديث العاشقة المجنونة .. بل اننى أصارحك منذ اليوم انك ستستريح من هذا الارهاق الى الأبد . أليس من حقى أن أفكر وأنا أتخطى الثلاثين فى مستقبلى .. فى الزوج الذى يمكن أن يشاركنى فى الحياة والذى أضمن الا ينافسنى فيه غيرى ؟

كنت أود أن أقول لك « الوداع » هنا ولكننى لم أستطع..

لست أدرى كيف أختم هذه الرســالة .. اننى حيرى يا سامى .. أقبلك .. لا .. ما هذا ؟ .. اننى أبكى . مع انك الى المرة الأخيرة لم تسىء الى .. أبكى لأننى يخيل الى أننى سأعترض بهذه الغيرة مستقبلك .. انك خلقت لكى تكون حرا طليقا .. لكى تحلم كل ليلة حلما جديدا دون أن يزعجك أحد ..

ولكى يداعبك مرة فى حلم لك .. طيف .

١٢ مارس

« ميمى »

— ٨ —

« سيدتى أمينة هانم

أرجو قبل أن تتمى قراءة هذه الرســالة أن تعودى الى رسالتى الأخيرة . الرسالة التى حدثتك فيها عن ساعة الانتظار

التى قضيتها فى شرفة سميراميس • فى تلك الرسالة أخبرتك اننى كنت أتلهى بقراءة مسرحية •• أخفيت عنك اسمها ••

هل تعلمين ما اسم تلك القصة التى لم أرد أن أقسو باخبارك عن اسمها ؟

اسمها ياسيدتى هو « امرأة مرت •• »

أترين ؟ ••

كنت أحس بأنك ستقفين منى هـــذا الموقف الذى تنم عنه رسالتك الأخيرة • كنت أحس بأنك بدأت غرامنا ملتهبة الحواس • فياضة الشعور • عظيمة التظاهر بالتضحية من أجلى ومن أجل مستقبلى وفنى ••

بل انك أخبرتنى أكثر من مرة فى أسلوب شاعرى أخاذ انك تتمنين أن أذيبك وأحيلك الى « عجينة » أنحت منها أحد تماثيلى وكنت تعلمين اذ ذاك أننى عرفت غيرك من النســاء والفتيــات وصــادقت منهن العشرات •• ولكنــك مع ذلك صــارحتنى بتلك الرغبة فى التضحية ولا أدرى هل كنت تعلمين أو لا تعلمين أن ذلك النوع من العواطف العريضة يلهب حاسة الفنان ويخلق فى قلبه أنواع الالهام ؟ نعم لك ان تعلمى الآن يا سيدتى ان غيرى قد يفتنه اندفاع امرأة فى حبه ذلك الاندفاع الجارف فيدل ويتيه

أما أنا .. أما أى فنان فانه على النقيض ــ كما قلت لك ــ يغريه ذلك النوع من الاندفاع على الحب .. والوله .. اننى أطمئن الى ذلك النوع من الشخصيات التى لا تقيم وزنا للأوضاع التى تعارف عليها العشاق . وتأبى التمهل فى اظهار العـــاطفة . وتكشف عنها ســـتار الرياء والتــكلف . ولقــد ســبق أن صارحتك بأننى اكتشفت فيك « شخصية أصيلة . فذة .. » ثم لعلك اكتشفت بعد قليل أننى أحببتك حبا . ان لم يكن أكثر من حبك المفاجىء فهو لا يقل عنه . أؤكد لك اننى اعتبرت غرامنا الذى بدأ من جانبك شيئا علويا ساميا .. خاطرا فنيا رائعا .. أليس أروع الخواطر هو الذى يرد على الخيال فجأة دون سابق تمهيد أو أهبة ؟

أؤكد لك أننى كنت أتمنى أن يدوم هذا الغرام وألا تلوثيه بهذه الغيرة التى هبطت بك الى مستوى غيرك من النساء .

ولكنك أبيت الا أن تكونى امرأة كغيرك فثرت هذه الثورة الغريبة التى لا مبرر لها . ولا سبب يزجيها الا انك تبينت أننى أحبك ..

أنت واهمة اذا خيل اليك أنك تستطيعين بهذا اللون من ألوان التفكير أن تحتكرى عاطفتي . يا للأسف ! لقد استطعت أن تنتزعينى من حب غيرك ولكنك بموقفك الأخــير تعيديننى الى الحياة التى كنت أريد أن أنجو منها على يديك ..

لقد مررت ياسيدتى كما مر غيرك دون فارق الا أننى أحببتك •• فترة ما ثم مات الحب ••

هل تعلمين الى أين أنا ذاهب الآن ؟

اننى ذاهب لكى أرفع اسم تمثالى الأخير وأضع بدلا عنه ذلك العنوان الذى راقنى ولو أننى أعلم أنه لن يروقك :

امرأة مرت ••

١٤ من مارس

سامى »

ذكرى الغرام

ذكرى الغرام

ـ أتبكين ؟

ـ اننى أضحك .. ألا ترى عينى ؟

ـ ولكننى أسمع صوتك .

ـ ماذا سمعت ؟

ـ أنين الدموع .. لم تبكين ؟

ـ لأننى أحبك .

ـ مجنونة ..

ـ كيف ؟

ـ لأنك تبكين وأنا معك .

ـ متى ؟

ـ اليوم ..

ـ وغدا .. بعد غــــد .. من يدرى ؟ أتكون معى أم نفتــرق ؟

ـ ولكن لم تخطر لك هذه الأفكار السود ؟ ..

ـ قلت لك لأننى أحبك ، كلما فكرت فى يوم الفــراق ضحكت عيناى وبكى صوتى .. أتخيل نفسى اذ ذاك وقد دفنت رأسى فى وسادة كبــيرة ثم أجهشت بالبــكاء .. أريك الآن ضحك عينى وبكاء صوتى أما الضحك فلن أعرفه بعدك .. لن يرى رجل غيرك هاتين العينين الضاحكتين .. أما البكاء ، فسيراه الجميع فى عينى وصوتى وروحى .. سأبكى للجميع ..

ـ انك تفكرين فى أمر لن يحدث .. أحقا أننا سنفترق يوما ما ؟

ـ آه .. أحقا اننا سنبقى معا الى الأبد ؟

ـ لم لا ؟

ـ أقسم لى .

ـ الا تثقين بكلمتى ؟

ـ ولكننى لا أثق بالمستقبل .. لقد غدرت بالكثيرات قبلى .. فلم لا تغدر بى ؟

ـ اذن فالذنب لن يكون ذنبى .

ـ أترى يا رأفت لقد بدأت تحتاط .. قبلنى .

ـ لم أقبلك . ألا تطمئنين الى ؟

ـ أريد أن أطمئن .

وقبلها رأفت اذ ذاك . قبلة سريعة . فقالت له :

ـ أريد أن أثق ـ وعاد يقبلها بحرارة وقوة . ثم نظر اليها بعينيه الواسعتين وهو يتمتم .

ـ ماذا تريدين الآن ؟

فأجابته وهى تغمض عينيها :

ـ أريد أن أموت .

فشهق شهقة حادة وسألها :

ـ لم .. ؟

ـ آه . لو مت الآن يا رأفت كما أنا سعيدة بين ذراعيك اذن لأرحت نفسى من عذاب الشك فى سعادة المستقبل .. كيفه

يمكن أن أحرم هذه النظرات التى تغمرنى بها ، أتعرف ماذا يحدث لى عقب كل لقاء ؟ .. لا أكاد ابتعد عنك حتى أحس بجسمى كله يرتعد .. أتذكر يوم توغلنا بالسيارة فى صحراء سـقارة .. فى الشهر الماضى ؟ ..

ـ أذكر ..

ـ رأينا حمامة بيضـاء هبطت الى عـين ماء بعيدة ووضعت رأسها فيها ثم أخرجتها منها وهى تنفض المـاء عنهـا بعـد أن اغتسلت ؟

ـ سألتنى اذ ذاك وأنت تطيلين النظر الى :

أيمكن يا رأفت أن تستغنى الحمامة عن هذه العين ؟ فـلم أفهم ما كنت ترمين اليـه .

ـ منذ ذلك اليوم اكتشفت سر تلك الرعدة التى تعترينى كلما التقيت بك ثم ابتعدت عنك . اننى أستحم فى هذه النظرات يا حبيبى .. أحس وأنا مقبلة اليك بأن آلاف النظـرات التى يوجهها الناس الى قد لوثت جسدى .. فاذا جلست الى جانبك تبينت لى حاجتى الى التطهر .. لا يمكنك أن تتخيل معانى الحنان والدعة والنبل التى تسبغها نظراتك على .. اننى طيرك الصغير الذى يرد عين الماء فى الصحراء ليشرب ويستحم .

ـ لم تشبهين نفسك بالطير الضعيف ؟
ـ ألا يروقك هذا التشبيه ؟
ـ أظنه لا يروقنى .
ـ ولكنه يروقنى أنا .
ـ ولم ؟
ـ لأن سعادتى فى أن أكون ضعيفة .
ـ ولكنك قوية ياسعاد .
ـ كيف ؟

ـ ان قلبى يخفق عندما أراك من بعيد .. ويداى تتثلجان .. وأتبين صدرى وهو يعلو ويهبط كأننى ألهث .

ـ أنت واهم اذا خيل اليك أننى قوية .. ان ما يحدث لك احساس منك بضعفى .. ان رأس الحمامة الصغيرة الضعيفة اذا مس الماء يضطرب له سطح تلك العين فى الصحراء .. ومع ذلك فالعين أقوى وأعمق . وأشد مهابة . ان تلك العين تخيف الرجل القوى لا الحمامة الصغيرة .

ـ لم أكن أعلم أنك شاعرة .
ـ ألست أحبك ؟
ـ أجل .

ـ أتسألنى بعد ذلك كله .. هل أحبك ؟ ظننت أنك أكثر ذكاء ..

* * *

وكأنها تشبث أن يغضب فعدت مسرعة وعدا خلفها . غاص اذ ذاك كعب حذائها العالى فى الرمل النـــاعم الأملس بسفح الهرم ، فخلعت الحذاء وأسرعت تتابع العدو وهـو يعـدو خلفها ويصيح :

ـ سعاد .. انتظرى .. ممن تخافين ؟

وهى تلتفت اليه بين كل برهة وأخرى لتقول :

ـ منك .. انك تخيف يا رأفت .

ولكنه لحق بها أخيرا .. وطوقها بذراعيه .

كان الليل قد هبط اذ ذاك لكى يحول ذلك الجزء من صحراء مصر الى تحفة فنية غامضة . مبهمة . ساحرة يحار فى فهمها الكون . وكان القمر يبزغ جريئا واضحا يطل من سـماء الصحراء كأنه يضىء للشفاه سبيل القبلة . وأدنى رأفت فمه من فمها .. وأغمضا العيون .

أحست بحاجة الى الراحة بعد طول العدو فأسندت رأسـها الى صدر رأفت وأخذت تشخص الى أفق الصحراء البعيد وقد اختفى خلف ستار الظلام .

كان ذلك الأفق الغامض يذكرها بمستقبل غرامها برأفت ،

المستقبل الغامض الذى لم تكن تعرف عنه اذ ذاك شيئا بعد .

وقضيا فى صمت الصحراء مدة عادا على أثرها الى القاهرة فأوصلها رأفت الى منزلها فى شارع المبتديان وتابع هو سيره الى منزله بالعباسية .

كانت سعاد قد قطعت من قبل عشرة أعوام من طفولتها فى القسم الداخلى باحدى مدارس الراهبات .

لقد عرفت رأفت عبدالعزيز عندما كان طالبا باحدى المدارس الثانوية ، لم يكن منزله مجاورا لمنزلها ، ولم تلتق به مصادفة عند احدى قريباتها أو صديقاتها .. انها لا تذكر كيف أحبت رأفت ؟ أحبته قبل أن تراه وقبل أن تسمع صوته .. بل قبل أن تعرف اسمه .

لقد أحبت رأفت وهى تستقبل السابعة عشرة من عمرها .

ولم تكن تعرف عن الحب الا اسمه مكتوبا فى بعض القصص التى كانت تقرؤها فى عنبر « الداخلية » على الضوء الخافت الهزيل الذى كان ينفذ من « شراعة » باب العنبر الكبير . وكانت « الأخت » انتوانيت تعاقب كل من تضبط وهى تقرأ شيئا غير المقرر فى مناهج الدراسة والطالبات الأخريات يخرجن آذانهن من تحت أغطية الأسرة ليصغين الى سعاد وهى تتلو ما أجراه المؤلف من حوار عاطفى بين شخصيات القصة . فى صوت خافت تحرص على ألا يصل الى مسامع الأخت انتوانيت .

فى ذلك الوقت تفتح قلبها لتستقبل شيئا جديدا لم يكن لها به عهد من قبل .. شيئا غريبا مجهولا .. كانت تسأل نفسها وهى تدخل احدى دور السينما وترى وجوه آلاف الشبان الذين يطيلون النظر الى الفتيات فى شراهة ونهم : أى واحد من هؤلاء سيخفق قلبى لحبه ؟.

وكانت ، فى كل مرة ، تجيب توا بأنها ستحب شابا يكبرها ببضعة أعوام .. فى الخامسة والعشرين على الأكثر . طويل القامة أطول منها بقليل .. حتى اذا ما ألقت رأسها على صدره أحست بذقنه تربت على شعرها . قمحى اللون ، لأنها كانت منذ طفولتها تكره الفيران البيض وتشبه البيض من الشباب بها . أسود الشعر فى شىء من الخشونة . ضخم الصوت الى حد الايحاء بانه لا يتكلم وانما يملى أمرا أو ارادة .. شاعرى النزعة .. بحيث تحس وهى تستمع اليه يحدثها عن حبه انه يرتل قصيدة .. قصيدة أحب الى قلبها من تلك القطع الشعرية التى كانوا يلقنونها لهن بالرغم عنهن فى المدرسة .

لم تكن تشك وهى تفكر فى كل ذلك على مر الأيام .. وتستجمع تلك الأحلام الوديعة عن الشاب الأمثل انها ستحب رأفت .. ولذا لم يكد بصرها يقع عليه ، عندما ذهبت مع ابن خالها لتناول الشاى فى النادى الرياضى الذى اعتادت التردد عليه عصر يوم من شهر ديسمبر ، حتى خفق قلبها .

وأسرت فى همس مكتوم :

ـ لقد وجدته .

كان رأفت اذ ذاك يلعب « التنس » وقد ظهر ساعداه عاريين وأخذت الشمس تلفح وجهه القمحى المحترق الذى كان يتصبب عرقا ، وكان يصيح صيحات تفيض مرحا وقوة وشبابا .

أخذت تطيل النظر اليه وهو ينتقل خلف الكرة بسرعة رشيقة .

التفت هو اليها فالتقت النظرات .

كان يبدو جليا أنها تطيل النظر اليه . ولشدما كانت دهشتها عندما رأته هو الآخر ينظر اليها وقد أرخى المضرب الى جانبه وأهمل اللعب . انتهز خصمه الفرصة اذ ذاك فقذف الكرة قذفة قوية . رأت كرة «التنس» ترتفع ثم تتجه فى قوة الى وجه رأفت. كان ينظر اليها وهى جالسة الى المائدة المنصوبة على خضرة حديقة النادى بينما كانت الكرة متجهة فى سرعة رهيبة الى وجهه . فشهقت ثم أخفت عينيها فى ساعدها وسمعت صيحات تتردد :

ـ رأفت ..

ولما رفعت رأسها رأت رأفت مستندا الى شبكة حلقة التنس وقد اجتمع حوله بعض أصدقائه يدلكون له حاجب عينه اليسرى التى أصابتها الكرة ..

خيل اليها أن تقوم لتساعدهم .. ولكن ابن خالها كان جالسا الى جانبها وكأنه لحظ اضطرابها فقال لها وهو ينظر الى رأفت :

ـ غريبة .. أتعرفين ياسعاد من الذى أصيبت عينه ؟

فأجابته وهى تتكلف الهدوء :

ـ لا .. هذه أول مرة أشاهد فيها مباراة فى هذه اللعبة .. من هـو ؟

ـ رأفت عبد العزيز .. زميلنا فى النادى .. وبطل الكلية فى « التنس » . لا أدرى كيف أصيبت عينه . .

خطر لها يومئذ أن اصابة عين رأفت انما كانت هى سببها .. واستراحت الى هذا الخاطر .. رأفت كان ينظر اليها ويفكر فيها فلم ينتبه الى الكرة التى أصابت عينه . ولم يكد يقترب رأفت وهو معصوب العين من المائدة التى كانت الى جانبها مع ابن خالها حتى تمتمت فى حشرجة باكية .

ـ ياعينى ..

مازالت تذكر ذلك اليوم العجيب من أيام حياتها . كانت قبله تجد من حقها أن تطالب والدها واخوتها أن يعنوا بها اذا مرضت .. وأن يخففوا عنها اذا تألمت .. وأن يحيطوها دائما بكل العطف والحنان ، ولكنها عندما رأت رأفت يومئذ تغير

شعورها •• أصبحت تحس بأنها مطالبة بأن تعنى بشخص آخر•• برجل •• كرأفت •• وأن تهب له قلبها وحنانها • أن ترفه عنه اذا تألم •• وأن تكون الى جانبه اذا ناداها •

ولما أصبح رأفت أمام مائدتها مد ابن خالها يده اليه وهو يقول :

ـ مالهم يا رأفت ! أحسدوك ؟

فضحك ضحكة صـــغيرة وهو يحنى رأسه لها محييا •• وأسرع ابن خالها اذ ذاك يقدمه اليها فسألها :

ـ هل الآنسة تلعب « التنس » ؟

فأجابته متلعثمة :

ـ لا •• انما أرغب منذ زمن فى أن أتعلم هذه اللعبة •

وتدخل ابن خالها فى الحديث اذ ذاك قائلا :

ـ رأفت تحت أمرك •• خير معلم •

فتدفق الدم الى وجهها •• ووجه رأفت •• وانقضت فترة صمت قصيرة ، ولما استعادت رباطة جأشها قالت :

ـ ولو أصبيت عينى ••

فأجاب رأفت مسرعا :

ــ أبدا .. بعينى الأخرى ..

تبادلا بعض عبارات المجاملة المعتادة ثم افترقا على موعـد لحضورها بقصد بدء تعلم التنس .

وتكررت بعد ذلك مقابلاتها لرأفت فى النـادى وخارج النادى .

اتضح لها وله أن النظرة الأولى كفت لاشعال حب قوى عنيف فى صدر كل منهما .

وكانت اذ ذاك تتقدم مسرعة الى العشرين من عمرها ، فألح والدها بأن تترك مدرسة الراهبات لتلزم المنزل . ووافقته والدتها على ذلك . بدأت تسمع من غرفتها ذلك الهمس الخفيف الذى كانت تتبادله الخاطبات من « بنات البلد » اللاتى كثر ترددهن بعد أن تركت المدرسة ولزمت البيت .

وتطور ذلك الحب فأصبح ولها عجيبا .. لم يكن يمر يوم واحد دون أن تراه ، كان مجرد سماعها لصوت سيارته وهى قادمة من بعيد ينقلها الى عالم آخر يفيض سحرا وعاطفة وحنانا وأحلاما مازالت تذكر ليلة التقت به عقب نجاحه فى امتحان الانتقال الى السنة الثانية بكلية التجارة .

لقد حملها فى سيارته الصغيرة الحمراء ذات المقعدين الى طريق السويس . كانا يفضلان أن يتخذا دائما من رمال الصحراء

الواسعة الممتدة وكر غرامهما . وكان يبدو على رأفت الضيق برغم نجاحه فسألته :

ــ لم هذا الضيق بعد نجاحك ؟

فهز رأسه هزات خفيفة ثم قال لها :

ــ لست أدرى لم أحس يا سعاد بأننى لو أتممت تعليمى سأفقدك ؟

فشهقت شهقة حادة كأنها فقدته حقا وسألته :

ــ لم ؟

ــ لا أخفى عنك شيئا .. ان حالة أبى المالية سيئة .. لقد عرفتك قبل أن تخطر لى فكرة الزواج .. ولكن اذا أتممت تعليمى وأزف الوقت للتفكير فى زواجى فكيف أتقدم الى أبيك .. وأنا أدرى بما تعانيه أسرتى من ضيق وعسر ؟ بم أجيبه اذا سألنى كيف أعولك ومرتبى لا يتجاوز خمسة وعشرين جنيها .. ؟ أيكفى هذا المبلغ التعس لأكلنا ومسكننا وثيابنا .. ولبعض الوفاء لأسرتى التى حرمت ضروريات الحياة من أجل تعليمى .. ؟

استمعت اليه وقلبها يرتجف ثم قالت له :

ــ ما الذى دعاك الى التفكير فى هذا الأمر من الآن ؟ لن تتخرج الا بعد ثلاث سنين ..

ــ أتظنين أن ثلاث سنوات عمر طويل ؟ ستنقضى كأنها ثلاثة أيام .

ــ لا تكن مجنونا .. سنجد لها اذ ذاك حلا .

ــ وكيف ؟

ــ عندئذ نفكر فى حل . أى حل ــ فأطرق . وأطال التفكير ثم تمتم

ــ لم لا نهرب ؟

ــ الى أين ؟

ــ أى مكان .. الصحراء .. أسوق السيارة الى أن نجد مكانا نعيش فيه .. أنت وأنا .. أيخيل اليك أن حياة الصحراء قاسية ؟

فرفعت بصرها الى الأفق البعيد الممتد الى مالا نهاية . ثم قالت له وهى مبهورة معه بروعة الصحراء ..

ــ أبدا .. خطر لى من قبل أن نهرب أنت وأنا الى مكان مهجور لا يعيش فيه غيرنا .. أنا أعد لك الطعام .

ــ وأنا أساعدك .. كان عمى يشتغل فى الواحات . قضيت أكثر من عطلة صيفية عنده . لدى بعض الخبرة بحياة البدو فيها .. حياة رائعة يا سعاد . . أحس بأننى مختنق بهذه الياقة وهذه الربطة الملفوفة حول عنقى كأنها حبل مشنقة .. أود أن أعيش

كما يعيش البدو .. لم لا نرسم لمستقبل حياتنا الصورة التى نستريح اليها ، ونسعد بها ؟

ـ وماذا يقول الناس عنا ؟

ـ ماذا يمكن أن يقولوا ؟ عاشقان اعتزلا الدنيا والناس..

وسكت قليلا ثم طوقها بذراعه ودفعها الى داخل الصحراء وهو يتمتم كأنه يحلم .

ـ خيمة فى وسط الصحراء .. بعض غنم .. وبئر ماء .. ننام مبكرين .. ونصحو مبكرين .. ونقضى العمر فى تربية الغنم .. نشرب لبنها ونأكل لحمها .

ـ ولو كثرت الغنم ؟

ـ نبيعها .

ـ وماذا نفعل بثمنها ؟

ـ ننفقه .

ـ فيم ؟

ـ أجل .. فيم ؟

ـ أنا أدلك .

ـ فيم ننفقه ياسعاد ؟

ـ نرسله الى عمى .. أبيك .. ألم يتعب فى تربيتك يا رأفت ؟

ـ وأبوك ؟

ـ سأرسل له الجبن والزبدة مما أعده بيدى .. سأثبت له أنى سعيدة بدون « الطين » الذى أراد أن يزوجنى من أحد أبناء عمى حرصا عليه .. سيعلم ان عندى .. هناك .. حيث سنعيش .. ما يكفل سعادتى .

ـ ولكن لو ماتت الغنم ياسعاد ؟

ـ ننتقل الى مكان آخر .

وسكتت قليلا ثم سألته :

ـ ولو مرضت يا رأفت ؟

ـ لا أنتقل حتى يتم شفاؤك .

ـ ولو مت ؟

ـ لا أستطيع العودة الى القاهرة بدونك .. ولا أستطيع الحياة بعدك !

وتبينا اذ ذاك أنهما توغلا فى ظلام الصحراء . فتوقفا ، كان ضوء سيارة رأفت الصغيرة يبدو من بعيد أحمر خافتا كأنه منار فى ذلك المحيط الرملى يدعوهما الى الشاطىء .. لم تشعر بالخوف قط ولكنها لم تكن تريد أن تساير رأفت فى عزمه

الطـائش ولذا جذبتـه من يده الى حيث تركا السـيارة الى القاهرة .

سعدا بتلك الليلة فى بدء غرامهما وتظاهرت سعاد بأنها لم تأبه لما أثاره رأفت من مخاوف تهدد مستقبلهما . فحثته على أن يتم دراسته الجامعية .

استطاعت سعاد أن تنسـيه بحبها تلك الشكوك الرهيبة التى ساورته ليلة توغلا فى صحراء السويس الا أنها لم تستطع أن تنساها هى نفسها وان تظاهرت فى بادىء الأمر بأنها لم تأبه لها .

ظلت دائما تخشى اليوم الذى تفترق فيه عن رأفت .. ولقد تبين المسكين أنه أساء اليها اذ نبهها الى تلك المخاوف . الى أن كانت تلك الليلة .. ليلة تبادلت ورأفت هذا الحديث العاشق فى سفح الهرم .

فى تلك الليلة لم تكن تعلم ما يخفيه القدر لها ولرأفت ، ولكنها عندما عادت الى المنزل وجدت والديها فى الانتظار .

لم تكن من عادة أبيها قط أن يظل مستيقظا الى تلك الساعة من الليل . الساعة الحادية عشرة مساء . وكانت قـد أخبرته قبل خروجها أنها ذاهبة الى منزل عمها فى الحلمية فاطمأنت الى ذلك وظلت مع رأفت الى تلك الساعة . الا أنهـا لم يكد تلقى

نظرة الى وجه أبيها حتى تبينت أنه يعتزم أمرا خطيرا • ولم يخب ظنها • اذ انتفض أبوها عن مقعده وتقدم يسألها صارخا :

ــ أين كنت ؟

وقبل أن تجيبه كان يرفع عصاه ويهوى بها على كتفها ورأسها ووجهها ضربات قوية أفقدتها الرشـــد فسقطت الى الأرض ثم لم تدر بعد ذلك شيئا •

كان والدها قد ذهب الى منزل عمها ليسأل عنها فلم يجدها ، وعندئذ ظل مستيقظا ينتظر حتى عادت ، ودخلت والـــدتها الى غرفتها عند الظهر لتفهمها أن أباها وعمها قد اتفقا على الاسراع بعقد زواجها على ابن خالها درء لهذه •• الفضيحة !

وحاولت أن تتصل برأفت لتخبره بذلك الموقف الجديد ولكنها لم تستطع • كانت الرقابة عليها قد اشتدت • حرمت أن تطل من النافذة • حتى الصحف والمجلات حرمت عليها قرائتها •

كانت تود أن ترى رأفت ولو دقيقة واحدة بعد أن عرفت أن خبر عقد قرانها على ابن خالها قد عرف وذاع •

وفجأة زارتها صديقة كانت تعلم بسر علاقتها برأفت تحمل رسالة منه :

« عزيزتى ســعاد :

لا أظننى أرغمتك يوما على أن تستمرى على علاقتك بى . اذا كنت تمسكت بك فذلك لأننى كنت أشعر بالشفقة نحو تلك التى أظهرت لى أصدق الحب .. ولكننى تبينت أخيرا أننى كنت واهما .

كنت تلعبين مهزلة جريئة على حساب مستقبلى .. المستقبل الذى كان الشرف يقضى على أن أسخره لاسعاد أبى العجوز واخوتى الصغار .

لقد قرأت خبر زواجك فى الصحف كما قرأه غيرى .. بل ان بعض أصدقائى أقبلوا على فى النادى يحملون الخبر وهم يسخرون منى ..

لا يعنينى لو تزوجت أو بقيت الى الأبد راهبة .. كل ما أرجوه منك أن تحرقى رسائلى اليك ، احرقيها . فقد أحرقت رسائلك الى بعد أن أحرقت أعز ذكريات حياتى .. والوداع . »

« رأفت »

وانقضت ثلاثة أعوام ..

انقضت كأنها كابوس ثقيل .. لأنها لم تر أثناءها رأفت ولا مرة واحدة .

توهم المسكين أنها خدعته وأنها كانت تعلم بعزم والدها

على تزويجها من ابن خالها •• فثار تلك الثورة • وقد اكتفت اذ ذاك بأن طلبت من صديقتها أن تؤكد لرأفت أنها أحبته وانها كانت وفية لهذا الحب •

ثلاثة أعوام قضتها مع زوجها •• ابن خالها عبد الستار أحد كبار المزارعين فى مركز الشهداء لم يسىء اليها فيها مرة واحدة ولكنها مع ذلك لم ينقض عليها يوم الا ذكرت فيه رأفت •• غرامها الأول والأخير •

تعودت حياة الريف •• أصبحت تجيد الطهى •• وأنشأت برجا للحمام •• حرصت ، كلما استطاعت على أن تختاره من ذى الريش الأبيض •

كانت تشرف بنفسها على « حظيرة » المواشى الملحقة بالدوار • تقف أحيانا فى نافذة غرفتها المطلة من بعيد على مزارع الشهداء • وشاطىء الترعة وتذكر ليلتها فى طريق السويس • الليلة التى حلما فيها أحلام الصحراء الشاعرة •• والتى تحدثا فيها عن الهروب الى الصحراء وحياة البدو •• وقطيع الغنم ••

كلما رأت حمامة بيضاء تهبط الى شاطىء الترعة ينتفض جسمها • كانت رؤية الحمام الأبيض تحيى فى خيالها دنيا من الذكريات التى تستدر دموعها • ومع ذلك فانها لم تكن

تستطيع أن تستغنى عن الحمام الأبيض بل انها كانت تبحث عنه وتقف أمامه تطيل النظر وتبكى ..

وفى الأسبوع الماضى عرض عليها زوجها عبد الستار أن تصحبه فى السفر الى الأسكندرية لعرض نفسه على أحد الأطباء فوافقته ثم اقترح أن يعودا الى القاهرة بالطائرة . لم تكن قد جربت السفر جوا من قبل .

وكأن القدر كان يترصد لهما . لها وله . كان القدر قد أعد مفاجأته الساخرة الأليمة .

عندما غادرت مطار الاسكندرية وجدت رأفت فى المقعد المجاور لها .

كان كل ما عرفته عنه بعد أن افترقا أنه أتم دراسته العالية وعين فى احدى الوظائف بوزارة الاقتصاد ... ولكنها لم تكد تراه حتى تثلجت يداها .. واشتد خفقان قلبها .

وارتفعت الطائرة فى الجو .. حلقت فوق الصحراء متجهة الى القاهرة .

كانت تحلق فوق ارتفاع بسيط وكانت رمال الصحراء وتلاله وكثبانه تبدو قريبة تكاد تكون فى متناول اليد . وأغمضت عينيها ثم أخذت تستعيد ذكرى غرامها القديم . وكلما اختلست نظرة الى رأفت تبينت اضطرابه .

هل تبين أنه أخطأ وقسا اذ أرسل كلمته الساخطة الأخيرة؟

ومرت الطائرة فوق قطيع من الغنم يرعى حول بعض خيام يسكنها بعض البدو . ولما التقى بصراهما . لمعت الدموع .

لم تطل النظرات المحمـــومة . فقد ارتجفت الأهــداب وانسدلت الجفون على العيون .. لم تسبح اذ ذاك فى نظراته كما اعتادت أن تسبح من قبل ولكنها سبحت فى محيط من الذكرى.

وارتفعت الطائرة .. خيل الى سعاد أنها تحملها ورأفت الى تلك السحب التى كانت روحاهما تحلقان فيها بعيدين عن الأرض .. وعن الناس أجمعين ..

ولم تفق الا على صوت يعلن أن الطائرة ستهبط بعد دقائق .. كانت لاتزال تحلم .. هل حلمها القديم هى ورأفت .. حلم الحياة وسط الصحراء وحيدين بعيدين عن الناس قد تحقق . وقفت حركة الطائرة والتفتت الى رأفت كأنها تدعوه الى أن يمد يده ليساعدها على مغادرة الطائرة ولكنها لم تشعر الا ويد زوجها تربت على كفها وهو يقول :

ـ أتعرفين لم هبطت الطائرة وسط الصحراء ياسعاد ؟

فأجابته فى صوت حاولت أن يبدو هادئا متزنا .

ـ لا ..

ـ هذا مطار الشركة التى تزرع فى هذه الصحراء آلاف الأفدنة من الكروم .

وصعد الى الطائرة رجل يونانى أغلق الباب وراءه ثم تابعت الطائرة رحلتها .

وكانت سيارة زوجها تنتظر فى مطار القاهرة فتقدمت اليها وهى تغالب الرغبة فى البكاء . شيعت رأفت بنظـــرة حزينة مضطربة وابتعدت . ولما وصلت الى بيتها خلعت ثيابها واستلقت على الفراش تلتمس بعض الراحة وأقبل زوجها عبد الستار يقبلها ويجذبها من الفراش وهو يقول بطيبته :

ــ ان الاذاعة تعيد الليلة بعض الأغانى القديمة فى برنامج « أغانى زمان » .. برنامج رائع . تعالى اسمعى هذه الأغنيـــة التى تزرى بالكثير من الأغانى الجديدة ــ وأدار مفتاح «الراديو» فانطلق صوت المطرب يدق أعصاب سعاد . ويزلزل كيانها :

آه يا ذكرى الغــرام   نســيت عيني المنــام

تكلفت سعاد ابتسامة . هزت رأسها . وتظـاهرت بأنها تستمع الى الأغنية . ولكن روحهـــا كانت ما تزال تحلق بين الســحب .

خسته دون چوان

خيبة دون جوان

كاد شكرى بسيونى ، المعيد بكلية الهندسة ، ينفضح أمام عمه وبعض أساتذته فى كلية الهندســـة أثناء تجوله فى المعرض الزراعى والصناعى ، عندما تشــاجرت منيرة حمدى ونبوية أمين مشاجرة تجمع حولها الناس ، وأثارت انتقادهم واشمئزازهم ..

علق عمه الشيخ عبد التواب بسيونى على تلك المشاجرة ، التى نشبت فجأة دون أن يدرى لها سببا ، وهو يرمق الفتاتين وقد تهدلت ثيابها على أكتافهما وبانت آثار الأظافر فى صدريهما :

ــ خسئت خلفة هذه الأيام •• أهن بنات أو فتوات ؟

ماذا كان يحدث لو عرف عمه وولى أمره أن تلك المشاجرة كانت من أجله ؟

كان شكرى يردد لنفسه أن أولئك الفتيات من السذاجة بحيث يخيل الى الواحدة منهن أنها اذا عرفت شابا أو أحبته فان من حقها أن تستأثر به وأن تمنع غيرها من معرفته أو التحدث اليه •

كان يعرف ذلك من قبل ، ويعرفه خاصة من منيرة الموظفة بأحد المصارف فى شارع قصر النيل وابنة جاره فى حى المنيل المهندس المتقاعد حمدى ، ولكنه لم يكن يتصور قط أن الغيرة تصل بها الى حد الاقدام على ضرب نبوية أمام الناس فى المعرض ••

وآلمه حادث المعرض ألما شديدا لأنه ولا شك سببه والباعث عليه •• كان يؤكد لكل منهما أنه يحبها ولا يعرف سواها •• ولكنه فى الوقت ذاته لم يستطع أن يمتنع عن تحية نبوية عندما ابتسمت له من بعيد وهى تمد رأسها من بين الجموع التى احتشد بها المعرض لكى يعرف أنها حضرت كما أخبرته فى رسالتها التى أرسلتها اليه فى الصباح مع خادمها النوبى الصغير •

وأخذ يقلب رسالة نبوية بين يديه •• كيف اجترأت عروس لم تكد تنقضى بضعة شهور على زواجها على أن تقول :

« انى أحبك ياشكرى .. سألتك مرارا عما اذا كنت تعرف أننى أحبك أم لا فكنت تجيبنى فى كل مرة بأنك واثق من حبى لك ، ولكننى أقسم هنا أنك لا يمكنك أن تتخيل مقدار هذا الحب .. اننى لا أفكر الا فيك .. نسيت أننى أحيا وأعيش .. نسيت أن لى كيانا فى هذا العالم .. بل نسيت ان هناك عالما نعيش فيه .. انك لى كل شىء ، أترنم بكل حرف من حروف اسمك وأنا مشجية كأننى أنصت الى احدى القطع الموسيقية ، اقرأ ولا تهزأ بى ! اعتدت الآن أن أخرج رأسى من نافذة سيارتى أينما ذهبت لكى أقرأ اللوحات المعلقة على الشرفات والنوافذ تحمل أسماء الأطباء والمحامين والمقاولين .. فاذا رأيت أحدهم يحمل اسمك تهللت فرحا وأخذت أكرره فى نشوة هائلة ، أحب أن يحمل كل رجال العالم اسم « شكرى » .. كانت جدتى المرحومة التى حدثتك عنها كثيرا تطلق اسمها وأسماء شقيقاتها وسيدات الأسرة على من يرزق بينات من فلاحى « العزبة » .. وما زالت دادتى حنيفة تحمل اسم سيدتها وهى والدتى . فلم لا يحمل باقى الرجال اسمك ؟ انهم أشباح الى جانبك ياشكرى . نسيت ما أردت أن أكتب اليك بشأنه .. اننى ذاهبة اليوم مع بعض قريباتى الى المعرض . فهل لى أن أراك ؟

سأكون هناك حوالى الساعة السادسة مساء . أقبلك ، والى اللقاء .

نينى »

ان نبوية متهورة الى حد بعيد .. بل ان بدء علاقته بها كان حادثا ظهر فيه تهورها الى حد أخجله .. وعاد يستعرض حادث المعرض . كل ما كان يرجوه ألا يعلم زوجها بالحادث الأليم الذى حدث اليوم ، والا لتطورت عاقبته . أكثر ما كان يخشاه أن يتصل خبره بالمصرف الذى تعمل فيه منيرة فيصيبها من ذلك أذى لا يعرف مداه ..

— ٢ —

تحدثت منيرة بالتليفون فى صباح اليوم التالى ، لم تكد تسمع صوته حتى ابتدرته فى صوت متهدج :

ـ أرأيت ماذا حدث أمس من تحت رأسك ياشكرى ؟

فأجابها وهو يتكلف الحنان والرقة :

ـ ما شأنى بما حدث أمس ؟

ـ ما شأنك .. لا بد أن لك بهذه الفتاة صلة ..

ـ أبدا .. لا أعرفها ..

فعادت تسأله فى صوت تهدج بالبكاء :

ـ انها تعلن فى كل مكان أنها تعرفك وأنك على صلة بها..

ـ كيف أمسك ألسنة الناس يا « ريرى » ؟ ..

ـ رأيتك تحييها ..

ــ حييت عشرات من الطلبة والطالبات فخيل اليك أننى أحييها ••

ــ كنت متجها اليها ••

ــ آه •• جائز أن أكون قد حييت أستاذا فى الكلية كان على مقربة منها •• لا أذكر •• ان المعرض كان حاشدا بالناس •• ولكنك لم تخبرينى حتى الآن ، كيف حدث كل ذلك ؟

فسكتت قليلا كأنها خجلى من تذكر ما حدث منها ثم تشجعت وقالت له فى صوت ما زال مرتجفا :

ــ لا أدرى •• بعد أن رأيتك تسير الى جانب عمك دخلت مع ابنة عمتى الى المقهى الذى كان ينشد فيه المغنى بعض « المواويل » الحمر •• مازلت ألعن اللحظة التى وطئت فيها قدماى أرض ذلك المقهى •• كانت جماعة من الفتيات حول المائدة المجاورة سمعتهن يرددن اسمك فأرهفت أذنى •• استحال كيانى كله الى آذان •• سمعتها •• هى •• نعم هى نبوية تقول انها واعدتك على اللقاء فى المعرض ، لا أخفى عنك ياشكرى أننى اتهمت أذنى فى أول الأمر ، حاولت أن أقنع نفسى بأنها قد تكون عرفتك قبل أن أعرفك ، قبل أن تجاورنا فى المنيل ، ولكن جسمى انتفض عندما سألتها جارتها فى المائدة : « متى

عرفته ؟ » فأجابتها أنها التقت بك فى صيف العام الماضى برأس البر ، رأتك تسير بثوب البحر فقالت لاحدى قريباتها بصوت مسموع : « شاب جميل ومكشر .. عجيبة ! » ، وأنك سمعتها فرمقتها بنظــــرة وضحكت ثم قفزت الى الماء ، ولما خــرجت كان شعرك متدليا على وجهك فلما حاولت اصلاحه قالت وهى تحجب عينيها بيديها خجلا : « دنه يحجب عينيك ويحميك من حسد الناس» ، تصور.. سمعت كل هذا الحوار يدور على مقربة منى فغلا دمى .. لم يسعنى الا أن أصدقه لانك أخبرتنى أنك قضيت صيف العام الماضى فى رأس البر ، ولكن صعب على نفسى أن أستمع اليه وأن تستمع اليه من كن معى ممن يعرفن صلتى بك ، صعب على نفسى وهالنى أنك أخفيت عنى كل ذلك ، فلما خرجت من المقهى تبعتها .. لا أدرى الى الآن كيف واتتنى تلك الجــرأة .. اندفعت اليها وســـألتها وجسمى ما زال ينتفض « أتعرفين الشاب الذى كنت تتحدثين عنه ؟ » فنظرت الى نظرة شملتنى من رأسى الى قدمى وأجابتنى : «نعم أعرفه، ما شأنك ؟» عدت أسألها وأنا أحاول عبثا التظاهر بالهدوء : « هل أستطيع أن أعرف منك اسمه ؟ » فأجابت فى برود : «اسمه حمدى ..»، « ماذا يعمل ؟ » فأطلقت ضـــحكة وأدارت لى ظهرها وهمت بالانصراف وقالت بعد أن هزت كتفيها وأطلقت ضحكة ساخرة : « موظف فى وزارة الزراعة .. لا ينقصك الا أن تسألى : كم مرتبه ؟ أين يسكن ؟ ما اسم أبيه وجده ؟ » .. عندئذ فقدت

عقلى ولم أشعر الا وأنا أعدو خلفها وأصرخ : « كذابة .. اذا كنت لا تعرفين حتى اسمه فلم تختلقين صلتك به؟ » . كلمة منها.. وكلمة منى .. ونشب ذلك الشجار الأليم بيننا .. كيف حدث ؟ لا أدرى .. كلما تذكرت مادت الأرض تحتى ..

فقالْ لها وهو يظهر الغضب :

ــ ما كان يصح مطلقا أن يحدث ما حدث ، ماذا تركت للغجر ؟

ــ احمد ربنا على أنه لم يكن أحد من أسرتى فى المعرض.. أية مصيبة .. أية فضيحة .. ابنة عمتى قالت لى اليـوم أنها كانت تجذبنى وهى تحاول أن تفض المشاجرة دون أنْ أحس بها .

ثم سكتت قليلا واستمرت قائلة فى صوت متهدج :

ــ لعلك تعرف ياشكرى بعد كل ما حدث كم أحبك .. يا خبر أسود .. من كان يصدق أن منيرة حمدى تتشـاجر فى معرض عام أمام الناس أجمعين مع فتاة أخرى من أجل رجل ، كما تفعل راقصات الملاهى ونسوة حوارى المذبح ؟ .. أكاد أذوب خزيا .. أكلمك الآن وأنا أحجب عينى خشية أن أرى نفسى فى المرآة ..

ــ حصل خير ..

ـ من يدرى ؟ ربما كنت تعرفها .. أخبرتنى ابنة عمى أنك قد تكون انتحلت فى رأس البر اسم حمدى .. أو قد تكون نبوية أطلقت عليك اسما آخر لتسخر منى ..

فضحك ضحكة جافة كأنه يستمع الى هراء ثم قال :

ـ مجنونة ..

ـ أأصدق ياشكرى أنك لا تعرف سواى ؟

وعندئذ تظاهر بالضجر قائلا :

ـ أوه .. أما عندك غير هذا الموضوع ؟ أو انك تبحثين اليوم عن شخص آخر تتشاجرين معه ..

ـ بعد الشر .. واذا جاز أن أتشاجر مع الناس أجمعين فكيف يخطر ببالى أن أتشاجر معك أنت . . متى أراك ؟ ..

ـ تعرفين أن هذا موسم الامتحانات .. اننى مرهق بالعمل.

ـ ليتنى أستطيع أن أعينك ..

ـ شكرا ..

ـ ستكون نتائجك باهرة هذه السنة ياشكرى مادامت « ريرى » تحبك .. لقد نذرت نذرا للسيدة زينب اذا نلت الترقية التى أومن أنك بها جدير .. أرجو ألا تكون غاضبا منى الآن ..

ـ لا •• الى اللقاء ••
ـ الى اللقاء يا حبيبى ••

ـ ٣ ـ

حاول شكرى بسيونى ، المعيد بكلية الهندسة ، أن يتفرغ لاعداد البحث الذى كان عليه أن يقدمه فى امتحانات الدراسات العليا بالكلية ، التى يجب أن يجتازها حتى يمكن أن ينال الترقية التى ينشدها فى هيئة التدريس •• ولكن زميله اسماعيل رأفت مر عليه بسيارته وألح عليه فى الذهاب الى أحد المراقص بشارع الهرم •

كانت فرقة الراقصات التى استحضرها هذا المرقص قد ملأت صورها صفحات الاعلانات فى الصحف والمجلات وتناقل رواد ملاهى الليل الأخبار عن نجاح الفرقة ، وجمال راقصاتها • وعلى الأخص جمال « يولاند » البولندية ، التى تؤدى رقصة على رأس مجموعة الراقصات •

لم يكن شكرى فى حاجة الى كبير جهد ليتبين البولندية الحسناء بين راقصات الفرقة •• فقد لفتت نظره ولوت عنقه •• نحيفة ، سوداء الشعر ، عينان واسعتان ، ونظرات تنم عن ألم هادىء متكبر ، أو هكذا خيل اليه •• خيل اليه أنها أميرة من أميرات أوروبا الوسطى اضطرتها ظروف قاهرة الى احتراف الرقص •• وخطر له بعد الكأس الثالثة أن يدعوها و •• وأن

يعطيها كل ما فى جيبه.. عشرة جنيهات. ولكنه تردد .. ان الفرقة قد لقيت اقبالا شديدا والمرقص حاشد بتجار الخردة الأثرياء فى « وكالة البلح » وأعيان الريف الذين باعوا محصول القطن . وبعض « المحترفين » من رواد الملاهى الليلية الذين توفروا على دراسة هذا القطاع من حياة القاهرة .. لديهم بيانات عن أفراد الفرق القادمة من متعهديها ، يتلقونها فى الموانىء أو المطارات بباقات الورود ، ويتبينون نقط الضعف المختلفة فيرسمون الخطط وينصبون الشباك ، ويغدقون بزجاجات الشمبانيا فى المرقص ويسارعون بسداد حسابات الفنادق والخياطات .

وانتهت الرقصة التى اشتركت فيها مع المجموعة .. وتفرقت الراقصات فاتجهت هى الى أحد مقاعد « البار » العالية القريبة منه ثم جلست عليه . أخذت تحتسى كأسا فى دلال وهى تختلس نظرات سريعة اليه .. ظن فى بادىء الأمر أن تصفيقه المتـوالى وهو متجه ببصره اليها عقب أدائها الرقصة قد لفت نظرها فأرادت اظهار شكرها له ، ولكنها ما لبثت أن غادرت مقعدها واتجهت اليه وهى تترنح ثملة وتدفن أناملها فى شعر رأسه قائلة :

ــ هاتان العينان الفاتنتان ! لا أعرف كم تكسب من عملك! ولكننى واثقة أنك ستكسب أضعافه لو مثلت أدوار الشبان المعشوقين فى قصص السينما .. ــ ثم أطلقت ضحكة عالية .

ودعاها لتناول كأس معه واتفقا على اللقاء ظهر اليوم التالى.

ظل شـكرى يفكر فى موعد الراقصـة البولندية طوال الصـباح وأثناء عمله فى الكلية ، انه فى الواقع لم يعمل شيئا يومئذ ..

كانت خطوط الرسوم واللوحات الهندسية تبدو أمام ناظريه ، وهى تتلوى وتنثنى ، وتهتز ، كأنها تشترك فى ملحمة راقصة .. شرد خياله فى سهرة الأمس وفى موعد اليوم .. فزاح مجموعة الرسوم واللوحات ثم تناول القلم وخط رسما ليولاند .. كما تخيلها فى بادىء الأمر .. أميرة ترقص لجماهير الشعب ولكنها ما زالت تنظر الى هذه الجماهير نظرة متكبرة تنم عن الألم لأنها اضطرت الى الرقص أمامها !

وعندما خرج من الكلية ظهرا لمح سيارة نبوية واقفة على مقربة منها فلما رأته أشارت اليه ، كانت بمفردها فى السيارة ، وعرضت عليه نزهة فى طريق الهرم ، ادعى أنه يجب أن يعود الى منزله لأنه ينتظر ضـيوفا من « البلد » فأسرعت بالعودة الى القاهرة وهو الى جانبها .. وقد صح ما توقعه اذ أنها بادرته قائلة:

ــ تنتظر ضيوفا أو أنك على موعد مع البنت التى تشاجرت معى وفضحتنى فى المعرض أمام الناس ؟

فتظاهر بالدهشة وسألها :

ـ أية بنت ؟

ـ ألا تعرف البنت التى شتمتنى وشدت شعرى ومزقت ثوبى لأنها تحبك ؟

وتبين أن انكار صلته بمنيرة لن ينطلى عليها فقال لها :

ـ وما ذنبى أنا يا « نينى » اذا ادعت هـذه المجنـونة ما لا أصل له ؟

فسألته :

ـ اذن تعرفها ؟

ـ تسكن بجوارنا ، ولكن يبدو أن الجنون وراثى فى أسرتها ، يتردد فى الحى أن جدها مجنون ، لم يغادر بيته منذ عشرين سنة ، لم يره أحد من الجيران حتى خلف نافذة أو شرفة ..

ـ أتحبها ياشكرى ؟

فضحك ثم أجابها :

ـ أحبها ! اذن فأنت مجنونة مثلها .. كأن العالم خلا من الفتيات ..

ـ أنظر الى ياشكرى .. ألم تدعها للخروج معك فى سيارتك كما خرجت معى ؟ ألم تتحدث اليك فى التليفون كما تحدثت ؟ ..

ـــ قلت لك انها أسرة مجانين ، الجيران يتندرون بقصص مشاجراتهم وتصرفاتهم الشاذة ـــ وربت على يدها فى رفق ثم سألها :

ـــ ولكن •• أود أن أسمع منك كيف اشتبكت بك هذه المجنونة ؟

ففكرت نبوية قليلا ثم قالت له :

ـــ الحقيقة أن الخطأ خطئى أنا •• كنت أحدث ابنة خالتى عنك •• يبدو أننى كنت أحدثها بأعصابى وحواسى لا بلسانى •• فكان صوتى مسموعا •• لم أنتبه الى أن هناك من يستمع الى حول المائدة المجاورة •• ولما خرجنا من المقهى هجمت على تلك المجنونة وأخذت تمطرنى بالأسئلة عنك •• تهيبت الموقف •• ولكننى رغم ذلك نسيت نفسى •• نسيت زوجى وأسرتى وسمعتى وفكرت فيك ، خشيت أن يكون أحد قد دفعها لافتعال هذه الفضيحة بغية النيل منك فلفقت لك اسما آخر ومهنة أخرى •• لم أشأ أن أسىء اليك •• من يدرى ؟ ربما كان هناك أحد من زملائك فى الكلية أو من طلبتك أو أحد أفراد أسرتك على مقربة منا ينصت الى ذلك الحديث العجيب الذى دار بينى وبين تلك المجنونة •• ولكننى لم أكد أجيبها حتى انهالت على تلكمنى وتنشب أظافرها فى جلدى وتحاول اقتلاع شعرى •• من يصدق

يا شكرى .. لا تذكرنى بما جرى يومئذ .. ان ما جرى لم يجر لأحد .. لا أظنه سيجرى لأحد .

ـ انس ما حدث . انسه من أجلى .

وطـوق ظهـرها وهى تقـود السـيارة هابطـة الى القاهرة ثم طبع على كتفها قبلة طويلة .. قابلتهـا هى بأن أبطأت سير السيارة وألقت رأسها على كتفه ثم تنهدت تنهيدة طويلة حارة وهى تتمتم :

ـ أتحبنى ياشكرى ؟

فأومأ برأسه أنه يحبها ، وعندئذ دفعت السـيارة بسرعة وهى تقـول :

ـ اكتف بهز رأسك كلما سألتك هذا السؤال ! لم لا تقبل أن تقول لى انك تحبنى ؟ ليكن .. دعنى أنا أقولها وأكررها .. سأظل أحبك ولو لم تصارحنى بحبك .. ولكن لا تحب غيرى .. أتسمعنى ياشكرى ؟ لا أود أن أسمع أنك تحب امرأة أخرى .

ولما سـألته عن المكان الذى يريد النزول فيه أخبرها بأن ضيوفه ينتظرونه بأحد مقاهى ميدان الأوبرا ، فأوصلته اليه ثم انطلقت عائدة .. وهى تلوح له بيدها محيية ..

وبعد قليل أقبلت يولاند .. الراقصة البولندية ذات العينين الحزينتين .

كان موعده معها على اللقاء ظهرا فى ذلك المقهى القريب من الفندق الذى تسكنه .

— ٤ —

لم يتمكن شكرى بسيونى من اعداد البحث الذى كان مفروضا أن يتقدم به لنيل الدرجة العلمية التى تؤهله للترقية من وظيفة معيد .. فتخلف فى هذا العمل المتواضع بينما فاز أقرانه بالترقية .

وعرض عليه اسماعيل رأفت ، أحد طلبته الذين ألحقوا بوظيفة معيد بعد تخرجهم وبدأوا يستعدون لاجتياز امتحان الدراسات العليا ، عرض عليه أن يشترك معه فى اعداد البحث .. واتفقا على أن ينتقل شكرى الى منزل اسماعيل فى مصر الجديدة ويقيم به بضعة أيام ، لكى ينصرف الى البحث وينأى عن مغريات حياة القاهرة ..

وضع شكرى بعض ملابسه فى حقيبة صغيرة وأخطر أسرته بأنه سيتغيب بضعة أيام عند اسماعيل .. واستقل سيارته وقد اعتزم الاتجاه الى مصر الجديدة .. ولكنه عندما مر بناديه الرياضى تذكر .. تذكر الموعد الذى قد ارتبط به مع « عقيلة » شقيقة

الدكتور يسرى طبيب مركز مغاغة الذى تقع فيه بضعة أفدنة ورثتها والدته عن أبيها .

كان قد التقى بها قبل بضعة أيام ، قدمها شقيقها اليه وتناول معها الشاى ، انها فتاة رياضية ، أنيقة ، حادة الذكاء ، أوصلها بسيارته الى منزلها ، طلبت اليه أن يقف فى نهاية ذلك الطريق المؤدى الى ميدان قصر النيل ثم التفتت اليه .. أطالت النظر الى عينيه ثم قالت له فجأة وهى تبتسم :

ـ ألم يخطر لك منذ عرفتنى أن تسأل نفسك : ما شعور هذه الفتاة نحوى ؟

وفهم ما تود أن تقوله ولكنه تخابث وهز رأسه كأنه يستوضحها ، فاستمرت قائلة :

ـ اسألنى : ما شعورك يا عقيلة .. ؟ لا تنادنى أبدا ، سواء كنا أمام الناس أو بمفردنا ، « يا هانم » .

ـ ما شعورك يا عقيلة ؟ ـ فأدنت وجهها من وجهه وصمتت فترة ثم تمتمت :

ـ كان يخيل لى فى بادىء الأمر أننى واهمة ولكنى .. لم أقو .. لم أقو حتى على أن أخفى عنك .. أنا واثقة من أنك على صلة بالكثيرات ومع ذلك .. لا أدرى ماذا أقول ؟ كيف أصف شعورى .. غيرى قد يعرفك لمصلحته . فتاة تطمع فى

زواج •• زوجة تثأر لنفسها من خيانة زوج •• أرملة أو مطلقة تحاول التغلب على وحشة فراغ كئيب •• امرأة تغيظ بك رجلا آخر •• أما أنا فلا أدرى ماذا جرى لى ؟ أصبحت لا أهتم الا بك • ولا أفكر الا فيك •• بلا غرض •• غدا تعرف صدق ما أقول • تحس به وتثق منه •

وعدل عن الذهاب الى بيت زميله اسماعيل بمصر الجديدة• صحبها الى منزلها • عاد الى منزله على موعد للسباحة معها فى النادى •• تكرر خروجه مع عقيلة •• ودعته والدتها الفرنسية بضع مرات لتناول الغداء أو العشاء فى بيتها ، كما قبلت ، مع ولديها يسرى وعقيلة ، دعواته لمشاهدة بعض حفلات السينما •

الى أن حدث ذات ليلة حادث غريب تأثر له شكرى كثيرا ، ولو انه اضطر أن يكابر حتى لا يظهر تأثره •

كان قد دعا عقيلة لمشاهدة البرنامج الجديد فى احدى دور السينما ، دخلا فى الظلام بعد ابتداء العرض فلم يرهما أحد • ولكن لما أضيئت القاعة فى فترة الاستراحة وأدار بصره بين النظارة لمح منيرة حمدى صديقته وجارته جالسة مع ابنة عمتها فى الصف الأول ، وقبل أن يفيق من دهشته اتضح له أن المقصورة التى الى جانبه تحتلها أسرة نبوية صديقته الأخرى •• خطر له أن يغادر قاعة السينما •• ولكنه خشى أن تفطن عقيلة فكابر حتى نهاية الحفلة ••

ولكن منيرة ونبوية تحدثتا اليه على التوالى فى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى بالتليفون ، ابتدأت كل منهما بالثورة ، فالبكاء ، فالتظاهر بالاقتناع بأن عقيلة هى ابنة عمه ، وان أضافت نبوية وهى تختم حديثها :

ـــ أريد أن أصدقك ، أعرف أنك تكذب ولكن ماذا أعمل؟.. ما باليد حيلة .. يجب أن أصدقك !

فضحك . ودعاها لتناول العشاء معه فى أحد المطاعم المطلة على النيل بالمعادى .

وسارت حياة شكرى بسيونى على هذه الوتيرة ، موزعة.. بل ممزقة متناثرة بين عدد من الفتيـــات .. المعجبات .. اللاتى كن يفضين همسا بأخبار ذلك الاعجاب ، فتتناقلها الأفواه وتضيف اليها تعديلا ، أو تحويرا ، أو تنميقا ، حتى تحول شكرى بسيونى من معيد بكلية الهندسة ، وهو العمل الذى كانت أسرته تعده خطوة نحو مستقبل جامعى أفضل الى « دون جوان » تتشاجر العاشقات من أجله ، وتطارده ســياراتهن ، وتختلط فى ســمعه آهاتهن ، ولا تنقطع دقات قلوبهن عن « تليفون » بيته .. أو رسائل غرامهن المعطرة عن صندوق بريده ..

- ٥ -

وانقضت أعوام .. بضعة أعوام .. لم يجتز شكرى امتحان الدراسات العليا ولم ينل الترقية التى كان يطمع فيها .. رقى زملاؤه جميعا .. وصل اسماعيل رأفت الى درجة أستاذ مساعد وبدأ شكرى يحس بالحرج من البقاء فى الكلية .. تخيل اليوم الذى سوف يصبح فيه اسماعيل أو غيره من الزملاء ، رئيسا للقسم ثم عميدا للكلية وهو لا يزال يزاول ذلك العمل المتواضع ، التافه الأجر والقدر ..

فلما توفى عمه الشيخ عبد التواب بسيونى عن ثروة ضخمة لا وارث لها غيره سارع بالاستقالة من عمله فى الكلية ورأى أن يبقى فى القرية مدة يحاول فيها سداد ديونه ، وتطهير الخمسين فدانا التى ورثها عنه مما عليها من ديون للمصارف العقارية ، كما أنه فوجىء ببضع قضايا كيدية رفعها عليه بعض أقارب حاولوا بها اثبات وراثتهم لعمه ، وبمشاكل خاصة بضريبة الأيلولة المستحقة على تركة عمه .. اضطر الى البقاء فى القرية .. على مقربة من مركز مغاغة .. كان يطمع فى أن ينتهى من القضايا ، ويسوى الديون ، ويصفى المشاكل فى بضعة شهور ثم يعود الى القاهرة ولكن ..

ولكن أعواما أخرى انقضت .. قضاها شكرى فى القرية، لا يكاد يستطيع التغيب عنها فى القاهرة الا بضع ليال فى كل شهر ..

ماذا يمكن أن يثير الاهتمام فى قرية نائية من قرى مغاغة ، لا يزيد سكانها على الألفين ؟

واستطاع أخيرا أن يفيق قليلا من القضايا والديون والمشاكل ، وأن يقضى الصيف فى خارج القرية • فى الاسكندرية .. ان هؤلاء الفتيات اللاتى يخطرن على شاطىء المعمورة يذكرنه بماض جميل .. لفتت نظره فتاة كانت تتناول الغداء فى «كابين» مع جماعة كان يبدو أنهم من أسرتها • ثم لمحها فى مطعم من مطاعم « ستانلى » الأنيقة مساء ، وقد حاول أن يسترعى انتباهها فلم يوفق .. كل ما عرفه عنها أنها تدعى علية ، وأنها ابنة أحد تجار القطن فى الاسكندرية •

أطال التفكير ليلتئذ فى علية .. رآها تراقص فى ذلك المطعم شابا ... شابا فى الثالثة أو الخامسة والعشرين .. خيل اليه أنه لمح صورته مع أفراد فريق عربى للعبة السلاح •

وذهب شكرى الى شاطىء المعمورة فى صباح اليوم التالى ، فلمح هناك الدكتور يسرى جالسا تحت مظلة من مظلات الشاطىء مع أسرة علية .. الفتاة التى شغلت تفكيره فى اليومين الماضيين .. تعمد أن يتجه اليه وحياه فقدمه الى الجالسين ومن بينهم علية .. وتبادل مع يسرى حديثا سريعا فهم منه أنه نقل من عمله كطبيب مركز الى الاسكندرية منذ بضعة شهور •

وتعمد فى المساء أن يذهب الى المطعم ، نفس المطعم ، الذى لمح علية تراقص فيه لاعب السلاح فى الليلة السابقة ، جلس على أحد مقاعد « البار » العالية وأخذ يدور ببصره فى المطعم .. لم تكن هناك .. انتظر نحو ساعة تناول فيها بضع كئوس من الخمر ولكنها لم تقبل .. دهش وهو يجيل بصره اذ وقع على .. « يولاند » الراقصة البولندية وقد لفت ذراعها حول لاعب السلاح وألصقت صدرها بصدره وأخذت تدور معه حلقة الرقص وهى تحدق فى عينيه .

وتبين أن الفرقة الراقصة التى تعمل فيها يولاند قد تعاقدت على العمل بأحد ملاهى الاسكندرية .

وغادر شكرى المطعم الى حديقة فندق من فنادق سيدى بشر ثم الى فندق من فنادق « سان استفانو » ..

كان يبحث عنها .. عن علية .. الى أن لمحها تدخل ساحة السينما الملحقة بالفندق فتبعها وتعمد أن يجلس بجوارها .

لم يبد عليها أنها رأته من قبل . فتجرأ وبادرها بالحديث ذكرها بالدكتور يسرى ولقائه معها ، حدثها عن القاهرة ، والريف وقصص السينما ، حاول جاهدا أن يسترعى انتباهها .. أحس بأنها استمعت اليه فى شىء ما البرود ، فصمت وقنع بالنظر اليها.

ظلت علية تتابع القصة المعروضة بينما كان يتحدث .. فلما أحست بذلك التفتت اليه وسألته مندهشة :

ـ لم تنظر الى هكذا ؟

ـ ألا تدرين ؟

ـ لا .

ـ كم حدثوك عن هاتين العينين .. عينيك ؟

ـ مالهما ؟

ـ ساحرتان ، ما رأيت أجمل من هاتين العينين .

فأرسلت ضحكة ساخرة ثم قالت :

ـ قلبك أبيض ..

ثم وجهت اهتمامها الى القصة المعروضة حتى انتهى العرض

ولكن شكرى لم ييأس . كان يحتفظ فى خياله بذكريات مغامراته الناجحة . المغامرات الحافلة بتهافت الفتيات عليه .

التقى بعلية على الشاطىء بضع مرات بعد ذلك ، كان يسير الى جانبها يتحدث اليها ويلخص لها أخبار المجلات الفنية بعد أن تبين اهتمامها بهذه الأخبار .. فاذا تعبا من السير جلسا على احدى الصخور النائية ، كان يبدو عليها الملل أحيانا . ولكنه كان يتغافل عن مللها . فيفرض نفسه كلما سنحت له الفرصة ..

ذات يوم صارحها شكرى :

ـ ألم يخطر لك أن تسألى نفسك عن أمر خاص بى ؟

ـ أى أمر ؟

ــ أما تساءلت : ما هو شــعوره •• شعور هذا الرجل نحوى ؟

ــ لم تريدنى أن أسائل نفسى ؟

ــ اذن اسألينى •• اسألينى : ما شعورك ، ما احساسك ، ما عاطفتك نحوى ؟

فاكتفت بالابتسام وهى تتمتم : هيه •• ــ وعندئذ أمسك بكتفيها وقال لها :

ــ ألم تلاحظى اهتمامى بك ؟ ألم تشعرى باننى أحوم حولك فى كل مكان ؟ • اننى ••• اننى أحبك • أحبك ياعلية •

فتخلصت منه وهى تقول مبتسمة :

ــ أوه •• ســمعت هذا الكلام من غيرك •• كل شاب لا يملك غير هذه الكلمة يرددها لكل فتاة يقابلها •

ــ ولكننى لم أقلها قط لغيرك ••

فعادت تضحك وتقول :

ــ ربما لم تجد من تقولها لها ••

عندئذ أقبل بعض أفراد أسرتها فلحقت بهم •

لم يعد شكرى يشك فى أنه يحب علية •• لا يكاد يطيــق أن يبتعد عنهــا •• ولكن •• هل يمكن أن تحبه كما أحبهــا ؟

وتجرأ شكرى مرة فدعا علية لتناول العشاء معه ولكنها اعتذرت بأنها لا تستطيع أن تبدو ، وحدها بدون أن يصحبها أحد من أفراد أسرتها ، فى مطعم عام مع شاب غريب ، فقال لها :

ــ اننى أشد الناس حرصا على سمعتك . أتعرفين لماذا ؟

ــ لا .. لا أعرف

ــ لأنك ستصبحين .. ستصبحين زوجتى .

فرفعت رأسها وهى تتساءل فى شىء من السخرية :

ــ من قال ذلك ؟ ..

ــ أنا .. سنتزوج .

فهزت رأسها ثم قالت له :

ــ عندما أصبح زوجتك يمكن أن أصحبك الى حيث تشاء، أما الآن فلا أستطيع .

وخطر له أن يذكرها بأنه رآها مع لاعب السلاح ، ولم يكن معها أحد من أسرتها ولكنه جفل .. تبين أنه كلما حاول التعبير عما يجول فى صدره تلعثم ولم يقو على الكلام ، ولما همت علية بالانصراف .. سألها وهو يمد يده اليها :

ــ الى أين ؟

فقالت فى ابتسامة ساحرة :

ــ أيلزم أن تعرف؟ ــ وبعد صمت قصير تمتمت : الى البيت .

ثم صافحته وانصرفت .. فضاق صدره ، تنقل بين السينما وبهو الفندق الكبير ، و « البار » الملحق به حيث احتسى بضعة كؤوس . سكبها بسرعة فى جوفه . ثم انطلق الى ساحة الفندق المطلة على «الكورنيش» التى يحتشد فيها المصطافون والمصطافات فى ثيابهم الأنيقة كل ليلة ، ولكنها زاد اكتئابا . خشى أن يلتقى بمن يعرفه ، تسلط عليه شعور جارف بأنه عاجز عن التعبير عما يجول فى خاطره .. عادت به الذاكرة الى صدر شبابه فى القاهرة .. الى ما قبل عشرة أعوام .. لم يكن اذ ذاك فى حاجة الى ذلك التعبير .. كان يكتفى بالاستماع الى عبارات الاعجاب .. وتلقى المحادثات التليفونية الولهم .. والرسائل الغرامية الفياضة بالأنين والشكوى .. كان يكفيه أن .. أن يسمح بالاستماع الى حديث تليفونى دون أن يعيد « السماعة » الى مكانها لكى يعبر عن رضاه .. ابتسامة تدل على الموافقة على موعد .. ايماء من اليد تنبىء بالمعنى المقصود .. وأحس بأنفاسه تختنق فغادر الفندق الكبير .. سار على قدميه فى ظلام الليل ينظر الى البحر ويحاول أن يملأ رئتيه بهوائه علّه ينعشه .. سار طويلا .. اتجه الى سيدى بشر ثم عاد .. كان شارد الفكر فلم يحس بأنه كان يتجه ناحية « البلد » .. لم يدر كم من الوقت انقضى وهو يهيم وحده على وجهه .. ولكنه أحس بألم فى ساقيه وقدميه وحاجة الى الراحة .. ولمح حديقة

مقهى من مقاهى الشاطىء فى « رشدى » خيل اليه أنه ، فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، قد يحقق له الراحة التى ينشدها . ولكن فوجىء بزميله القديم اسماعيل رأفت جالسا الى جانبها هى .. علية .. الفتــاة التى أحبهــا وصــارحها باعتزامه الزواج منهــا .

اضطرب وخطر له أن يتظاهر بأنه لم يرهما ، ولكن اسماعيل ناداه فاضطر أن يتقدم اليهما ، لم يلتفت الى اسماعيل بل التفت اليهــا هى ، واستجمع قواه المتهالكة ثم سألها :

ــ ماذا تفلعين هنا ؟

أجابته ببرود :

ــ ما شأنك ؟

ــ ألم تخبرينى بأنك راجعة الى البيت !

فتدخل اسماعيل

ــ بأى حق تحاسبها ؟

فتمتم شكرى وهو يحدق فيها :

ــ أهذه تصرفات فتاة من أسرة كريمة !

ولما صاح اسماعيل غاضبا :

ــ لم تخاطبها بهذه اللهجة ؟

ــ استجمع شكرى قواه وأجاب متلعثما :

ـ انها خطيبتى ..

ولكن علية صرخت :

ـ كذاب .. لقد قدمه الى طبيب من أصدقاء الأسرة منذ بضعة أيام فى « المعمورة » ، كانت ساعة سوداء ، منذ تلك اللحظة وهو يطاردنى فى كل مكان .. كرهت الاسكندرية وشـاطئها كرهت الصيف من أجله .

ودنا شكرى من اسماعيل والشرر يتطاير من عينيه وسأله فى صوت ثمل مرتجف :

ـ متى أصبحت فاتن فتيات المصيف !

ولاحظت علية أن تهجم شكرى لفت نظر المحيطين بها . فجذبت اسماعيل وأسرعا بمغادرة المقهى ..

ـ ٦ ـ

وانصرف شكرى هو الآخر .. عاد يهيم وحده فى ظلام الليل على شـاطىء البحر ، خاف أن يعود الى غرفته بالفندق فدخل الى ملهى من الملاهى الليلية المنتشرة فى طريق «الكورنيش» دخله بفكرة أن يسرى عن نفسه أثر ذلك الحادث الأليم الذى وقع بينه وبين زميله القديم من أجل علية .

ولم يكد يلقى بجسمه الى أول مقعد حتى لمح « يولاند » ، الراقصة البولندية ، تجلس على مقعد من مقاعد « البار » العالية،

أشار اليها فردت تحيته من بعيد دون أن تهرع اليه كما كان يتوقع، انتقل اليها ودعاها ولكنها اعتذرت فى لطف وهى تغمز بعينها الى رئيس الفرقة الموسيقية قائلة :

ـ انه زوجى الا تعرف ! .. محظور على مجالسة الزبائن ..

واعتزم شكرى بسيونى أن يغادر الاسكندرية الى القاهرة، مدينة ذكرياته الجميلة ، فاستقل قطار الصباح الباكر ، وجلس يقتل الوقت بقراءة بعض الصحف ، ولما انتهى منها اشترى من محطة بنها بعض المجلات الأسبوعية ، تنقل بصره بين أخبار المجتمع فيها ، الأخبار التى كان قد انقطع عن متابعتها منذ زمن طويل ، ولشدما دهش عندما وقع بصره على صورة كبيرة لنبوية تتصدر مائدة فى حفلة من حفلات احدى الجمعيات الخيرية النسائية والى جانبها منيرة .. منيرة حمدى التى تشاجرت معها منذ بضعة أعوام بسببه .. وقد أشارت المجلة الى أن زوج منيرة وقد أصبح مديرا للمصرف الذى كانت تعمل فيه ، وزوج نبوية الذى ذكرت المجلة أنه أحد كبار التجار فى قطر عربى ، قد تبرعا بمبلغ ضخم لتلك الجمعية بمناسبة اقامة حفلتها .

فلما وصل القطار الى القاهرة لم يغادر شكرى بسيونى محطتها بل توجه الى نافذة التذاكر وحجز مكانا فى أول قطار يغادر القاهرة الى مغاغة ..

منتظرات

منتظرات

ـ ألم تلاحظ يوما عند وصولك الى احدى محطات السكك الحديدية الكبرى وجوه المنتظرين على الافريز ؟

ـ أظنني لاحظت .

ـ ألم يخطر لك يوما أن تدرس وجه احدى المنتظرات اذا ما أقبل القطار يتهادى فى سيره ثم وقف وأخذ ركابه يندفعون هابطين وبدأ رأس تلك المنتظرة يشرئب لتتفقد القادم المنتظر ، بين صياح المنتظرين الذين قدموا لاستقبال قريب أو صديق ، وضجيج

تحياتهم وعناقهم وقبلاتهم وهم يدفعون تلك المنتظرة يمينا ويسارا وهى لا تزال تنقل بصرها بين نوافذ القطار ، مبتدئة من عربة «البولمان» الفخمة منتهية الى عربة الدرجة الثالثة المهشمة ؟

ـ ماذا تقصدين ياسيدتى ؟

ـ يخيل لى أن شيئا من هذا لم يخطر لك مع أنك شاب عنيت بكتابة القصة ، اننى أنصحك بأن تعنى يوما بدراسة وجه احدى أولئك المنتظرات على افريز محطة القاهرة أو سيدى جابر أو الاسكندرية اذا ما أقبل القطار وتلقى زملاؤها وزميلاتها من المنتظرين والمنتظرات أهل القطار بالفرح وهى لا تجد من أقبلت لتلقاه ، انه منظر يثير الشفقة ويستحق الدرس ، انها تبدأ بقطع « الافريز » جيئة وذهابا فى خطى متئدة ثابتة كأنها متيقنة من مجىء القادم المنتظر : فاذا أزف الموعد أرهفت السمع لتنتشى من صفير القطار وهو ينهب الأرض ، حتى اذا بدا من بعيد أصلحت هندامها وألقت نظرة سريعة على مرآتها لتتحقق من زينتها أو فتنتها ، وأطلقت على فمها ابتسامة عريضة ، وأخذت تناضل غيرها من المنتظرين والمنتظرات حتى تضمن مكانا قريبا من نوافذ القطار ، فاذا خاب أملها ولم تعثر على القادم العزيز المنتظر أحنت رأسها وأخذت تفكر فيما عسى أن يكون السبب الذى منعه ، ولا تلبث أن تخفت تحيات الآخرين والأخريات وأصوات قبلاتهم .. وتكاد المحطة تخلو

الا منهـا فتغادرها هى الأخرى وهى تتعثر فى خطى مضطربة متهالكة كأنها خجلى من شىء... ألم تعد وحدها وقد أقبلت منتظرة شخصا عزيزا ، أخا أو أختا أو أما أو أبا أو صديقا .. ؟

ـ وبعد .. مازلت عاجزا عن فهم ما ترمين اليه من هذا كله .

ـ خطر لى هـذا أمس عند عودتى الى القـاهرة بعد أن قضيت مع زوجى بضعة أيام فى الاسكندرية ، اعتدت كما تعلم أن أقضى الصيف معه فى أوروبا ولكننا فضلنا هذا العام أن نقضى الصيف فى « العزبة » وفى الاسكندرية ، لست أخفى عنك أننى لم أعن بعد أن تزوجت منذ خمسة وعشرين عاما بالتفكير فى أمر غير أمر زوجى وأطفالى ، الا أننى لاحظت فى المدة التى قضيتها فى الاسكندرية أخيرا على وجوه الفتيات اللاتى صادفتهن على الشاطىء وفى بعض دور السينما وبعض الملاهى ظاهرة غريبة ، لاحظت شيئا ذكرنى توا بأولئك المنتظرات اللاتى كثيرا ما أثرن شفقتى عندما يغادرن المحطة وقد يئسن من لقاء العزيز القادم ، ان الآلاف من الفتيات اللاتى يستعرضن أجسامهن نصف عارية على رمل الشاطىء فى الصباح ونصف مستورة بثياب السهرة حول موائد الملاهى وعلى مقاعد دور السينما فى المساء ، يبدو على قسمات وجوهها الشابة نوع من الاعياء لطول الانتظار ، أثرن شفقتى لأننى لاحظت فى عيون بعضها ، وهى عيون جميلة لم تشبها

هذه الشرايين المحتقنة التى تراها فى عينى امرأة مثـلى تخطت الخمسين ، عيـون كان يجب الا ترى فيها الا الدعة الصـافية البريئة ، ولكننى لاحظت أنها بدأت تبرق بريقا مخيفا .. بريق التمرد على ذلك القـادم المجهـول الذى طـال انتظـاره ولم يحضر ، كما لاحظت على الأخريات أنهن أنشـأن مع زميـلاتهن من المنتظرات صداقة سريعة مكنتها النكبة المشـتركة فى طول الانتظار فجمعهن السخط والتبرم ، أعلمت الآن من هو القادم المنتظر ؟

ــ الزوج ؟

ــ هو ذلك .. لقد طال انتظار فتيات اليوم لذلك الزوج المجهول ..

فابتسم وقال لها :

ــ واذا حضر ؟

وعندئذ أرسلت سنية زوجة زميله المحامى الكبير الأسـتاذ عونى ضـحكة قصيرة ، ثم أجابته :

ــ آه ! .. ويل للمسكين اذا حضر ، ستفرح بمقدمة واحدة وتسخط باقى المنتظرات ، انهن محقات الى حد ما .. فلا شك أنه قطار كريه ذلك الذى يقبـل بعـد طـول الانتظار حاملا راكبـا واحـدا !

ذلك هو الحديث الذى دار بينه وبين سنية مساء ذات يوم

بمنزل زوجها الذى اعتاد أن يتردد عليه ، وقد أعجب الى حد كبير بملاحظة السيدة المصرية الموفقة على فتيات اليوم ، وان كانت ملاحظة لاذعة من سيدة تحقق أملهـا فى الزواج قبـل أن تبدأ انتظارها ، لأنها حصلت على الزوج المنشـود دون انتظار طويل وقد وصل الترف ـ فى زمنها ـ ببعض الأسر الكبيرة الى حد ايقاف القطارات فى غير المحطات المعدة لوقوفها عند اقامة حفلات زواج أبنائها وبناتها ، فلم يكن العروس ولا أهلها فى حـاجة الى الانتظار تحت وهج الشمس أو وابل المطر على رصيف المحطة .

— ٢ —

وانقضت بضعة أسابيع كاد ينسى فيها حديثه مع سنية عن المنتظرات ، الى أن التقى فجأة بصديقه القديم حسين شوكت ، الذى زامله مدة طويلة فى دراسته الابتدائية والثانوية . لم ينفصلا الا فى مرحلة التعليم الجامعى عندما التحق شوكت بكلية الصيدلة وتابع « هو » دراسة الحقوق .

كان صديقه شـوكت معروفا منـذ صـغره بمغـامراته العديدة ، المغامرات التى كثيرا ما حدثه عنها وهو يستشهد بمنديل صغير عليه آثار حمر تسجل ذكرى قبلة ، أو خصلة من شعر أشقر داخل أحد كتب «المنفلوطى» . أو رسالة معطرة .

وعندما كان شوكت ينفرد به فى ناحية نائية من فناء المدرسة ليسرد عليه أخبار مغامرة من مغامراته مع فتاة ما كان يخيل اليه فى بادىء الأمر أن شوكت قد أحب تلك الفتاة . ولكنه لا يلبث أن يتحقق بعد بضعة أيام أنه كان واهما . عندما يقبل شوكت ليحدثه عن أخرى ، تحمل اسما جديدا ، وتنتمى الى أسرة لا صلة لها بأسرة الأولى ، وتقطن حيا بعيدا عن الحى المعهود ..

التقى صدفة بصديقه القديم شوكت فجأة وهو جالس خلف احدى الموائد العالية بمقهى النزهة فى الاسكندرية ، المقاعد التى تطل من شرفة واسعة رحبة على حديقة النزهة . شك بادىء الأمر فى امكان أن يجلس شوكت المغامر منذ الطفولة تلك الجلسة الوديعة وحيدا يقرأ فى كتاب وسط أشجار الحديقة ؛ ولكنه لم يلبث أن أشار اليه فتقدم اليه ليحييه ولم يلبث أن صارحه بدهشته قائلا :

ــ ما الذى جاء بك الى هنا يا شوكت ؟

فأجابه بعد أن أغلق الكتاب :

ــ مكان هادىء ، ماذا يغرى داخل المدينة على البقاء فيها ؟

وعندئذ أطلق « هو » ضحكة ساخرة وهو يمسك بالكتاب وصاح :

ـ ما هذا الهدى الذى نزل عليك ؟ منذ متى ؟

ولم يكد ينظر الى عنوان الكتاب حتى تبين أنها قصة عنوانها « ليلة حب » فأخذ ينقل بصره بين عنوان القصة ووجه صديقه شوكت وقد بدت عليه أمارات الذهول وتمتم :

ـ ماذا دهاك ياشوكت ؟

فضحك ثم تمتم :

ـ ما الذى لا يعجبك ؟

ـ لا شيء ، ولكن .. ولكنى مندهش .

ـ مم ؟

ـ من التغير الذى جد عليك .

ـ خائف من أن أصارحك .

ـ ولم الخوف ؟

ـ لن تصدقنى .

ـ الى هذا الحد ؟

وعندئذ زفر صديقه القديم تنهيدة حارة وهمس وهو يتناول الكتاب من يده فى رقة .

ــ أحب ــ فتأثر له وعاد يسأله .

ــ كيف ياشوكت ؟

ــ نعم أحب ، أحب حبا خلق منى انسانا جديدا ــ وكأنه أشفق على صديقه الذى استطاع طول تلك المدة الماضية أن ينجو من كل مغامرة غرامية ثم عجز عن المقاومة فى مغامرته الأخيرة فسألها فى صوت خافت :

ــ وبعد ؟

ــ هذا ما حصل ، لا أدرى ماذا أفعل ــ كان شوكت يتكلم ونظراته الزائغة تتجه الى مدخل الحديقة . وباب المقهى . وتوقف عن الحديث قبل أن يتمه . وتأهب لاستقبال قادم . عندئذ وقبل أن يستوضح ما استفسر عنه لمح « هو » فتاة تتقدم بخطى مسرعة الى باب المقهى مجتازة احدى طرقات الحديقة الملتوية ، ثم صعدت السلم ، واتجهت فى رشاقة الى حيث جلسا فقدمها شوكت قائلا :

ــ بهية يسرى ..

وبعد أن أخذت رأسها ألقت بنفسها على المقعد وفتحت حقيبتها ثم أخرجت منها علبة كبيرة من علب السجائر ألصقت سيجارة منها بشفتها السفلى ثم أدنتها من السيجارة التى كانت مشتعلة فى فم شوكت فأشعلتها منها ونفثت قدرا من دخانها فى الهواء وهى تقول :

ــ تعرف أننى كنت على وشك التخلف عن المجىء ياشوكت
ــ فقطب حاجبيه وسألها فى لهفة :

ــ لم يا « بيبى » ؟

وعندئذ مدت ذراعها فطوقت به ظهره وهى تقول :

ــ ابن عمى زارنا وصمم على أن أصحبه لتناول العشاء ، وأنا أعرف بهجت ابن عمى ، العشاء معه يعنى السهر حتى الفجر، كلما عزفت فرقة الموسيقى قطعة راقصة فعلى أن أراقصه حتى تتخاذل ساقاى وأهوى اعياء .

ثم سكتت قليلا ، ولما لاحظت العبوس الذى بدا على وجه شوكت مدت شفتيها ثم لوتهما فى حركة صبيانية واستمرت قائلة :

ــ كيف أقبل مثل هذه الدعوة وأترك خطيبى فى حديقة النزهة ، وحده ــ ولمحت عنوان الكتاب فاستمرت قائلة ــ يقرأ « ليلة حب » ..

وكأن شوكت خجل من تصريح صديقته أمام صديقه بأنها ترقص حتى تكل ساقاها ، فسألها فى لهجة لم تخل من عتاب :

ــ أتحبين الرقص الى هذا الحد ؟ ــ فألقت رأسها على كتفها اليسرى فى تدلل وقالت له فى تمتمة خافتة :

ــ يغضبك أن ترانى أرقص مع ابن عمى؟ ــ فتكلف شوكت شيئا من عدم الاكتراث وقال لها وهو يضع الكتاب على مقعد بعيد :

ــ لا .

فربتت على صدغيه وقالت :

ــ غدا أرقص معك أنت ، عندما لا يصبح لأحد سواك أن يحاسبنى ــ والتفتت اليه « هو » ثم سألته ــ أنا وشوشو ثنائى مدهش ، فى أية رقصة ، أليس كذلك ؟ ــ وفهم أنها تشير الى فكرة الزواج بشوكت .. فاكتفى بالابتسام دون أن يجيب ، لأنه لم يكن يعلم شيئا عن رأى شوكت فى ذلك « العرض » الذى تقدمت به صديقته التى صارحه بأنه يحبها ، وكأنها خشيت ألا يكون قد فهم فسألته :

ــ أين سنقضى الصيف القادم ياشوكت ؟

فأجابها وقد بدأ الامتعاض يبدو على وجهه من الحاحها فى التلميح لفكرة الزواج :

ــ لست أدرى بعد ، لا تزال أمامنا بضعة شهور ؟

وعندئذ أسرعت بتناول يده وأخذت تضغط عليها كأنها تعتذر عن تسرعها وهى تقول : كما تشاء ياروحى ، المكان الذى

تفضله سأحبه وأراه أجمل من سواه ، سأتبعك حيث تذهب ..
رجلى على رجلك .

وتعمد « هو » اذ ذاك تحويل الحديث الى وجهة أخرى لأنه لاحظ أن شوكت قد تزايد امتعاضه من اصرار بهية علـى الاشارة الى مشروع الزواج .

— ٣ —

بعد يومين التقى بشوكت جالسا مع بعض أصدقائه وأمامه كأس من الويسكى ، وقد ارتفع صوت ضحكاته الثملة التى كان يطلقها وهو يدق الأرض بقدميه ، ولم يكد يـراه حتى وقف وأمسك بيده ملحا عليه فى أن يجلس ، فلما اعتذر « هو » بأنه على موعد فى مطعم « الميزونيت » همس فى صوت بان عليه التأثر الشـديد :

— ستراها هناك ..

نسأله :

— من هى ؟

— بهية .. أهناك غيرها ؟

— من رأيتها معك فى حديقة النزهة ؟

ـ أجل ، كنت أعتزم المجيء الى « الميزونيت » ولكننا تشاجرنا اليوم ، لن أذهب ..

فتذكر مغامراته القديمة التي كانت تنتهي دائما بنفس النهاية وابتسم قائلا : لم ؟ ـ ولكنه ضغط على يده بقوة وقال له

ـ أحبها .. انما لا أود أن أراها ، لو سألتك عني قل لها سافر ..

ـ ماذا حدث ؟

ـ لا شيء ، ضيعت نفسها وضيعتني ، أقسم لك أنني كنت معتزما الزواج منها . أنت عارف أنني كنت قد ضقت بالحياة التي عشتها ، كل يوم مع امرأة أو فتاة جديدة ، ولكن بهية تسرعت وظلت تلمح عن الزواج ، وتلف وتدور حوله حتى أصبحت أعتقد أنها لا تجد غيري يقبلها زوجا ، وانها انتظرت وطال انتظارها حتى عثرت بأول من صارحها بحبه فتشبثت به ، من يدري لكم رجل رددت هذا الكلام ؟ ـ وأرسل ضحكة عصبية جافة ، ثم تناول كأسه من المائدة وأفرغها في جوفه وهو يقول :

ـ ترقص الى أن تتخاذل ساقاها . ! أرجوك ألا تخبرها انك رأيتني ، انني أحاول أن أنساها .. لهفتها على الزواج تخيفني

ألا يجوز أن أكون قد بدأت أملهـــا ؟ لا يمكن أن أتزوج فتاة فرضت نفسها على بهذا الأسلوب ، ألست محقا ، ما رأيك ؟ أراك ساكتا لا تبدى رأيا •

وعاد يطلق ضحكاته الثملة •

— ٤ —

بعد بضعة أسابيع ذهب « هو » كعـــادته لقضاء نهاية الأسبوع فى الاسكندرية ، وتعمد أن يبحث عن صديقه القديم حسين شوكت فلم يجده فى الأماكن التى اعتاد أن يتردد عليها • أخيرا عثر عليه جالسا الى جانب احدى موائد المقهى القائم فى أول شاطىء سيدى بشر يطيل النظر الى مظلة حمراء كبيرة نصبت بقرب المقهى ، وقد جلست تحتها أسرة مصرية لفتت نظره من بينها فتاة فى نحو الثامنة عشرة من عمرها ارتدت ثوبا رياضيا من ثياب الشاطىء لم يكشف عن شىء من جسمها كما كشف غيرها من المصطافات اللاتى استلقين على رمال الشاطىء •

وتعمد « هو » أن يجلس الى جانب مائدة أخرى خلف شوكت دون أن يدعه يلتفت الى وجوده ، فلاحظ عن كثب تلك النظرات الخجلى التى كانت تتبادلها معه ـــ خفية ـــ ابنة الأسرة الجالسة تحت المظلة ، انقضى وقت طويل دون أن تتحرك الفتاة ذات اللون الخمرى والعينين الواسعتين ، كان الشاطىء يمـــوج

بجموع الفتيات اللاتى يخطرن بثياب الاســـتحمام ويطلقــن الضحكات فى مرح طائش، ولكن فتاة شوكت ظلت قانعة بالجلسة الهادئة الوديعة وقد اعتمدت على راحتى يديها حتى غاصت أصابعها فى الرمل واختفت دون أن تشعر •• وهى دائبة بين كل فتــرة وآخرى على تبادل نظرة سريعة مع شوكت الذى قنع هــو الآخر بالجلوس وأمامه قدح من عصير البرتقال •

وأراد « هو » أن يكشف سر هذه المغامرة الجديدة التى خالف فيها شوكت طريقته القديمة فأشعره بوجوده خلفه ، ولكنه دهش اذ رآه يكتفى باحناء رأسه فى رقة دون أن يشجعه على الانتقال الى مائدته •

لم يقم ليعانقه كعادته ، ولم يصرخ ويصخب و « يهرج » كما ألف منه ، بل حياه بتلك الهزة من رأسه ثم أدار له ظهره وعاد يطيل النظر الى ساكنة المظلة الحمراء الكبيرة ••

واشتد شغفه بمعرفة سر ذلك التطور الغريب فانتظر الى أن جمعت الأسرة مظلتها واستقلت سيارتها وشوكت يشيعها بنظراته حتى اختفت ثم انتقل الى مائدة صديقه وسأله :

ــ من هذه ياشوكت ؟

فأجابه وهو يبتسم ابتسامة خبيثة :

ــ واحدة ــ ودهش لهذا الرد فعاد يسأل :

ــ عارف •• انما من هى ؟

ـ فيما بعد أقول لك .

وبدا جليا عليه أنه يكتم سرا لا يود أن يبـوح به له ، وذهب « هو » فى المساء الى فندق سان استفانو فلاحظ أن شوكت لم يقض الوقت فى « البار » كعـــادته بل أخذ يقطع شاطىء الفندق جيئة وذهابا ، وكانت الفتاة التى رآها تحت مظلة أسرتها فى سيدى بشر تسير على شاطىء الفندق مع بعض أفراد الأسرة الذين لمحهم معها فى الصباح ..

وفى اليوم التالى التقى فى طريق أبى قير بصديقه شوكت يسير الى جانب فتاته الجديدة ..

ولما حياه استوقفه شوكت ثم قدمها اليه قائلا :

ـ رفيعة ، خطيبتى ـ وعندئذ شهقت الفتاة ثم أحنت رأسها خجلا ورفعت يديها تخفى بهما عينيها وقد ارتجفت أهدابها ، فأمسك شوكت بكتفه وهو يقول له :

ـ انها تسمع سيرة الخطوبة لأول مرة .

وأخرج شوكت من جيبه « دبلة » ذهبية لم يكد بصر رفيعة يقع عليها حتى تدفق الدم الى وجهها وقالت له وهى لا تزال تغالب خجلها أمامه كطفلة :

ـ لا شأن لى بهذا ، رح كلم أبى ، أهكذا ياشوكت تحرجنى أمام صاحبك .. ؟

وعاد « هو » الى القاهرة ..

وبعد بضعة أسابيع تلقى من حسين شوكت رسالة يخبره فيها بموعـد عودته الى القاهرة مع عروسه رفيعة ، فذهب الى المحطة لانتظـاره . وعلى بضـع خطـوات منـه لمح بهيـة يسرى، صـديقة شـوكت القـديمة . واقفـه هى الأخـرى تنتظر نفس القطـار ، خجل من أن يحييهـا لأنه تخيـل قسوة الموقف الذى ستقفه عندما يصل القطار المنتظر وفيه شوكت وعروسه ، ولكنها رأته فتقدمت اليه تحييه فى صوت عال والسيجارة تتدلى من شـفتها .

وخشى أن تسأله عن السبب فى حضوره فأسرع « هو » بسؤالها :

ـ ياترى من تنتظرين فى هذا القطار ؟

وعندئذ أجابته فى ضحكة مرحة .

ـ ابن خالتى .. أصله من الاسكندرية ولا يعرف القاهرة، وعادت تطلق ضحكة ساخرة ـ جئت أنتظره خشية أن يتوه !

وبان من سخريتها أن القادم الذى تنتظره لا يمت لها بصلة قرابة . فجاراها « هو » فى هذه السخرية وسألها :

ـ لعلك أعددت له برنامجا حافلا عن ليالى القـاهرة ـ فأجابتـه :

ـ على قدر ما أستطيع ، ليلة فى المقطم ، وليلة فى مدينة الخيام ، وليلة هدنة فى أحد المسارح أو دور السينما ...

ولما ارتفع صفير القطار من بعيد .. أرهفت بهيـة أذنهـا وشخصت ببصرها ، أقبل القطار يتهادى وقد أطلت منـه رءوس الركاب ، فتدافع المنتظرون والمنتظرات الى النوافذ يتلقون أهلهم وأصدقاءهم ، وهبط شوكت وعروسه من عـربة « البولمان » تضمهما باقة كبيرة من الورد الأحمر فصافحهما « هـو » مهنئا والتفت يبحث بنظره عن بهية ، كانت تشرئب برأسها باحثة عن القادم المنتظر فى عربات القطار المختلفة ، تقـدم الجميع الى باب الخروج وبهية ماتزال تقطع الافريز جيئة وذهابا أكثر من مرة دون جـدوى ، فلما يئست أحنت رأسـها ثم أشعلت سيجارة وأخذت تنفث دخانها فى الهواء لكى تخفى اضطرابها .. حاولت عبثا أن تتفادى النظر الى شوكت وقد تأبطت عروسه ذراعه واتجها مع القـادمين والمنتظرين الى باب الخروج .

أما هى .. فقد تسمرت قدماها . حتى خلت المحطـة من القادمين والمنتظرين .. والمنتظرات !

عيون معصوبة

عيـــون معصـــوبة

« ساعة مبكرة من ساعات الصباح،
التليفون يدق دقات سريعة ثائرة فى
غرفته ·· « هو » شـــاب يقطن منزلا
مكونا من غرفتين وبهو حوله الى مرسم
يقوم فيه بنحت تماثيله الجديدة أمـا
« هى» ففى طرف القاهرة الآخر تسكن
« فيلا » تحيط بها حديقة صغيرة فى
« الزيتون » ، أحدهما لا يرى الآخر
لأن مسافة بعيدة تفصل بينهما » ·

هى ــ سعدت صباحا ·

هو ــ سعدت صباحا ·· من أنت ؟

هى ـ أيهمك هذا ؟

هو ـ كيف لا يهمنى ؟ الا أعرف من يحدثنى ؟

هى ـ واحدة .

هو ـ أنا واثق من هذا .. صوتك ليس من الخشـونة بحيث يجعلنى أشك فى أنك .. أنك سيدة أو آنسة .

هى ـ هل بدأت ؟

هو ـ ماذا ؟

هى ـ هل بدأت تسخر ؟

هو ـ من قال لك عنى اننى مغرم بالسخرية ؟

هى ـ يبدو ذلك من نظرتك .

هو ـ وكيف تعرفين ؟

هى ـ رأيتـك

هو ـ متى ؟

هى ـ أكثر من مرة .

هو ـ أين ؟

هى ـ فى أكثر من مكان .. هنا وفى الاسكندرية .

هو ـ ولكن ..

هى — ولكن ماذا ؟

هو — ولكن من أنت .. يا سـيدتى ؟

هى — أوه .. انك تشوه جمال حديثنا بهذا الالحاح .

هو — أنا لا ألح .. ان معرفة اسمك لا تهمنى الى الحد الذى تتوهمين ..

هى — لو لم تكن مغرورا !

هو — عجبا .. أليس من حقى أن أعرف من يحدثنى فى منزلى ؟

هى — ستعرف .

هو — متى ؟

هى — فيما بعد .. أترك هذا الآن .. أريد أن أهتـدى برأيك فى أمر يهمنى .

هو — رأيى أنا ؟

هى — أجل ..

هو — من أين جاءتك هذه الثقة بى ؟

هى — لست أدرى .. انه شعور قديم يعود الى اليوم الذى رأيت فيه أول تماثيلك الرخامية الصغيرة التى كنت تعرضها .

ذلك التمثال الذى يمثل المرأة « الغجرية » التى تحمل طفلها على كتفها . أتدرى بماذا شعرت وأنا واقفة أمامه ؟

هو ــ لا أستطيع أن أجزم .

هى ــ شعرت أنك تحمل هم تلك المرأة التى كانت الكآبة تبدو على قسماتها . وهم كل امرأة تعسة فى هذا العالم .

هو ــ أخاف من هذا المديح .

هى ــ لا تخف .. بالعكس سترى بعد أن تعرفنى أن هناك أشياء أخرى ستخافها .

هو ــ مثلا ..

هى ــ أعرف أنك لم تحب بعد .. الشىء الذى عليك أن تخافه اذا رأيتنى هو أنك مسوق الى حبك الأول .

هو ــ لو لم تكونى مغرورة ..

هى ــ لا تقلدنى .. ولا تسرق كلماتى .. أعرف أنك بعد أن سمعت مديحى خيل اليك اننى امرأة اعتادت أن تتملق الرجال .. أنت واهم .. اننى اعتدت على العكس أن أتلقى مديحهم . أنال « نجاحا » حيثما ذهبت .. هذا الصيف مثلا .. رأيتك أكثر من مرة فى « جليم » . مررت أمامى على بضع

خطوات . لابد أنك رأيتنى ولو أنك تتعمـــد اخفـــاء عينيـــك بتلك « النظارة » ذات الزجاج الأسود .. لقد كنت أرشق وجه فى ذلك الشاطىء المحتشد بالوجوه الرشيقة . لا أذكر أن رجلا رآنى دون أن يغرقنى فى سيل من كلمات الثناء والاعجاب .

هو ــ ولم كل هذه « المحاضرة » ؟

هى ــ لأن الكثيرين يخيل اليهم أن المرأة التى تبدأ رجلا بمشاغباتها « التليفونية » لابد أن تكون دميمة .

هو ــ لم يخيل الى ذلك .

هى ــ ولكنك ربما سمعت الآخرين يشيرون اليه .

هو ــ اعتدت ألا أصدق كل ما يقال لى .

هى ــ ستصدق كل ما قلته لك الآن عن نفسى عندما ترانى .

هو ــ أراك تكررين « عندما ترانى » كأنك توحين الى أن أطلب رؤيتك .

هى ــ ألا تريد ؟

هو ــ دون أن أعرف من أنت ؟

هى ــ أجل .

هو ــ لا أظن ..

هى ــ أنت صريح .. لا .. أكثر من ذلك .. جرىء .

هو ــ هذا عيبى .

هى ــ أتراه عيبا .. اننى لذلك أتحدث اليك .

هو ــ هأنذا أستمع اليك .

هى ــ أترى أنك طيب القلب دون أن تعرف .

هو ــ يضحكنى هذا الوصف .

هى ــ أؤكد لك أنك تظن فى نفسك القسوة .. ولذا تسير دائما عابس الوجه مقطب الجبين .. قلت لك اننى رأيتك أكثر من مرة .. أتدرى ؟ خيل الى ذات مرة بعـد أن رأيتك أن أصبح « باباى » !!

هو ــ ولم عدلت ؟

هى ــ لأننى كنت أعتزم أن أتحدث اليك كما أفعل الآن .. ولم أرد أن ألفت نظرك الى .

هو ــ قلت لك اننى أستمع اليك .

هى ــ هل أنت على عجل ؟

هو ــ لا .. اننى سـعيد اذ أشـعر منك بهذه الثقة .

هى ــ صوتك يوحى بهذا الشعور .. ان الموضوع الذى سأحدثك عنه له أوثق الصلة بحياتى كلها . التى تتحدث اليك الآن ليست آنسة كما خيل اليك .. انها فى الرابعة والعشرين .

جميلة كما قلت .. تلقت قسطا كبيرا من التعليم الذى يمــكن أن تتلقاه فتاة مصرية .. لها ميل طبيعى الى كل ما هو جميل ونقى .. تتذوق الصورة الفنية الموفقة .. وتنصت الى النغمة الموسيقية حيثما رنت هذه النغمة . فى خرير الماء المتساقط من أفــواه «الساقية» التى تجرها بقرتان معصوبتا العينين وسط حقل «العزبة» أو الرذاذ المرتطم بصخور الجزء النائى البعيد من شاطىء «جليم» حيث يأبى المصــطافون والمصطافات أن يذهبوا لأنهم يحبون ــ لسخفهم ــ الضجة ويأنفون من الهدوء . وفى ارتجاف قطرات ندى الفجر على زجاج غرفتها المغلقة فى ليالى الشتاء، تقف طويلا أمام التماثيل التى تعبر عن عاطفة وفكرة انسانية يدق فهمها على غيرها وهى معروفة بين زميلاتها برقة ذوقها فى اختيار الثياب.. انه ذوق أصيل بشهادة الجميع . كما أنها تختلف عن الكثيرات من المصريات فى أنها تستيقظ من نومها مبكرة لكى تسرع أحيانا بارتداء ثوب أنيق من « ثياب » الغرفة وأحيانا أخرى بارتداء « بيجامة » أفرغت فى حياكتها كل ذلك الذوق الذى حدثتك عنه . لا تذكر أنها قابلت زوجها أو أحدا من أهله .. فى أية ســاعة من ســاعات النهــار الا وهى متعطرة بالعطر الذى جعلته يحبه كما تحبه هى لأنه عطر شاعرى .. يرتفع بالروح الى جو أسمى من الجو الذى يعيش فيه الناس . هذه هى المرأة التى تتحدث اليك الآن لتقول لك انها برغم ذلك كله تعسة .. بل انها تكاد تكون أتعس نساء الأرض .

هو — وكيف ؟

هى — لأنها تبينت أن زوجها •• الرجل الذى أحبته دون سائر الرجال والذى وهبت له أعز ما تملك وهو قلبها •• قد خانهـــا !

هو — « هامسا » خانها ؟

هى — أجل • خانها مع فتاة أخرى •

هو — ولم ؟

هى — وهل هناك أسباب يستند اليها الرجال عادة لخيانة النساء اللاتى يحببنهم ؟

« وسادت فترة صمت طويلة خيل اليه أثناءها أن صوت نحيب بعيد تحمله أسلاك التليفون الى أذنه •• وأحس بشـــعور يستولى عليه نحو تلك المجهولة التى تتحدث اليه •• شعور من العطف والرفق والدعة والحنان » •

هو — وماذا تريدين منى ياسيدتى ؟

هى — لست أدرى •• اننى أبكى الآن وأنا مرتاحة •• ألا يدهشك هذا ؟ حتى البكاء لا أستطيعه أمام الناس ! اعتدت أن أبــدو أمامهم متظـــاهرة بالفـــرح والســـعادة •• ان من العسير على شابة مثلى فى الرابعة والعشرين أن تثير شماتة الناس بها •• لذلك أتظاهر بالضحك وقلبى يدمى • أحيانا أستغرق فى الضحك لأتفه الأسباب لأننى أكون اذ ذاك فريسة أزمة نفســية

حـادة من أزمات السخط على هذا الحظ الذى نكبنى وأنا بعد فى سن لا تحتمل أهوال النكبات .. لم أرتكب ذنبا .. لم أسىء قط الى أحـد . لا أذكر أننى اقترفت اثما أستحق عليـه هـذا الجزاء ! ..

هو ــ أنت أذكى من أن تضعفى هذا الضعف ياسيدتى .. من يدرى ؟ ربما مهدت هذه العاصفة التى اجتاحت منزلك لحياة أرغد وأسعد .. اننى أذكر قولا لأحـد مؤلفى قصص الحب الخالدة .

هى ــ .. ما هو ؟

هو ــ « اذا أردت أن تحتفظى بالرجل جيدا فاتركى له شيئا من الحرية وتظاهرى بأنك لم تفطنى الى زلاته » .

هى ــ أرجوك ألا تنصحنى على الوتيرة التى ينصحنى بها الآخرون . اننى أتحدث اليك لا لأتلقى هذه العظات التى أعرفها قبل أن أسمعها منك .

هو ــ آسف ياسيدتى اذا جعلتك تثورين فجأة بسبب هذه النصيحة . هل لى أن أسألك مرة ثانية ماذا تريدين منى اذن ؟

هى ــ أن تدعنى أبكى .

هو ــ فقط ؟ ..

هى ــ أجل •• دعنى أبكى فقط لأننى محرومة من أن أبكى أمام الناس المتصلين بى •• القريبين منى •• ان والدتى نصحتنى كما نصحت عجوز قصة الحب التى اشرت اليها أن أغمض عينى عن خيانة زوجى واستدلت على ذلك بأن أبى كان فى شبابه قد اعتاد السهر خارج المنزل الى ساعة متأخرة من الليل وذاع عنه انه اتصل باحدى الراقصات •• فلما تظاهرت بعدم الاكتراث • وانقضت مدة طويلة انتهى بأن ثاب الى رشده • وعاد الى أسرته• وبيته • أنا لا أفهم هذا النوع من النصائح لأننى لا أطلب من الحياة الا أن أعيش هذه الأعوام القليلة فى الجو الذى كنت أحلم به طفولتى • هل يزعجك أن أبكى هكذا بين يديك •• أقصد أن تسمع بكائى بضع دقائق فى كل يوم ؟

هو ــ كلا •• ولكن ••

هى ــ ولكن ماذا ؟ أكاد أثق بأننى أزعجتك •

هو ــ ولكن لم اخترتنى لهذا الموقف الأليم ؟ • أن أقف مكتوف الذراعين أمام سيدة شابة مثلك تبكى بحرارة ؟

هى ــ ألا تعرف لم ؟

هو ــ ربما •• ولكنى أريد أن أسمع منك •

هى ــ آه • لو أنك قللت من هذا الاعتزاز بنفسك •• كنت أظن أننى أصلب رأيا من أن أضعف أمام رجل فأعترف له وفى أول مرة أتحدث اليه بأمر كهذا •

هو ـ وما هو ؟

هي ـ منذ رأيتك لأول مرة شعرت بأنك الرجل الوحيد الذي يمكن أن أثق به .. كنت أظن أنني عنيدة .. ولكن لست أدري ماذا دهاني بعد أن تحدثت اليك .. ألا تشاركني الاحساس نفسه ؟ أحس .. أحس بأنني مسوقة اليك معصوبة العينين .. مادة الذراعين ومع ذلك فانني أسير على هدى كأنني أعرف أين تقطن .. على أن أحدا لم يخبرني بمكانك . انني أتحدث اليك الآن وأنا أضع يدي على عيني كعصابة وأتخيل كل شيء بك .. قل لي ! هل أغلقت نوافذ غرفتك لتتقي حر هذا اليوم ؟

هو ـ أجل . ولكنني أشكو من ألم في عيني اليسرى .

هي ـ لم ؟

هو ـ كنت قادما بالسيارة من الاسكندرية فأصاب تلك العين هواء بارد أثناء الطريق .

هي ـ أوه .. انك تهمل الحرص على صحتك كطفل مدلل .. أعندك بعض أقراص الاسبرين ؟

هو ـ أجل .. في درج مكتبي .

هي ـ وكوب ماء ؟

هو ــ أتحدث اليك وأنا أمسك بها •

هى ــ تناول هذا القرص •

هو ــ هأنذا أفعل •

هى ــ ستستريح بعد قليل •

هو ــ ستسخرين منى اذا قلت لك اننى أشكو من هذا الألم الشديد منذ أمس وأقراص الاسبرين عندى دون أن أذكر أنها هنا •

هى ــ الى أن ذكرتك أنا •• أكاد أعرف كل شىء عنك دون أن أعيش معك •• كنت أقول لك اننى لو عصبوا عينى لأقبلت اليك ووقفت أمام باب منزلك •• ثم فتحته وصعدت السلم درجة درجة وبعد ذلك تقدمت على أطراف أصابعى ووقفت خلفك وأنت تعمل فى أحد تماثيلك •

هو ــ ولم هذه العصابة على عينيك ؟

هى ــ لست أدرى •• تلك البقرة التى تربط الى ساقية معصوبة العينين والتى حدثتك عنها منذ برهة لو أنهم رفعوا تلك العصابة عن عينيها ما استطاعت أن تدور حول هذا القدر المحتوم شهورا وأعواما •• أنا أيضا أعرف أننى أرتكب خطأ اذ أسعى اليك ، ولكنى أحس أننى منساقة •• قلت لك ان شيئا •• شيئا ما يدفعنى نحوك وأنا كما صارحتك عنيدة • لو أفقت وفتحت

عينى لثرت على نفسى وعليك •• ولذا أفضل أن تعصب عيناى لكى أدور حولك كما لو كنت أدور حول قدر محتوم دون أن أتضجر أو أثور •

هو ـ مدهشة ••

هى ـ كنت مدهشة • ولكنى أحس الأن أننى كغيرى من النساء يتعالين على جميع الرجال ويخضعهن رجل واحد •

هو ـ ماذا تريدين الآن ؟

هى ـ أراك لا تعلق على كلماتى الأخيرة كأنك توافق على أنك أخضعتنى •

هو ـ ألا أستطيع أن أعرف ماذا ترتدين الان ؟

هى ـ « بيجامة » وردية اللون •

هو ـ لا أحب لون الورد فى ثياب المنزل •

هى ـ انتظر قليلا •• انهم ينادوننى هنا •

« وبعد قليل عادت اليه » •••

هو ـ فيم كانوا يطلبونك ؟

هى ـ لا شىء •• لقد أبدلت « البيجامة » الحمراء بثوب أزرق •

هو ـ انه لون مريح •

هى ــ ماهو الأزرق فى غرفتك ؟

هو ــ كل شيء فيها •• جدرانها •• بســاطها •• غطاء مصباحها وستر التماثيل التى انتهى نحتها •

هى ــ هذه الستر الزرق قد تراكم عليها تراب خفيف •

هو ــ أجل •• شيء أشكو منه ولا سبيل الى دفعه •

هى ــ أميل الى الاعتقاد أن حياتك مجدبة من امرأة تبعث فيها شــيئا من الحنان •• امرأة تفهمك وتعينك على تحقيق أطماعك فى المجد الذى تنشده •

هو ــ أتحدث اليك الآن والقطة تنهش أحد جواربى على عتبة الباب • وقميص معلق أمامى دون كى كما تركته منذ بضعة أيام •• وفتات الخبز وقدح القهوة التى تنـــاولتها فى الصباح ما تزال على المائدة لم يرفعها أحد •

هى ــ تخيلنى الآن وقد أقبلت اليك فى غرفتك • أزيل كل ما تشكو منه وأحمل معى باقة من الورد الأبيض أضعها فى آنية خزفية على مكتبك الذى يتوسط الغرفة •• ثم أجلس فى هذا الثوب الأزرق الذى تحبه وأبدأ فى رسم صورة فحمية لأحد تماثيلك التى أحس أنك تعجب بهـا وتفضلها على غيرها •• حتى تعود من عملك فى الخارج فأستقبلك عنـد البـاب •• يسبقنى العطـر الذى تحبــه • أتناول الكتب والمجـلات التى تحملها

وأضعها مرتبة على المكتب لتزينه كأنه كان ينقصها .. ثم أقــدم لك الطعام الذى أكون قد أشرفت على اعداده فى الصباح .. ثلاث صــحاف فقط .. حســاء ســاخن وقطعــة من اللحــم المشــوى مع بعض الخضر وصنف واحد من الفاكهة . هذا يكفى. لا تكن « فجعــان » ! ان لديك اسـتعدادا خطــرا للســمنة .. وقدح من القهوة أعدها بنفسى وأقدمها اليك بانحناء كأنك ملك ثم أطلق ضحكة ساخرة وأنت تتلقى منى القهوة هادئا وقد خيل اليك أننى جادة اذ أنحنى أمامك .. «تضحك ضحكة قصيرة .. تتوقف عن الحديث ولكنه يسمع تهدج صوتها . تتمتم » أشعر برغبة عجيبة فى أن أقول لك أشياء كثيرة .. اننى أغمض عينى الآن واتخيلنى جالسة خلف المكتب لأقرأ لك ما لم تستطع قراءته فى الصباح . من الموضوعات التى تهمك الى أن تمل أنت من الاستماع فأدنو منك وأجذبك كطفل الى « المقعد الطويل » فأجلسك عليه وأقول لك هامسة فى صوت حنون : نم هنا . انك فى حاجة الى الراحة .. سأوقظك فى الوقت المناسب لكى تعمل فى التمثال الذى بدأته أمس .. ستشتغل فى المساء ثلاث ساعات .. سأكون الى جانبك وأنت تعمل فى التمثال الجديد وأنا أسجل خطوط التمثال الذى تم صنعه على اللوحة التى أرسمها ولكننى سأتركك فى الدقائق الأخيرة لكى أرتدى ثيابى وأصحبك الى الخارج فنصعد بالسيارة الى مكان ناء بعيد .. ثم نترك السيارة ونسير متلاصقين مسافة طويلة . ثم الآن لأننى عثرت اليوم على

قصيدة شعر مدهشة سأقرؤها لك على ضوء هذا المصباح الأزرق بعد عودتنا فى المســـــاء الى المنزل •• سأغضب لو أننى رأيتك تتثاءب وأنا أقرأ لك شعرى الحبيب » •

هو ــ ماذا دهانى •• ان أناملى أضاءت المصباح الأزرق دون أن أشعر • أراك الى جانبى هنا تتحركين فى غرفتى •• فى هذه الغرفة •• اقرئى لى الشعر الذى وعدتنى به •• هأنذا قد أضأت المصباح الأزرق •

هى ــ انتظر حتى أحكم اغلاق النوافذ •• لا أريد أن نحس بالعالم فى الخارج • يجب أن تخفت • أن تتلاشى أصوات الناس وضجة العجلات وصخب الطريق •• أرى أنك أحسن حالا بكثير الآن •• كما أننى سعيدة •• اننا أسعد اثنين فى هذا العالم • أليس كذلك ؟ « ان العالم فى هذه الغرفة » •

هو ــ « العالم فى هذه الغرفة » ! سمعت هذه الكلمات قبـــــل الآن •

هى ــ وأنا سمعتها معك •

هو ــ أين ؟

هى ــ فى السينما •• فى تلك القصة التى رأيناها معا عن الثورة الأرلنـــــدية •

هو ــ عندما اختلى العاشقان للمرة الأولى ؟

هى ــ أجل .. كما اختلينا الآن .

هو ــ ولكن من أنت ؟

هى ــ تلك التى كانت جالسة الى جانبك تماما .. فى المقصورة الملاصقة لك .

هـــو ــ واســمك ؟

هى ــ أخبرتك أننى زوجـــة .

هو ــ نسيت .. اسمحى لى أن أتركك الآن لأفتح النوافذ. القطة شبعت من قضم الجوارب وهى تموء لأنها تلتمس منفذا للخروج فلا تجد .. ان من حقها أن ترى العالم الذى انقطعنا عنه لنعيش هنا .. وحدنا .

امرأة القدر

« حول مائدة ناصعة البياض خلف الشجرة الضخمة فى أقصى حديقـة فندق « مينا هاوس » ذات ليلة من ليـــالى الصــيف ، الظلام يخيم على المكان ، أنوار حمر خافتة تتأرجح مع هواء الصحراء فن بعيـــد فى شرفة الفندق ..

هى ــ يبدو لى أنك متعب هذا المساء .

هو ــ أجل . لقد اشتغلت كثيرا . عشر ساعات وأنا محنى الرأس على المكتب أعمل على اتمام ديوانى الجديد . لم أرفعه الا عندما دق التليفون الى جانبى وتكلمت أنت.

هى ــ ولم تركت عملك وأقبلت ؟

هو ــ أشعر براحة ودعة وأنا الى جانبك •• انظر الى بريق عينيك فى الظلام •• وأتحدث اليك هامسا كأن أحدا يكمن خلف هذا الجذع أخشى أن يسمعنا •

هى ــ أخبرتنى منذ لحظة أنك اشتغلت عشر ساعات متوالية ومع ذلك فأنت تتكىء بهذا الرأس المرهق على جذع الشجرة •• هذا الجذع لا يرحم •

هو ــ أين تريدين أن أضعه ؟

هى ــ هنا • فوق كتفى ••

هــو ــ كتفك ؟ ••

هى ــ أى عجب فى هــذا ؟

هو ــ لا شىء •• ولكن •• لست أدرى •• لم أعتد أن أطمئن الى اراحة رأسى على كتف لين حنون • ان لهذا سببا قديما يعود الى أكثر من خمسة عشر عاما ••

هى ــ ماذا حدث اذ ذاك حتى جعلك تفضل أن تريح رأسك فوق هذا الخشب القاسى على أن تريحه فوق كتفى ؟

هو ــ كنت طالبا فى المدارس الابتدائية •• وكانت « هى »

تقطن منزلا مجاورا لمنزلنا فى «الزقازيق» وكنت أتولى مساعدتها فى شرح بعض الكلمات الانجليزية أو أتكلف ذلك لأتمكن من التحدث اليها بضع دقائق فى كل يوم .. كان يخيل الى أن يديها تتثلجان كما كانت تتثلج يداى كلما وقع بصرى عليها .. وأن أهدابها ترتجف كلما سمعت صوتى كما كانت ترتجف أهـدابى كلما سمعت صوتها من خلال الحائط الذى كان يفصـل منزلينا. الى أن حمل البريد الى والدى ذات يوم شهادة « آخر السنة » واذا بى أرسب فى امتحان الانتقال .. فأسرعت الى سـطح منزلنـا وانتظـرت سـاعات حتى صـعدت هى الأخرى كعادتها فى عصر كل يوم .. فدنوت منها وأنا أبكى بحرقة .. واتكأ كل منا على السور الذى يطل على الطريق الذى يشرف منزلانا عليه.. رويت لها خبر رسوبى فى صوت منتحت حزين .. ثم تذكرت أننى كنت قد شاهدت على لوحة السينما صورةعاشقين فى موقف غرامى يتناجيان والعاشـق يضـع رأسه على كتف معشوقته .. فوضعت رأسى أنا الآخر والدموع ما زالت منهمرة من عينى على كتفها . عندئذ فوجئت بيدها تدفعنى دفعا خفيفا وهى تقـول لى فى ضجر لم تستطع اخفاءه : « ان اليوم هو الموعد المحـدد لاستقبال صديقات والدتى . ولقد سبق أن نبهتنى الى أننى يجب ألا أدخل الى غرفة « المسافرين » وكتفى ينضح عرقا . وأنا أخشى أن تلحظ هذا الدمع المنهمر فتظنه عرقا ! » .. ورفعت رأسى اذ

ذاك ثم شخصت الى عينيها طويلا .. لم تكن تمـــزح بل كانت جارتى الصغيرة جادة فى ملاحظتها الجارحة ..

هى ــ وماذا تعنى هذه القصة القديمة ؟

هو ــ منذ ذلك اليوم عرفت أمرين أثرا فى نظرتى الى المرأة تأثيرا هــائلا .

هى ــ وهمـــا ؟

هو ــ أولهمـــا : أنه يجب ألا يبكى الرجل بين يدى الفتاة التى يحبها أو التى يعلم أنها تحبه . والآخر : ان الفتيات يفضلن ألا يعرف عن أكتافهن أنها تنضح بالعرق حتى فى أشد شـــهور الصيف قيظا على أن تستريح رءوس الرجـــال الذين يحببن على تلك الأكتاف ..

هى ــ ألا ترى أنك تغلو فى القسوة اذ تتخـــذ هذه الحادثة الصبيانية أساسا لحكمك على المرأة التى تحب . أيا كانت هذه المرأة ؟

هو ــ أعترف يا سيدتى أنها قسوة . ولكنى لا أستطيع أن أتحرر منها .. انها عقيدة راسخة فى خيالى منـــذ أعوام طويلة .

هى ــ تتعب نفسك اذ تصر على التشبث بتلك العقيدة .

هو ــ يخيل اليك فقط .

هى ـ كيف ؟ أيمكن أن تكون شاعرا دون أن تفتح هاتين العينين على الألم . ودون أن تروى هذا الألم بالدموع .

هو ـ عندما أحس بالرغبة فى البكاء لا ألقى امرأة .

هى ـ أتبكى وحدك ؟

هو ـ لم لا ؟

هى ـ يجب أ أعترف لك بأن أسعد ساعات حياتى هى تلك التى كنت أرى فيها دموعى تغمر يدى الرجل الذى أحب .

هو ـ لأنك كنت « تحبين »

هى ـ وأنت .. ألم تحب قط ؟

هو ـ لم أحب .

هى ـ بعد كل هذا الشعر الذى ظللت تكتبه بضعة أعوام والذى يفيض بأسمى عواطف الحب .. تقول لى الآن : انك لم تحب قط . لا أصدق .

هو ـ ستصدقين عندما تعرفين أننى لو كنت أحببت قبل أن أكتب هذا الشعر ما كتبت منه حرفا واحدا .

هى ـ كيف ؟

هو ـ لأن المرأة لا تمهد للشاب المجهول سبيل المجد والعظمة

ولكنها تعدو خلف الرجل الذى تعـــرف أن غيرها من النساء يشاركنها عناء العدو خلفه . اذ ذاك تتمنى لو أنها كانت عرفتم عندما كان مغمورا لا نعرفه أحـد . مع أنها لو كانت عرفته اذ ذاك لأبت أن تتيح له الفرصـة التى تمكنه من الفوز باعجاب غيرها . ولعاقت بذلك جهـاده نحو الشهرة والمجد . أترين ؟ انها حلقة مفرغة .

هى ـ أى عيب فى أن تعدو المرأة خلف الرجل العظيـم اذا جاريتك فى أن التعلق برجل ما يعتبر « عدوا » خلفه ؟

هو ـ لا أقول انه عيب .. ولكنى أميل الى الاعتقاد بأن المرأة لا تحب فى الرجل مظاهر رجولة معينة تأسرها بل تحب فيه عناء الوصول اليه . هذا العناء يشتد كلما أبعـده حرصـه على تحقيق المجد الذى ينشده عن متناول الكثيرات .. أريد أن أكون أكثر صراحة فأروى لك اننى أحفظ من ذكريات طفولتى قصـة غرام حدثت ذات مرة بين ابنة أحد الأعيان المعروفين فى بلدتى وبين شاب جميل.. مهيب القامة.. كان يشتغل صبيا عند «الطرابيشى» الذى اعتـدنا نحن صـغار الطلبة أن نكون عنده طرابيشنا .. أخذ ذلك الحب الذى ذاع خبره فى البلدة الصـغيرة شـكل فضيحة وأحنى زميلنا شقيق تلك الفتـاة رأسـه حياء بيننا .. واضطر والدها أن يزوجها أحد أقاربها وأن يبعدها عن البـلدة حتى تنطفىء الفضيحة .. ولكننى اذ كنت مدعوا منذ أيام الى

احدى الحفلات التى أحياها مطرب شاب معروف . رأيت عددا كبيرا من سيداتنا يحيين ذلك المطرب بالقاء الورود والأزهار . و .. و .. القبلات بل بالقاء الأجسام تحت قدمى التخت فاستيقظت فى خيالى ذكرى الفضيحة الأولى . لانبى أعلم - كما تعلم اولئك السيدات - ان ذلك المطرب قضى القسم الأكبر من حياته صبيا عند أحد النجارين .. ولو بقى ينشر الخشب لظل كل تعلق به يعد فضيحة يشمئز منها الناس . أما الآن فانني أسمع الكثيرات من الفتيات يكتشفن فى قسمات وجهه ولون بشرته وطريقة القائه فتنة خاصة تثير التملق والاعجاب والحب .

هى - انك تخيفنى بهذه اللهجة ؟.

هو - ولم ؟

هى - لانك تتحدث عن النساء كأنهن قطيع من الماشية التى لا يروق لها أن تسير منفردة بل تفضل دائما أن تتجمع حول راع وضع عصاه التى يهش بها عليها فى فتحة جلبابه من الخلف لكى تبدو ظاهرة . وأخذ يثير الغبار وراءه وهو يسير فى المقدمة .

هو - أترين .. بدأت تتحدثين كالشعراء .

هى - وماذا تعنى ؟

هو - أعنى انك منذ عرفتنى تبينت أنه من الأفضل أن تتخذي لنفسك اللون الذى أتخذه أنا .

هى - من قال لك هذا ؟ انك تهذى .

هو ــ ولم لا ؟ اننى أهذى أثناء النهار . وأسجل هــذا الهذيان على ورق شعرا أبيعه بنقود تكفل لى الحياة التى أشتهيها .. فلم تنكرين على حق الهذيان .. الآن . فى ظلام الليل وتحت سحر هذا الهدوء . وخلف هذا الجذع الضخم الذى يحجبنا عن العالم ؟ أحيانا يخيل الى أن أنقطع عن هذا العالم وأبتعد عن الناس أجمعين فى مكان ناء بعيد .. لا أدرى أين . وأن أنسى كل شىء .. حتى هذه الكلمات الجارحة التى سمعتها منى الآن. حتى اسمى و ..

هى ــ ومــاذا ؟ ..

هو ــ واسمها .. عندما يخطر ذلك بخيالى أحلم بفتــــاة الى جانبى .. طويلة القامة حتى تستطيع أن تضىء مصباح الزيت المعلق فى سقف كوخ صغير من القش أو القماش المغزول من شعر الماشية دون أن تحتاج الى الصعود على مقعد .. لأنه لن يكون لدينا مقاعد .. سمراء لأن الجلد الذى لا يتأثر بالشمس . شمسنا غير جدير بأن يستر قلبا يخفق ويحب .. واسعة العينين حتى أقرأ فيهما كل شىء دون أن أتحدث أو تتحدث هى .. يكفى أن تنظر الى عينى فى الفجر عنــدما استيقظ لكى تفهم ما أريد .. قبلة .. قدح من اللبن المحلوب من ماشية ترعاها الى جانب الكوخ . ثم نسير جنبا الى جنب حتى نصل الى عين المــاء القريبة .. فيغسل كل منا وجهه بيديه .. اترك لها أن تتقدمنى لترى وجهها على صفحة الماء المنبسطة كمرآة .. قبــل أن تعبث بها أيدينا

فتعكوها لأننى أحب أن تحس بأنها جميلة حتى وسط الصحراء .. ونقضى اليوم فى التنقل بحيث لا يضيع أثر الكوخ عن مدى بصرينا . أحيانا نعدو كمجنونين خلف أرنب جبلى يحاول الهرب منا حتى يتصبب العرق من جسدينا .. لن تخشى « هى » اذ ذاك أن يبدو أثر العرق على كتفيها لأن أهل الصحراء لم يعرفوا ولن يعرفوا تأنق فتيات أهل المدن .. التأنق الزائف فى اجتماعات المساء بغرف الاستقبال .. وأحيانا تعثر قدمها فتزل وتسقط وعندئذ أترك الحيوان الفار لأحملها بين ذراعى وأعود بها الى العين أغسل جرحها وأضمده .. عندما يقبل الليل .. نستلقى على الرمل أحدنا الى جانب الآخر .. أستمع اليها تروى بعض ما تحفظه من شعر لى أو لغيرى فاذا تعبت .. دنوت منها وأخذت أشخص الى عينيها لكى أقرأ أنا الآخر .. شعرى الحبيب .. ديوان الحياة التى طالما تعشقتها وحلمت بها . سماء الصحراء الصافية .. نجومها المتألقة التى لا زيف فيها . فلا أتعب من القراءة ولو دامت ساعات الليل كله . لأننى لا أفتح فمى بكلمة، وكلما انتهيت من قراءة صفحة من ذلك الديوان — فى أعماق عينيها — أسدلت جفنيها برهة لكى تفتحهما على صفحة جديدة أكثر روعة ونقاء وصدقا ..

هى — أنظر الى عينى ..

هو — أخشى أن أرى الحقيقة

هى ــ أية حقيقــة ؟ •

هو ــ أشباح السيارات التى تحمل السكارى بعد ســهرة عابشــة •

هى ــ وماذا تريد أن ترى فيهما اذن ؟

هو ــ أشياء كثيرة لم يرها أحد قبــلى

هى ــ ولم ترها أنت من قبل فى عيــون أخرى •

هــو ــ تغــــارين ؟

هى ــ كيف لا أغار وقد قرأت لك أشعارا كثيرة تتحدث فى كل منها عن فتاة جديدة ؟

هو ــ من قال لك انهن متعددات ؟

هى ــ لأن لكل منهــن اســما خاصــا •

هو ــ ولكنهن جميعــا واحدة لم تتغير •

هى ــ من هى ؟

هو ــ لست أدرى ••

هى ــ كيف ؟ انك تهزأ بى ••

هو ــ أقسم لك أننى لست أدرى الى الآن من هى ؟ قد تكون أنت • وقد تكون غيرك لم يسقها القدر الى بعد • إنهــا

الى الآن « فكرة عن امرأة » وليست امرأة معينة أعرفها ويعرفها الناس . يوما أطلق عليها اسما ويوما آخر أفضل لها اسما غيره.. اننى لا الجأ الى الأسماء الا لأميزها عن غيرها من الفتيات عندما أناديها ولكن هذا الاسم لا يعنينى . ألم أقل لك اننى اذا ما عثرت عليها فسأهرب معها الى مكان بعيد .. وأنسى اسمى واسمها .. اذ ذاك لن يكون هناك ما يدعو الى أن يكون لها اسم معين . لأنه لن يكون الى جانبى غيرها . ستسمع ندائى فتحضر مسرعة . صفير خفيف يكفى . أما هنا مثلا فلو صفرت لك دون أن أناديك لضاع الصفير وسط أصوات أبواق السيارات الصاعدة فى الطريق القريب . وجلبة الموسيقى التى تعزف خلف شرفة الفندق .

« فترة صمت »

هى ـــ ان هذا الحذاء يضايقنى ، أشعر برغبة فى أن أخلعه وأسير حافية القدمين .

هو ـــ ولكن حصى هذه الحديقة مدبب كالشوك .

هى ـــ لا أخشـــاه ..

هـــو ـــ كيف ؟ ..

هى ـــ اذا جرحت قدمى ستحملنى الى السيارة ..

هو ـــ لم يخطر لك هذا الخاطر ؟

هى ـــ اننى تلك التى كنت تبحث عنها .

هو ـ أتظنين ؟

هى ـ « تدنو منه . شاخصة اليه » أنا واثقة . لأننى قرأته فى عينيك .. بل سمعت ما قالتاه لى .

هـو ـ ماذا قالتـا ؟

هى ـ قالتا لى .. « اقتـربى .. اننى أحس براحة الى جانبك لم أحس بمثلها من قبل .. أين كنت طول المدة التى ظللت أبحث فيها عنك ؟ خيل الى أكثر من مرة أننى عثرت بك .. الى حد اننى عدوت ذات مرة وسط الزحام الحاشد فى أحد مطـاعم القاهرة الكبرى التى كانت تحتفل بليلة عيد الميلاد أدفع الناس لأشق طريقى اليك فلما وصلت وجدت أننى كنت مخطئا . كانت فتاة أخرى تشبهك لها قامتك ولون شـعرك الفاحم ، وجلدك الصافى السمرة فى لون القمح الذى نبت فى واحة لا تغرب عنها الشمس .. ولكن ليس لها عيناك . ومرة أخرى خيل الى أننى اتهيت بالعثـور عليـك .. كنت بين ذراعى أدور بك حلقة الرقص فى فندق « كاتاراكت » بأسوان . كانت صورة منـك كدت أحدثها عن الكوخ المصنوع من القش وشعر الماشية وعين الماء الجارية على خطوات منه والأرنب الصحراوى الفار ولكنها أرسلت ضحكة ثملة عالية فتنبهت الى أنها ليست أنت » ..

هو ـ « يرفع رأسه عن جذع الشجرة ويدنو منها » عجبا .. اننى تحدثت فى شعرى عن تينك الفتاتين .. فتـاة المطعم فى

عيد الميلاد وفتاة المرقص فى أسوان .. ماذا تقرئين أيضا ؟ » ..

هى ــ « شاردة البصر . كأنها تقرأ فى كتاب مفتوح . محاولة أن تقلد طريقته فى الالقاء » :

ــ أعرفك منذ مدة طويلة .. منذ بدأت أبحث عنك عرفت كل شيء .. لا تدهشى اذا قلت لك : ان أول البحث عنك لم يرهقنى .. لأنك كنت دائما قريبة منى . أحيانا كنت أطلب منك أن تسهرى الى جانبى حتى الصباح فى ليالى الخريف بغرفة مكتبى .. أنا خلف المكتب وأنت فى ثوب الغرفة جالسة على المقعد الذى أمامى تماما تعملين فى حياكة شيء تعدينه لى كى أرتديه فى الشتاء ، فاذا شعرت بأن العمل أرهقنى نهضت فقبلتنى ثم غادرت الغرفة لكى تعودى بقدح من عصير الليمون أو بعض البلح المنقوع فى ماء مثلج فاذا سألتك : لم تقدمين لى هذا الشراب ؟ ــ أجبتنى : انه شراب الغابة التى يحلم كل منا بالحياة فيها اذا ما تحققت آمالك فى كتابة الشعر واعتزلت العالم ــ وأحيانا أخرى كنت أتخيلك الى جانبى لنشاهد معا احدى قصص السينما .. وأدنى شفتى من أذنك لأهمس فيها بعض عبارات حوارها التى أعلم أنك لا تفهمينها وكان هذا الخيال يتسلط على الى حد يدفعنى الى أن أختار لى مقعدا خاليا الى جانب مقعدى . هو مقعدك ..

هو ــ « يمسك بيديها » ــ هل قرأت كل هذا ؟

هى ــ أجل وأكثر منه .

هـو ـ ماذا أيضا ؟ اننى أرتجف لأن كل هذا الذى تذكرين قد خطر لى تماما . تحدثى .. تحدثى .

هى ـ انظر الى عينى .. هأنذا قد أدرت ظهرى الى الطريق الذى يذكرنى بالعالم الذى تريد أن تنفصل عنه .. وبالناس الذين ترغب فى أن تبتعد عنهم .. ماذا تقرأ فيهما ؟

هـو ـ كل الأشياء التى أوحت الى بأحب شعرى الى .. و .. ولكنك تبكين .. انك تبكين يا حبيبتى .

هى ـ لأننى أعرف انك الآن تجتاز احدى الأزمات التى لا يفرجها الا البكاء . أن تبكى أنت . أو أبكى أنا .. ضع رأسك على صدرى هكذا .. أجل هكذا ..

هـو ـ سنفترق الآن .. ستعودين الى منزلك .. وسأعود الى منزلى .

هى ـ ولكننى سأحس برأسك مستريحا على صدرى حتى الصباح .. خفقات قلبى ستؤرجحك أثناء النوم كأنك طفل عنيد .. يجب أن تعترف بأنك عنيد حقا .. ضع قدح اللبن على المائدة الصغيرة الى جانب فراشك قبل أن تنام .. فاذا فتحت عينيك فى الصباح فأخف رأسك تحت الوسادة ثم نادنى بصوت عال « أين لبن الصباح ؟ » وبعد ذلك ارفع الوسادة ومد ذراعك لتتناول القدح ..

هــو ــ وبعـــد ..

هى ــ اشتغل .. اشتغل طول النهار . انك شاب يجب أن تتحقق لك كل الأحلام التى تداعب خيالك .. كلما تحقق مجدك سريعا اختصرنا الطريق الى العزلة التى ننشدها .. لا تخف من احناء رأسك على المكتب . غدا سأحضر لك بثوب لا كتف له .

امرأة أخرى

امرأة اخـــرى

هو ـ شاعر فى الثلاثين من عمره .
هى ـ فتاة فى الخامسة والعشرين
ظهرت ذات يوم في أفق حياة الشاعر.

هى ــ ولكننى كنت أظن أنك أحببتنى

هو ــ من آين جاءك هذا ؟

هى ــ من اهتمامك بى .. كان يبدو عليك كلما تحدثت اليك أنك سعيد بهذا الحديث . لم تظهر لى يوما ضجرا منه .

هـو ـ أين ذلك الرجل الذى يظهر الضجر من امرأة شابة جميلة فى الأيام الأولى من تعارفهما ؟

هى ـ بلغ من تعلقك بالحديث معى أنك كنت تقرأ لى من شعر تحبه •

هـو ـ اعتدت أن أقرأ مثل هذا الشعر لفتاة منذ بضعة أعوام فاعتدت بعدها ألا أقرأ شعر الحب وحدى •

هى ـ ولكنك لم تشر الى تلك الفتاة مرة واحدة فى كل أحاديثنا الطويلة •

هو ـ لم يكن من السهل أن أفتح لك مغاليق قلبى فى لقاءاتنا الأولى •

هى ـ هل كنت تحبها ؟

هـو ـ مرت من بعيد فى أفق حياتى •

هى ـ كما مررت أنا ؟ ••

هـو ـ اذا شئت •

هى ـ تخدع نفسك وتحاول خديعتى ••

هو ـ تظنين ؟

هى ـ أنا واثقة •

هـو ـ اذا كانت هذه الثقة تريحك فافعلى •

هى ــ لست طفلة حتى تتحدث الى بهذه اللهجة الســاخرة. أننى أستطيع أن أذكرك بأمور كثيرة تؤيد ثقتى فيما قلته .

هــو ــ مثــلا .

هى ــ لقد ذكرتنى فى الأيام الأولى لتعارفنا بالمرات التى وقع بصرك على فيها .. مرة وأنا أتناول العشاء مع ابن عمى فى شرفة « جروبى » وثانية وأنا جالسة فى ثوب البحر على شاطىء «جليم» وثالثة وأنا أعدو لاهثة لأودع أخى فى محطة سيدى جابر

هــو ــ ماذا تنتظرين من رجل يجد أمامه امرأة تصارحه بأنها كانت تتوق الى معرفته منذ بضعة أعوام وانها ظلت مترددة فى التحدث اليه حتى استجمعت شجاعتها ؟ أليس من القسوة أن يجابهها بأنه لم يكن يشعر بأن لها كيانا يسترعى نظره .

هى ــ ولكننى فهمت أنى كنت أثير اهتمامك كل مرة رأيتنى فيهـــا .

هــو ــ لم تخطئى كثيرا فى ذلك الفهــم ولكن ..
هى ــ ولكن مــاذا ؟

هو ــ ولكننى قبلك اهتممت ذات يوم بركن نصف مظلم فى أقصى حديقة الأندلس بالجزيرة . ركن منزو لم يكن الكثيرون من زوار الحديقة يلتفتون اليه .. مقعد منحوت فى جذع شجرة توت وسقف من أغصان الكرم الرفيعة وسياج من العشب النامى

يحجبه عن ضجة الطريق . بلغ من اهتمـامي بذلك الركن أنني تعمدت السؤال عن البستاني المعهود اليه به فعرفت اسـمه .. واكتسبت صداقته فأوصيته به خيرا .. كنت كلما مررت بذلك الركن أجزلت للبستاني العطاء لكي يعنى به العناية التي ترضيني .. كثيرا ما ذهبت الى ذلك « العش » وتفقدت جوانبه وأزلت بمنديلي الرماد المتراكم على مقعده كأنني أتوقع أن يكتشفه غيري . وقد حدث ما توقعته .. مررت ذات يوم فوجدت عاشقين شابين يجلسان متلاصقين على المقعد ، لمحتهما من خلف العشب النـامي فابتسمت ، ثم عدت أدراجي ولم أدخل حديقة الأندلس بعـد ذلك قط .

هي ــ ماذا تعني؟ انك تهذي .. أي شبه بيني وبين ذلك العش المنزوي في تلك الحديقة ؟

هـو ــ اكتشفته كما اكتشفتك .. وأوحى الي بكتـابة بعض قصائدي التي أحببتها كما أوحيت الي أنت بكتابة البعض الآخـــر .

هي ــ ولكنك تركت ذلك العش عندما اتضح لك أن غيرك قد اكتشفه .. فلم تتعمد ايذائي بهذا الكلام ولم يبلغك عني أنني نكثت عهـدك مع رجل آخر ؟

هـو ــ علمت أن غيري قد اكتشفك قبلي .

هي — « حانقــة » ماذا ..

هــو — لا تثوري .. اننا تقابلنا لنفترق فلم لا أصارحك بـــكل شيء ..

هي — ولكن هــذا كذب ..

هو — ليس من السهل أن تعترف المرأة بماض كــانت تخفيـــه .

هي — لم تطالبني يوما بأن أقدم لك حسابا عن هذا الماضي

هــو — ولكنك تركتني أفهم ان لا ماضي لك ؟

هي — ثــم ..

هــو — ثم عرفت أن غيري قد سمع منك الأنات الشاكية التي سمعتها منك .. ولذعت انامله العبرات الساخنة التي جعلتني أسهر ذات ليلة حتى الصباح أنظم قصيدة خيل الي ليلتئذ أنها أروع قصائدي .

هي — خيــل اليك !

هــو — أجل .. لقد كرهت تلك القصيدة .. ولو استطعت أن أجمعها من المكتبات وأحرقها ما ترددت .

هي — لــم ؟

هـو ـ لأن الوحى الذى ألهب روحى ليلتئذ لم يكن نقياء

هى ـ اننى سعيدة اذ أسمع منك هذا الكلام •• انك تحبنى الى حد أنك تغار من ماضى قبل أن تعرفنى •

هـو ـ واهمة •

هى ـ لا بل واثقة •

هو ـ لن أبخل عليك بأن أدعك اليوم وأنا أتحدث اليك حديث الوداع تتعزين بهذا « الوهم » • ولكننى أقسم لك أننى كنت أرجو وأنا أكتب قصائدى عنك أن يراك الناس بعد قراءتها ويشيرون اليك اذ يتبينون توا أنك « وحى » تلك القصائد • أما اليوم فان ما يؤلمنى هو شعور بالخيبة لا بالغيرة كما خيل اليك •

هى ـ لست أول شاعر ألهبت روحه امرأة أحبها الناس من قبل •

هـو ـ ولكننى آخر شاعر يجمع بقايا امرأة لكى ينصب من هذه البقايا تمثالا يحرق تحت قدميه البخور ويخدع الناس فيجمعهم ليشتركوا معه فى ذلك العمل الذليل •• لقد أبيت ذات مرة أن أعهد بدور البطولة فى قصة الى ممثلة من الممثلات المعروفات اللاتى اعتاد الناس أن يصفقوا لهن •• ظللت أبحث حتى اكتشفت الفتاة التى تصلح فى نظرى للقيام بذلك الدور • لم يكن أحد قد سمع باسمها •• كانت مغمورة وسط دنيا الرياء

تبذله الجماهير للمعروفات من الممثلات • فلما ظهرت فى قصتى ونجحت ظللت أشعر منذ ذلك الوقت أننى صـــاحب الفضل فى نجاحها • كلما اتصل بى خبر توفيقها زاد احساسى بأننى اكتشفت شيئا لم يكن غيرى قد التفت اليه من قبل • لا يهمنى الآن ماذا تفعـــل فقد علمتها عندما عهدت اليها بقصتى كيف تحب كمـــا أريد أنا ان تحب النساء • وكيف تبـكى كما أحب أنا أن تبـــكى النساء • وكيف تغار كما أحب أنا أن تغار النساء •

هى ــ ولكننى لست ممثلة • انك تنسى نفسك •

هو ــ أنت التى تنسين •• انك لم تتقدمى الى الا لأننى شاعر تقرئين له وتودين أن تعرفى كيف يعيش حياته الخاصة •• هأنذا أقولها فى صراحة •• اننى أعيش هذه الحياة فى قصة بدأت فصولها يوم خفق قلبى بأول خلجة شعرية • • أحيانا تبكينى وأحيانا تطلق الضحكة المرحة من أعماق روحى • والمرأة التى تكون الى جانبى يجب أن تعرف أنها تقوم بالدور الأول فى تلك القصة • فاذا كان قد سبق لها أن قامت بذلك الدور فى حيـــاة رجل آخر فاننى أشعر على الدوام بخشيتى من شىء ما •• كلمة واحـــدة ما تزال عالقـــة فى ذاكرتها من « الـــدور » الأول تعود الى التفوه بها فى غفلة منها أمامى ، « حركة » صغيرة كان يقضى الدور الأول بأن تؤديها وتكرر اداءها وهى الى جانبى •• « اسم » كان عليها أن ترده وهى « تعيش » فى الدور الأول ربما

خانها لسانها فانطلق يردده مرة أخرى بحكم العادة •• والتكرار •• هذه الخشية تؤرقني وهي الى جانبي يغالب النوم جفونها • أخشى أن تستعيد في أحلامها بعض ذكريات ماضيها •• يخيل الى أنها أثناء نومي ستخطيء فتنطلق تلك « الكلمة » • أو تؤدي تلك « الحركة » • أو تردد ذلك الاسم فأهب مذعورا كأن رجلا آخـر أقبل ليقذف في وجهي بماض طـويل لم تتصل بي كل تفاصيله •

هي ـ « في صوت مرتجف تدنو منـه » ـ ولكن ذلك الرجـل لم يقبـل بعـد ••

هو ـ أعرف أنه مقبل عما قريب •• وهذا هو الذي جعلني أفر منك وأسخط على اليوم الذي عرفتك فيه •

هي ـ من أين جاءك أنه مقبل عما قريب ؟

هـو ـ أنت •

هي ـ « تشـهق » أنا •• كيف ؟

هـو ـ « يبتسم ابتسامة صفراء » ليست هذه حـال من تحب حبهـا الأول •

هي ـ ماذا تفعل لو أنها كانت تحب ذلك الحب ؟

هو ـ لا تتكلم بهذا الثبات • ولا تتجلد أمام رجلها هذا الجلد •• ولا تقاوم عشرات الأيام كيلا تراه • تتعقبه اذا غاب ،

وتبكى بين يديه اذا غضب . وتسقط مغشيا عليها فى موقف الوداع .. أترين ؟ انك وقفت هذا الموقف من قبل .. أحببت وافترقت عمن كنت تحبين .. انك تتحدثين الى كأنك تلقين « كلام » دور قديم سبق لك أن مثلته .

هى ـ « تستجمع قواها » ولكنك تتحدث كأنك تودع حبك الأول .

هو ـ هذا هو الفرق بينى وبينك . لو لم أحب فى كل مرة كأننى أحب للمرة الأولى وأودع للمرة الأولى ما استطعت أن أكتب شعرا .

هى ـ اذن كنت تخدعنى .

هو ـ أنا وأنت خدعنا الناس .. قدمنا لهم ذلك الشعر الذى يصف غرامنا .. ذلك الغرام الذى سرعان ما انطفأ .. ان الناس شهدوا اشتعال ذلك الحب ولكنهم لم يشهدوا انطفاءه .

هى ـ ولم ؟

هو ـ لأننى لو فعلت لكان واجبا أن أذكر أنك اعتدت أن تشهدى موقف الوداع وليس فى هذا ما أحب أن تزهو به امرأة مرت ذات يوم فى أفق حياتى ..

هى ـ « باكية » والآن .. ؟

هــو ــ لا شيء •• الوداع ••

هى ــ ولكن عينيك تلمعان بالدموع •

هو ــ هكذا اعتدت عندما أشهد مصرع غرام فى قصــة حب تعرض أمامى على خشبة المسرح • أو عندما أقرأ حوار وداع فى قصــة ما •

هى ــ اذن فما كان بيننا كان « حبا » !

هــو ــ أجل •• ثم انطفــأ •

هى ــ ربما كنت مخطئا •• اقترب •• أنظر الى عينى • ربما تبين لك أنه لا يزال يشتعل •• أكثر اشتعالا من ذى قبل •

هــو ــ من أنت حتى أنظر فى عينيك ؟

هى ــ كيف •• ألا تعرفنى ؟

هــو ــ من ؟

هى ــ •• أنا •• أنا التى أوحت اليك بأعز قصــائدك الى روحك وأقربها الى أرواح الناس •

هــو ــ من قال لك ذلك •• ؟ انك واهمة « يضــحك ضحكة جافة » انها امرأة أخرى •• امرأة لا ماضى لها •• اذكريها بالخــير يا سيدتى كما ســوف أذكرها •• الوداع ••

اللقاء الأخير

اللقاء الأخير

« قاعة الرقص الكبرى فى سراى الجزيرة بعد منتصف ليلة من ليالى شهر مارس • جموع الراقصات والراقصين تتمايل محتشدة فى زحام هائل ، الموسيقى تعزف أغنية أجنبية مطلعها : « اننى على أهبة الحب لأنك فقط الى جانبى » •

هو ـ أنت هنا ؟

هى ـ أجل • رأيتنى منذ لحظة وأنا أرقص مع ابن عمى فتظاهرت بأنك لم ترنى ، انك لم تتغير ••

هو ـ كيف ؟ ••

هى — مازلت طفلا كبيرا كما عرفتك دائما . تغمض عينيك عن الأشياء التى لا تود أن تراها وتفتحهما على الأشياء التى تود أن تراها « ترنو الى عينيه . ثم تضحك ضحكة قصيرة جافة » يبدو عليك أنك شربت كثيرا الليلة . انك لا ترحم نفسك بهـذه الحيـاة الثائرة .

هو — لا .. أنت واهمة .

هى — عيناك تنطقان بانك ثمل .

هو — قرأت طول اليوم فتعبت عيناى .

هى — ماذا قـرأت ؟

هو — قصة قديمة لكاتب أحبـه .

هى — اسـمها ؟

هو — « عندما زلزلت الأرض »

هى — « تطرق الى الأرض وتتمتم كأنها تقرأ من كتاب مفتـوح »

« نمت طويلا حتى أقبلت فأيقظتنى .. وأخيرا هأنذا الى جانبك . بين ذراعيك حيث كنت . لقد أحببتك دائما . ألا تعرف ذلك ؟ أتذكر أول مرة سقطت فيها تحت قدميك . مددت يدك ، وأنهضتنى ، كنت خائرة القوى فساعدتنى بقوة وحنان على أن

أنهض . يجب أن أن أعترف .. ماذا قلت عنى اذ ذاك ؟ لقد تظاهرت بأننى فاقدة الوعى لكى أبقى برهة أخرى بين يديك . ثم .. لم أرك بعد ذلك . مدة طويلة . أين اختفيت يا شرير ؟ كنت سعيدا ، بلا شك . قل .. أتوسل اليك . قل انك لم تكن دونى سعيدا .. ولكن .. أخيرا . لقد استطعت أن تعيش . لم تكن تبحث عنى .. كان يجب أن تجمع المصادفة بيننا » .

هو ــ عجبا ! أذكر أننى قرأت هذا الكلام .

هى ــ أكثر من مرة

هو ــ أين ؟

هى ــ قرأناه معا .

هو ــ فى أى كتاب ؟ . أكاد أنطق الاسم .

هى ــ « عندما زلزلت الأرض » .

هو ــ شريرة ..

هى ــ لم ؟

هو ــ خيل الى وأنت مطرقة الى الأرض تتمتمين انك تقرئين لكاتب آخر غير الذى حدثتك عنه .

هى ــ دائما ذلك الطفل الكبير •• انك انما ذكرته لأنك تعرف أننا صادقناه معا ، وأحببناه معا •

هو ــ « يطرق الى الأرض •• فى صوت خافت » ــ أجل هناك أشياء كثيرة أحببناها معا •

هى ــ لم أتبين ذلك الا فيمــا بعــد •

هــو ــ متى ؟

هى ــ عندما وجدتنى أختلف مع الآخرين على تفاصيل تافهة

« جموع الراقصين يشتد احتشادها وتدفعهما بعنف الى خارج القــاعة الكبرى »

هو ــ لست أدرى ما الذى جاء بى الى هذه الحفلة ؟

هى ــ أما أنا فأدرى • كنت قد اعتزمت عدم المجىء •• وأعطيت زوجة ابن عمى « التذكرة » التى كنت قد اشــتريتها ، ولكننى شعرت برغبة فى تشجيع هذه الجماعة من صديقاتى فتيات الأسر اللاتى يساعدن الأطفال المسلولين فابتعت « تذكرة » أخرى وحضرت •

ــ هو ــ « مبتسما » اذن فابن عمك الذى كنت تراقصينه متزوج •• وزوجته هنا •

هى ــ أوه •• لم أقصد مطلقا أن أشير الى ذلك •• « تهز

رأسها هزات متقطعة بطيئة » منذ زمن طويل لم أسمع هذه الكلمات اللاذعة .. كنت قد تعودتها . كم أحسست بالضيق عندما صرت محرومة منها .

هو ـ « يزفر نفسا طويلا حارا » ـ جـو هذا المكان قد امتلأ بالدخان . انه يكاد يخنقنى .

هى ـ وهذه الأوراق الافعوانية أشعر بأنها تتأهب لـكى تلتف حول عنقى . وتكتم أنفاسى .

هـو ـ عيناك يبـدو فيهما التعب .

«الموسيقى تستمر فى عزف هذه المقطوعة من الأغنية نفسها»

« لا حاجة الى التساؤل .

« هل هذا الحـلم سيتلاشى ؟

« لقد وضعنا قلبينا معا

« والآن .. أصبحنا شخصا واحدا .

« اننى على أهبة الحب »

هو ـ عجبا .. ما الذى أتى بى الى هنا ؟

« يتسللان من قاعة الرقص الى ركن منزو وتحت شـجرة ضخمة من أشجار الحديقة المطلة على النيل » .

هى ـ للموسيقى نغما أعذب .. ونحن بعيـدان عنهـا .. ولـكن ..

« تتلفت حولها »

هـو ـ ماذا ؟

هي ـ كيف جرؤت على أن أتسلل معك أمام هذا الجمع الحاشد . وأنفرد بك في هذا المكان . دون أن أخشى ألسنة الناس .

هو ـ أقسم لك أنني لم أشعر بخروجنا الا ونحن هنا .. جالسين على العشب اليابس ..

هي ـ خطر لي أول الأمر عندما لاحظت انك متعب أن أصحبك الى الباب وأن أرجوك أن تعود الى منزلك ثم أرجع حيث تركت أسرتي جالسة . ولكن قدمي قادتاني معك الى هنا .

هو ـ لا نريد أن نعترف بأننا « افترقنا »

هي ـ « تطيل النظر الى عينيه » هل افترقنا ؟

هو ـ أذكر آخر مرة تحدثنا فيها ، منذ نحو عام ، في عيد ميلادي ، في ذلك المكان النائي المنحرف من طريق الفيوم .. كانت ليلة من ليالي الصيف . وكان القمر يغمر الصحراء الهاجعة بضوء هادىء وديع .. وابتعدنا عن السيارة مسافة طويلة ثم استرحنا على الرمل . وساد سكون .. خيل الي أننا كنا في أثنائه نحبس أنفاسنا حتى لا يعكره تهدجها ، وأخيرا سمعتك تقولين وأنت مستلقية على ظهرك تشخصين الى السماء :

ألاحظت أن هذه السحب القاتمة التى كانت تتجمع وتتزاحم قد انقشعت بعد قدومنا ؟ فقلت : أجل انها اعتادت أن تسفر لنا عن صفاء السماء ·· انها تعرف اننا ـ دون بقية الأحياء الذين يمرون بهذا المكان ـ نحمل قلبين فى صفاء هذه السماء ، ونقاء هذا الجو ، والتفت متوقعا أن تلتقى نظراتنا ولكنك قلت : لا انها فعلت ذلك الليلة لدعاء أحسست اننى اريد ان أرفعه الى هذه السماء الطيبة ، فسألتك : وما هو ؟ ··، وعندئذ أجبتنى فى نبرة حارة مرتجفة : أن تهرم · اننى أدعو من كل قلبى · ان تهرم سريعا ، فاعتدلت فى جلستى ودنوت منك لكى أتحقق أنك ظللت الى جانبى ، وانك انت التى كنت تتكلمين ، ولشدما دهشت عندما رأيتك مازلت تشخصين الى السماء مفتوحة العينين ، ثابتة الأهداب وقد جمعت يديك تحت رأسك لكى تستريح عليهما ، وهمست: لم تتمنين ذلك ؟ ، ولكنك تابعت دعاءك كأنك لم تسمعى وقلت : اننى فرحة اليوم ، لا لأننا نحتفل معا بعيد ميلادك ، بل لأن عاما جديدا قد تراكم اليوم على عمرك · ولذلك أنا أعظم فرحا مما كنت فى مثل هذا اليوم من العام الماضى ، ولو كانت هذه السماء تحبنى حقا لأجابت دعائى ولتركتنى أسعد الى جانبك هرما ، أشيب ، فى حاجة الى عنايتى وحنانى ·· لن أذوق السعادة ما دمت شابا توقن انك ان افترقت عنى استطعت غداة الفراق أن تعرف فتاة أخرى تحبك وتسكب فى أذنها نفس الكلمات التى اعتدت أن تسكبها فى أذنى ، وربما أحضرتها

الى هذا المكان نفسه وحدثتها عن صديقة خيل لها الخبل ذات ليلة من ليالى الصيف أن تدعو الله أن تهرم • ثم تطلقان وسط هذه الصحراء ضحكات ساخرة من ذكرى تلك الصديقة البلهاء ••

هى ـ آه •• اذكر تماما كل ما دار بيننا من حديث ليلتئذ كأنه دار منذ برهة • لست أدرى كيف ترددت استحياء أن أصارحك بذلك كله • ولكن لعلك تذكر انك سألتنى •• « ما الذى جعلك تفكرين فى هذا كله الليلة ؟ » فصمت ولم أجب • وعدت تسألنى : انك تخيفيننى • فعيناك مفتوحتان منذ برهة • وأهدابك لم تلتق • ماذا بك ؟ اننى أحس ان هذه الأهداب تنوء تحت ثقل رهيب ، ولكننى لم أنطق •• ولم أغمض عينى •• كنت أشعر فعلا أننى أحمل أثقالا مرهقة • كنت أخشى اذ أنا أغمضت أن تشتد وطأة هذه الأثقال • فقاومت • وفجأة مرت تلك العربة القروية المحملة أثقالا من الفاكهة قادمة من الفيوم فى طريقها الى الهرم • فأجهشت بالبكاء •

هو ـ أجل •• وصل الى آذاننا من بعيد صوت الحوذى « الصعيدى » وهو يرتل ذلك الموال الذى مطلعه :

« ياما سقتنى بايدك م العذاب كاسى
فين الليالى وفين الوصل ووعودك
انت حبيبى وعارف علتى وراسى »

ولكنك مع ذلك لم تصرحى بشىء

هى ـ وبقيت مصرة على الا أصرح بشىء حتى ..

هو ـ « يخفى أصابعه فى عشب الحديقة الذى كانا قد استلقيا عليـه » حتى قرأت خبر خطبتك فى احدى المجلات .

هى ـ عرفت من ابنة خالى انك صارحتها بأنك فهمت اذ ذاك لم أجهشت بالبكاء ليلة التقينا فى ذلك المكان من طـريق الفيـوم ؟

هو ـ .. صارحتها بذلك . وكنت حاقدا عليك .

هى ـ ولكنك كنت مخطئـا .

هـو ـ كيف ؟ ..

هى ـ لأننى حاولت عبثا أن أخبرك بذلك الالحاح القوى الذى كان يطاردنى من كل أسرتى لكى أقبل خطبة الرجل الذى أصبح فيما بعد زوجى .. لم أكن طفلة حتى أعتذر بأن الوقت لا يزال متسعا أمامى لكى أتروى . ولم يكن المسكين يشوبه عيب أستند اليه فى رفض يده الممتدة الى . وكل اصرار على الرفض لا تفسير له ـ عنـد أهلى ـ الا أننى متعلقة برجل آخـر . أقسم لك أننى خطـر لى أكثر من مرة أن أثور وأصرخ معلنـة أننى أحبك . ولكننى لم أفعل من أجل رجل واحد .

هـو ـ من ؟

هى — أنت .. أجل أنت . لم أشأ أن أضعك أمام ذلك الحرج الذى قد يكون مؤلما لك . لم ترض كبريائى بأن أدفعك دفعا الى « طلبى » وقد كنت أمامك طيلة ثلاثة أعوام . فلم تتقدم بذلك الطلب . فضلت أن أشقى محرومة منك .. على أن أشقى الى جانبك بفكرة أننى ما فزت بك الا بعد أن رثيت أنت لحالى.. تعذبت كثيرا وسط تلك العاصفة التى اجتاحتنى وقتئذ .. ولكنك لم تقدر ذلك العذاب ولم تفهمه . فذكرت لابنة خالى أننى انما قبلت الزواج من غيرك لأننى مللت حياة التشرد مع شاعر شاب ، يوما أسير على قدمى وسطى مزارع المطرية حتى تدمى قدماى ، ويوما آخر أتناول طعام الغداء على أحد المقاعد الخشبية فى الحديقة اليابانية بحلوان .. دون مائدة أو صحاف . وليلة أستلقى على الرمل بثوبى فى صحراء الفيوم . « تضحك ضحكة جافة » .. كنت واهما يا عزيزى . فاننى لم أمل تلك الحياة . وشقائى الآن أن الحنين اليها يعاودنى كمرض عضال .

هو — اذن لم أقدمت على التخلص منها ؟

هى — لأننى تبينت أنك ستمل هذه الحياة قبلى .. اذ ذاك ستزهد فى لأننى شاركتك فيها ولأننى لو بقيت الى جانبك لظللت أذكرك بها . ولذلك دعوت الله أن تهرم حتى لا تعود تقوى على التفكير فى تغييرها . ولكن كبريائى لم ترض لى أن أصارحك بذلك فى لقائنا الأخير .

هـو ـ الأخير .. ولكننا التقينا الليلة مرة أخرى .

« يمر اذ ذاك قارب شراعى وسط النيـل . تجمعت فيه أكياس استلقى بعض النوتية عليها على حين آخذ بعضهم الآخر يعمل فى التجديف » .

هـو ـ لم ؟

هى ـ لأقول الكلام الذى قالته بطلة « عندما زلزلت الأرض » لحبيبها والذى تلوته منذ برهة بعد أن تعمدت أن تذكرنى به : « أين اختفيت يا شرير ؟ كنت سعيدا بلا شك .. قل .. أتوسل اليك .. قل انك لم تكن دونى سعيدا . ولكن لقد استطعت مع ذلك أن تعيش » .

هـو ـ كان يخيل الى أننى لا حياة لى بعدك .. وان كل نسمة أستنشقها دون أن تكونى الى جانبى انما أختلسها اختلاسا .. وكل جرعة ماء أدنيها من فمى دون أن تشاركينى فيها حرام على .. وكل زاد استحله لنفسى دونك جريمة اقترفها فى حق أعز ماض الى روحى .

هى ـ ولكنك استطعت أن تلهو وتمرح وأن تجد العزاء عنى .

هـو ـ « ينظر اليها مذهولا » حقا . كيف حدث ذلك ؟

هى ــ لأنك لم تهرم .. لأن السماء لم تستجب بعد لدعائى ليلة لقــائنا الأخير ..

هو ــ « بعد تفكير قصير » ومع ذلك فاننى أريد أن أغمض عينى وأفتحهما فأجدنى لك أنت وحدك لا أمل لى الا اسعادك .

هى ــ أنت واهم .. ســـتعود الآن الى سراى الجزيرة .. لتلحق بأصدقائك . لمحتهم وأنا داخلة . فعرفت أنك لابد أن تكون معهم . ذلك الطبيب الذى قدمتــه الى ذات ليلة وأخبرتنى انك رقصت مع أخت زوجته .. نرويجية شقراء . . حدثتك حديثا راقك كثيرا .. انها فى حفلة الليلة . أليس ذلك؟

هو ــ لم هذا الكلام الآن ؟ أؤكد لك أننى لم أره منذ مدة طــويلة .

هى ــ منذ ذهبت الى منزله وراقصت أخت زوجته ؟

هــو ــ « يتذكر .. بعد تردد » أجل .

هى ــ « تضحك وهى تربت فى رفق على وجهه » أترى .. لقد كذبت لترضينى .

هــو ــ لا . لم أكذب . انك تبحثين عن سبب للشجار .

هى ــ «تقطب جبينها» ولكننى لاحق لى فى أن أغار عليك .. هل نسيت أننى زوجة أحمل اسم رجل آخر ؟

« صوت عذب يحمله نسيم الليل من أحد نوتية القارب الشراعى الجارى فى النيل يردد هذه المقطوعة من الموال »

« فين الليالى وفين الوصل ووعودك

انت حبيبى وعارف علتى وراسى »

هـو ــ أتسمعين ؟

هى ــ غناء هذا النوتى صوت القدر . انه يذكرنا بتلك الوعود التى أقسمنا على الوفاء بها .. ثم .

هـو ــ ثم حنثنا

هى ــ بدأت تصبح عادلا . كنت تتهمنى منذ لحظة بأننى أنا وحدى حاولت التخلص من الحياة التى كنا نحياها .

هـو ــ أجل . كنت متجنيا « يحاول أن يضمها فتبتعد »

هى ــ آه . لم تهرم بعد .. لقد اعترفت الآن بأنك استطعت أن تعيش دونى نحو عام تحدثت فيه الى كثيرات غيرى . وأقبلت الليلة الى هذه الحفلة دون أن تتوقع أن ترانى فكيف تحاول أن تعود الى ما كنت تفعله عندما كنت لى وحدى . وكنت لك وحدك ؟

هو ــ ما زلت أحبك ..

هى ــ لو كان هذا صحيحا ما تركتنى أحمل اسم رجل آخر

هــو ــ هيا بنا نعود الى الحفلة . لأعلن أمام الناس أجمعين أننى أحبك .

هى ــ « تهز رأسها وهى تنظر الى الضــوء الهزيل الذى يتأرجح مع النسيم فى مؤخرة القارب الذى تدفعه مياه النهر » ما دمت شابا وما دامت قدماك تستطيعان حملك الى أمثال هذه الحفلة فلن تكون لى وحدى .. أعرفك أكثر مما تعرف نفسك .. كنت أحلم وأنا بين يديك بمثل حياة هؤلاء النوتية .. كنت أود أن أعيش هناك .. بعيدا .. على ظهر مركب .. معك . أطهى طعامك وأغسل ثيابك وأغنى بك . وأجوب أقطــار العالم الى جانبك. نعيش بين الناس بأجسامنا ونسبح بين السحب بأرواحنا. ولكن شيئا واحدا كان ينغص على دائما ذلك الحلم .

هــو ــ ماذا ؟

هى ــ ان لكل مركب مهما طالت رحلتها ميناء ترسو عليه.. اذ ذاك لن أستطيع أن أمنعك من النزول الى الأرض .

« يسمع بوق احدى السيارات الواقفة امام السراى يدق دقات متقطعــة »

هــو ــ ما هــذا ؟

هى ــ انها ابنة خالى. لابد أنها لحظت غيـــابى فأقبلت تستدعينى • هيا بنا نعود الى الأرض « الاثنان ينهضان فى بطء ويتبادلان نظرة طويلة ثم يفترقان » •

« تتقدم هى الى السيارة التى يكتنفها الظلام الحالك على حين يسير هو على الشاطىء خلف القارب الشراعى الذى لا يزال صوت النوتى يتصاعد منه مرتلا الأغنية الريفية » •

رعـــدة الذكرى

« الجزيرة التى تبعد عن شــاطىء
سيدى بشر بالاسكندرية والتى ترى
من بعيد وقد أحاطت بها مياه البحر ٠

صـــباح يوم من أيام أغسطس ،
الجزيرة خالية الا من شاب استلقى في
ثوب البحـــر على أرضـــها وقد اتكأ
برأسه على كفيه ٠ الشمس ترســـل
أشعتها المحرقة الى الجزيرة الخـالية ،
يستيقظ الشاب من غفوته على صوت
ذراعين تسبحان مقتربتين الى الجزيرة» ٠

هــو ــ « مقطبا جبينه ، واضعا يده فوق عينيه ليحجب أشعة الشمس ويتمكن من التحديق فى وجه الفتاة التى عبــرت البحر الذى يفصل بين الشاطىء والجزيرة سباحة » من ؟ حكمت!

هى ــ « تكون قد وصلت الى أرض الجزيرة ، ساقاها فى الماء وصدرها متكىء على رمل الجزيرة ، ترفع بصرها اليه ، تشهق شهقة طويلة حادة » صبرى !

هــو ــ كيف استطعت السباحة الى هنا ؟

هى ــ ماذا يدهشك فى هــذا ؟

هــو ــ منذ ثلاثة أعوام ، فى هذا المكان نفسه ، كنت لا تستطيعين النزول الى البحر الا معى

هى ــ لأننى كنت أخاف البحــر .

هو ــ ولكنك كنت تسبحين الى جانبى

هى ــ مطمئنة الى أن ذراعك ستنتشلنى اذا هويت .

هــو ــ ومتى تعلمت السباحة وحدك ؟

هى ــ عنــدما انفصلنا ..

هــو ــ كيف ؟

هى ــ عرفت أننى يجب أن أعتمد على ذراعى بعد أن تفقدت ذراعك فلم أجده .

هو ــ لا أذكر أننا وصلنا الى الجزيرة ..

هى ــ كنا دائما نقف على الشاطىء وننظر اليها من بعيد كأننا ننتظر اليوم الذى نستطيع أن نصل فيه اليها ٠

هو ــ ألا تذكرين لم كنا نصبو الى ذلك اليوم ؟

هى ــ أذكر « يحمر وجهها »

هو ــ لم ؟

هى ــ لأننى وعدتك أن أعطيك القبلة الثانية فى مكان ناء نكتشفه نحن ٠

هو ــ وقد خيل الينا اذ ذاك أن هذا المكان قد انحسر عنه الماء ليكون ملتقانا الموعود ٠

هى ــ ولكنك لم تشأ مع ذلك أن ترهقنى بالسباحة طويلا الى هنا ٠

هو ــ مع أننى كنت أعد الثوانى الباقية على فوزى بالقبلة الثانية ٠

هى ــ « تهز رأسها فى بطء » كانت قد انقضت أربعة شهور على أول مرة التقينا فيها منفردين ٠

هو ــ « سارحا وقد أخذت أنامله تعبث برمل الجزء المغمور بالماء » مساء الأربعاء ٢١ يناير ٠

هى ــ « مطرقة الى الأرض وقد أخذت أناملها تمهد الجزء الذى عبثت به أنامله » التقينا أمام باب المبنى فى شارع سليمان باشا . حيث تقطن حائكة ثياب أسرتنا . ثم حملتنى فى سيارتك الى خارج القاهرة .

هــو ــ لم نجد مكانا نذهب اليه لكى نقضى ساعة هادئة بعيدين عن أعين الناس الا جزيرة الشاى فى حديقة الحيوان .

هى ــ حاول الخادم أن يسكب لنا الشــاى يومئذ ولكنى أشرت اليه أن يدع الاناء لى و « خدمتك » ، لا زلت أذكر جيدا، عندما انتهيت من سكب الشاى فى قدحك ومددت أناملى لكى التقط قطع السكر ترددت قليلا لأنه خطر لى أن أسألك : قطعة واحــدة أو قطعتين ؟ ولكنى لم أشأ . خيل لى أننى لو فعلت لدل ذلك على أننى حــديثة عهــد بصــداقتك فوضــعت قطعــة واحــدة .

هــو ــ كما أننى تعمدت أن أرفع ماسكة السكر لكى أدعك تضعين القطعة بيــدك .

هى ــ ولما هبط الظلام قمنا نسير فى طرقات الحديقة على غير هدى كأننا تهنا عن هذا العالم .

هو — تمنيت اذ ذاك أن يطول ذلك التيه •

هي — حيث لا يستطيع أحد أن يعثر علينا •

هو — أجل • أذكر أنك قلت لى ذلك • أمام قفص العصافير الزرق

هي — « تشيح بوجهها » — لا تذكرنى بها •

هـو — « مستمرا كأنه لم يسمعها » العصافير التى اجتمعت فى وصف على سلك واحد واقتربت منا كأنها أرادت تحيتنا عندما رأتنا قد التصق وجهانا بقفصها •

هي — « يتهدج صوتها » لا تسهب فى اعادة ذكرى ذلك الموقف على سـمعى ••

هـو — « لا يزال مستمرا » فلما التقى منقـارا اثنين متجاورين منها رأيتنى أمد يدى وأقبض على يدك •

هي — كفى •• ارحمنى ••

هو — وعندئذ تلفت حولك كأنك توحين الى بشىء ما •• ولكنى تخابثت وسألتك : لم تتلفتين ؟ فأجبت فى صـوت هامس وأنت تنظـرين الى منقـارى العصفورين المتلاقيين وقد ارتفعت زقزقة الباقيات كأنها زغاريد منتشية : أخشى أن يرانا

أحد ، فلم أنتظر حتى تتمى جملتك وقبلتك للمرة الأولى وأنا أقول : تخشين وأنا معك !

« فترة صمت لا تسمع فيها الا لطمات أمواج البحر لشاطىء الجـــزيرة » •

هى ــ فى اليوم التالى تحدثت الى بالتليفون وطلبت الى أن أذهب الى ذلك المكان نفسه لأقرأ على جذع شجرة شـيئا كتبته رأيت أن تخبرنى به •

هو ــ هل ذهبت يومئذ ؟

هى ــ أجـل •

هـو ــ كنت قد أنكرت أنك أطعتنى •

هى ــ الآن تجاوزت السن التى يليق فيها أن أنكر مثل هذه الأمور •

هـو ــ ماذا وجـدت ؟

هى ــ « ترسم بأصابعها على رمل الشاطىء المبلل هـذه الكلمات دون أن تنطقها : هنا قبلتها للمرة •• »

هـو ــ « يمسك بيدها لكيـلا تتم رسم الكلمة »

أعرف ما سوف تكتبين ••

هى ــ لم تمنعنى ؟

هو « يرسم بأصبعت هذه الكلمة دون أن ينطقها : الثانية

هي ــ شرير !

هــو ــ لم ؟

هي ــ لأنك تغريني على أن أقترف شيئا لا يليق .

هــو ــ وهــو ؟

هي ــ انني أحمل اسم رجل آخر .

هــو ــ « بعــد رجفة » أتحبينه !

هي ــ لا . أحببت مرة واحدة رجلا لم ينــل منى الا قبلة واحــدة .

هــو ــ أمام قفص الطيــور .

هي ــ في حديقة الحيــوان .

هــو ــ ولكنك وعدته أن تهبي له الثانية في هذا المكان .

هي ــ اذا سبحنا اليه معا ولكنني وصلت اليه وحدي .

هــو ــ رأيتني أسبح اليه فتبعتني .

هي ــ « تنتفض » من قال لك ؟ لو أنني رأيتك ما أقبلت.

هــو ــ شريرة

هي ــ كيف ؟

هـو ــ لأنك أخبرتنى منذ لحظة أنك تجاوزت السن التى يليق فيها أن تنكرى مثل هذه الأمور • اعترفى •

هى ــ « تنظر الى عينيه • ثم تضع يدها على جبينه لتعيد خصلة من شعره المبلل الى مكانها » كم تقسو على ؟

هـو ــ تستحقين !

هى ــ أجل أستحق لأننى رأيتك حقا وتبعتك

هو ــ انك ما زلت تلهثين من شدة ما أرهقتك السباحة الى الجزيرة •

هى ــ أقطع هذه المسافة سباحة للمرة الأولى •

هـو ــ ألم تخشى الغرق ؟ ان الأمواج قد هاجت فجأة • ماذا كان يحدث لو أننى سمعت صراخك ونزلت الى الماء ثم جرفتنا موجة عالية مخيفة كهذه الموجة ؟

هى ــ ألم نتمن ذات يوم أن نتوه فى حديقة مهجورة •• فى صحراء •• فى قارب تتقاذفه الأمواج • فى مكان ناء لا يستطيع أحد أن يعثر علينا فيه ؟

هـو ــ « يرتجف جسمه » لابد أنك تشعرين بالبرد هنا « يتلفت حوله » لا شىء أستطيع أن أضعه على جسمك العارى

هى ــ « تقترب منه فيطوقها بذراعه » ان جسمى يرتعد ولكنها ليست رعدة البرد ٠

هــو ــ أعـرف أنهـــا ٠٠

هى وهو « معا » ــ رعدة الذكرى ٠٠

« فترة صمت طويلة يشتد فيها لطم الماء لأرض الشـــاطىء التى تحت أقدامهما »

هو ــ ماذا ! أتبكين ؟

هى ــ أجل ٠ دعنى أبكى قليلا ٠ ان هذا الماء الذى يلطم الأرض تحت أقدامنا يوحى الى بالبـــكاء ٠

هو ــ عجبا ٠ كنت أريد أن أصارحك بهذا الشعور ٠ خيل الى أن أكفا خفية تحت سطح الماء تلطم الوجه ٠ حزنا على تلك الذكرى ٠

هى ــ أترى ؟ لقد محا الماء ما رسمته أصابعى من كلمات على سطح الرمل ٠ انه لا يقرنا على أن من حقنا نبش تلك الذكرى ٠

هــو ــ ولكنى سأتحداه ٠ سأعيد كتابة تلك الكلمات ثم ليفعل بها ما يشاء فى غيبتنا ٠

هى ــ سأساعدك فى كتابتها ٠

هو ـ خطك أجمل من خطى •

هى ـ آه ! •• لقد تجاوزت أنت أيضا السن التى يليق فيها أن تكابر •• أنسيت أنك طالما أنكرت جمال خطى الذى كنت أكتب به رسائلى اليـك •

هو ـ حاولت أن أرد تلك الرسائل اليك •

هى ـ احتفظ بها كما أنى سوف أحتفظ برسائلك • ان غرامنا لم يتلوث قط • فلم نخشى الاحتفاظ بهذه الرسائل ؟

هو ـ « تبدأ فى رسم هذه الكلمات على الرمل المبتل : هنا تقابلنا منفردين للمرة الثانية »

هى ـ « ترسم هذه الكلمة : والأخيرة »

هـو ـ أخشى أن تكونى قـد تأخرت •

هى ـ أجـل • لنعـد الآن •

هـو ـ ستسبحين ؟

هى ـ الى جانبـك ••

هو ـ فاذا اقتربنا الى الشاطىء ؟

هى ـ ابتعد عنى كأننا لم نلتق هنا •

« فوق موجة عالية فى المسافة بين شاطىء سـيدى بشر والجـزيرة » •

هي ــ أقاوم لكي أبتعد عنك ولكن الموج يدفعني دفعـا اليك ، يارب .. انني خائفة .. لقد اقتربنا من الشاطيء .

هـو ــ لا تخافي .. لن يراني الناس خارجا من الماء معك سأعـود الى الجـزيرة .

هي ــ « مذعـورة » وحـدك ؟

هـو ــ أجـل ..

هي ــ كيف .. هل جننت ؟

هـو ــ لـم ؟

هي ــ انك متعب ..

هـو ــ أشعر بعد أن رأيتك أنني أقوى من ألف رجل .

هي ــ ولكن .. لا .. لا تعد وحـدك .

هـو ــ سـأعود ..

هي ــ « باكية في صرخة حادة » أتوسل اليك .. لا تعد

هو ــ لن يصيب أحدنا سـوء ما دمنا وفيين لتلك الذكرى البعيـــدة ..

هي ــ سأقف على الشاطيء حتى أطمئن الى أنك وصلت سـالما . الوداع ..

« باب سيدى بشر رقم ١ • المصطافون يتدافعون للخروج فى الظهر • حكمت واقفة تنظر الى الأفــق الهابط عند شاطىء الجزيرة وقد أمسكت طفلها بيدها وبدا القلق على وجهها المتعب فاذا رأت صبرى قد وصل الى أرض الجزيرة حملت طفلها ثم قبلته قبلة طويلة • والدموع تنهمر من عينيها بغزارة •

وبعــد قليل كانت سيارة تحملها الى بيتهــا بين رتل من سيارات أخرى تجتاز طريق الكورنيش •• »

ستعود غدا

ستعود غداً

«عند أقصى شاطىء جليمو نولو بالاسكندرية بعيدا عن ضجة المستحمين والمستحمات جلس « هو » على صخرة مغروسة في الرمال وقد أحاطت بقدميه بعض أعشاب ألقتها مياه البحر، وأقبلت « هى » فى « بيجامة » سوداء كشفت عن مفاتن جسمها ، ثم جلست الى جانبه على نفس الصخرة » .

هـو ــ لماذا تبعتنى ؟

هى ــ لأنك طفل لا يجوز تركه وحيدا يلهو على شاطىء البحـر .

هـو ــ « ضاحكا » كيف ؟

هى ــ مررت بى ورأيتنى ولكنك أدرت رأسك كأنك لا تعرفنى ، كما كنا نفعل فى المدرسة منذ عشرين عاما عندما نتخاصم

هو ــ « يهز رأسه ويتمتم » كأننى لا أعرفك ! أتظنين أننى عرفتك ؟

هى ــ « تمد يديها وتغلق فتحة قميصه لتحمى صدره من هواء البحـــر » •• أعرف ما يجول بخاطرك •• تريد أن تقـــول انك عرفت فى امرأة أخرى ، لا أنكر أننى تغيرت تغيرا كبيرا •• ولكنك مسئول عن ذلك ، كن منصفا واعترف •

هو ــ لا أنكر ، أنا الآخر ، أننى وثقت بك الى حد اننى تدللت •• كنت أعتقد أننى مهما أخطأت فانك ســـــتغفرين لى وتعودين ، ولكنك هـــذه المرة ••

هى ــ « تضع أصابعها على فمه » كررت هذه «الأسطوانة» مئات المرات •• ألم تتعب ؟ ••

هـــو ــ رأيتك بعينى •• جالسة فى المقهى المطل على النيل فى المعادى الى جانب ذلك الشاب الذى سمعته ذات ليلة يغنى فى حفلة أقامها أحد أصدقائى بالجيزة ، انه شاب رقيق لم يسىء الى قط ، لا يزال صوته الشجى يرن فى أذنى حتى اليوم • ولكننى

لم أكن أتصور أننى سأراك فى يوم ما جالسة الى جانب رجل غريب .. كنت أعتقد أنك تحبين البعد عن العالم .. وتجنب الناس أجمعين .. عندما حدثتك ذات يوم عن جزيرة «شدوان» فى البحر الأحمر وأطلعتك على بعض صور لها ، كانت عيناك تبرقان بالدموع ، ووجهك يتهلل بشرا ، فلما سألتك : أتذهبين معى الى هناك ؟ أجبت وأنت تقبليننى : يا ليت . ، فأخذت أعد الأهبة لقضاء فترة من هذا الصيف فى تلك الجزيرة المصرية النائية .. كنت أتحرج من اطالة الحديث عنها الى الناس خشية أن يلفت حديثى نظر غيرنا فيشاركوننا الحياة فيها ..

هى ـ وأنا .. تحققت من أن أحدا لا يعرفها غيرنا ، عندما دققت النظر الى خريطة للبحر الأحمر عند أخى الصغير لم أجد لتلك الجزيرة أثرا فيها ، وبدأت أعد ما سوف أحمله فى حقيبتى اليها عند سفرنا .. بعض كتب لحارس المنار .. وبعض « اسطوانات » لنستمع اليها فى ساعات استلقائنا على أرض الجزيرة ، لا أستطيع أن أطمئن الى أنك لى الا اذا كنت معى فى مكان لا تمكنك مغادرته .. أتذكر تلك الأيام الثلاثة التى قضيناها بالاسكندرية فى أواخر الشتاء الماضى ؟ كنا نعيش فى غرفة واحدة مطلة على البحر .. تحايلنا على الناس حتى نهرب

اليها من ثرثرتهم ، فادعيت أنا أننى قادمة لاستئجار شقة ، وادعيت أنت أنك قادم لاستقبال أستاذ من أساتذتك فى الميناء عائد من اجازته فى فرنسا •• وذات ليلة تعبت أنت وظمئت ••

هــو ــ « مقاطعا » أجل أذكر •• ليلة بحثنا عن كوب فلم نجد وعندئذ أفرغت ما فى صندوق من صـــناديق الحلوى • وصنعت منه كوبا •• كنت تملئينه ماء كلما فرغ • وتقدمينه الى كلما ظمئت • طوال الليل •

هى ــ ليلتئذ وقفت خلف زجاج النافذة أرقبك وأنت تغط فى نومك كطفل أسرف فى اللعب طول اليوم ، كان الهواء يصفر خارج الغرفة صفيرا مخيفا •• مصابيح هذا الطريق الطـــويل الذى يطل علينا الآن تبدو من بعيـــد وقد تجمع على سطحها الزجاجى رذاذ متطاير من أمواج البحر فبدا كأنه يسترها بغلالة، قوارب الصيد الصغيرة تتأرجح كعادتها على رءوس الأمــواج الثائرة وقد اهتزت أنوارها وأخذت تقترب وتبتعد فى اتساق عجيب كأنها تشترك فى حفلة رقص زنجية ، والتفت خلفى فرأيتك لا تزال تغط فى نومك •• كنت لى ليلتئذ •• لى أنا وحدى •• ولكننى عندما تذكرت أنك ستستيقظ فى اليـــوم التالى وأننا سنعود الى القاهرة لنفتــرق أنا الى بيتى وأنت الى أسرتك فلا أتمكن بعد من مراقبتك أيقنت مرة أخرى أنك لن تكون لى أنا وحدى •• وكانت قطرات المطر قد تجمعت على زجاج النافذة من

الخارج ، فأوحت الى أن أبكى ، وبكيت •• بكيت بكاء مكتوما خشية أن أوقظك ••

هو ــ لا أنكر أننى لم آكن لك وحدك خلال تلك الشهور القليلة التى عشناها معا ، ولكننى مع ذلك أحسست بالرغبة فى أن أتطهر من الحياة التى كنت أحياها قبلك ، ولذلك خطرت لى فكرة الهرب معك الى « شدوان » ، كنت أريد أن أتجرد من كل شىء •• من ماضى •• من ثوبى •• ومن روحى العـــابثة التى أعرفها ، لكى أعيش الى جانبك انسانا آخر جديدا ، كنت أعلم أن منار « شدوان » قد عمل فيه حارس عجوز منذ مدة طويلة •• كان قد أحب فتاة وتعاهد معها على الزواج فخانته وهربت مع مهندس شاب ندب للعمل فى الكويت ، وان ذلك الحـارس انهار • احترق من هول الصدمة فهجر العالم الى ذلك المنار النائى المنعزل •• وقد أخبرنى من مر بتلك الجزيرة أن حارسها العجوز اعتاد أن يقف على شاطئها الصخرى كلما مرت من بعيد سـفينة قاصدة الى الشرق ، محاولا أن يسترق السمع الى •• أى صوت •• الى موسيقى السفينة ، الى صفيرها ، الى ضجيج آلاتها ، أو الى حفيف أجنحة الطيور وهى تحوم حولها ••

هى ــ انه ما يزال يذكر فتاته ويحبها رغم غدرها ••

هــو ــ أجل ، ولكنه لم يفكر يوما فى أن يركب البحـر ليتبعهـــا •

هى ــ ربما كان واثقا من أنهـا لم تحبـه ..

هـو ــ « ناظرا الى عينيها » أين هو ذلك الرجل الذى يستطيع أن يثق من حب امرأة ؟ ..

هى ــ « تخرج منديلها من حقيبتها وتجفف العرق المتصبب على جبينه » كنت واثقا من حبى لك ..

هـو ــ الى أن رأيتك بعينى ..

هى ــ ان ما رأيته لا يدل على أننى خنتك .. لقد خدعك بصرك ، انه ليس مطربا ولا تربطنى به علاقة شائنة .. اننى بريئـة .. « تبـكى » .

هـو ــ اننى أعرفه قلت لك ، وفى قريتنا حكمة قديمة تقضى بألا يفقد الرجل صداقة أو شبه صداقة لرجل آخر من أجل امرأة ، وهذا يكفينى لكى أنصرف عنـك ..

هى ــ الى من ؟ .. امرأة معينة !

هـو ــ ربمـا .

هى ــ عرفتها هنا فى الاسكندرية بعد أن افترقنا ؟

هـو ــ لا .. كنت أعرفها قبل أن أراك .. انها غانية تزوجت مرتين وأثارت حول اسمها ضجة هائلة بما اجترأت عليه من مغامرات . امرأة أنكرت الحب ، ولم تعترف الا بلحظـة

العبث الطارئة .. انها شيطان ! كان الرجال يلعنونها فى غيبتها ، ثم يقدمون لها الزهور عند رؤيتها ..

هى ــ لم تحدثنى عنها من قبــل ..

هــو ــ « بعد ضحكة ساخرة جافة » كان يخيل الى أن مجرد الاشارة الى ذلك النوع من النساء لا يليق

هى ــ ولم اخترتهــا ؟

هــو ــ لأننى أحسست بأنها شبعت من فرط العبث ، عندما علمت بأننى ذاهب الى حيث لا يوجد هذا الزحام الحاشد وهذا الضجيج المرهق تشبثت بى ورجتنى أن تصحبنى ، لقد أفهمتها أنها لن ترتدى هناك الا ثوبا رياضيا قصيرا ، ولن تأكل الا مــا نصطاده من سمك البحر ولن تجد من معدات الطهى الا عشب الجزيرة اليابس تضرم فيه النار بيدها فزاد تشبثها بفكرة الرحيل.

هى ــ ومن يدريك أنها سترضى بالحياة هناك ؟

هــو ــ لأنها سئمت الحياة هنا ..

هى ــ سئمتها أنا الأخرى ..

هــو ــ واهمــــة ..

هى ــ لمــاذا ؟ ..

هــو ــ لأن أذنك لم تمتلىء بعد بكلمات الثناء التى كانت

عطشى اليها ، عيناك لم تقعا على كل ما كنت تسمعين به دون أن تريه ، روحك لم تتعرف بعد على كل ما كانت تحلم به ولا تناله، أما هى فقد سمعت ورأت وأحست بكل ذلك ..

هى ــ « فى صوت مرتجف » من كان يخطر له أنه سيأتى يوم تتحدث فيه أمامى عن امرأة أخرى بهذه اللهجة ؟

هو ــ ومن كان يخطر له أن أراك بعينى مع رجل آخر ثم أكتفى بأن أرجو لك السلامة من هذا الطريق الجديد الذى شئت أن تسلكيه ؟ ..

هى ــ « باكية » انك تتحدث الى كأنك تتحدث الى راقصة فى ملهى أو خادمة فى حانة ، أقسمت لك فيما سبق وأقسم لك أننى بريئة .. ان ذلك الشاب شقيق احدى صديقاتى ، ولا تربطنى به صلة .. ناظرة اليه « فى همس » اننى أحبك ..

هو ــ عندما تعارفنا أكدت لى بأنك لا تسمحين لنفسك بزيارة بيت خالك أو بيت عمتك الا بعد استئذانى ، بأنك لاتذهبين الى الشاطىء طيلة غيبتى فى القاهرة لأنك تأنفين من أن يقع نظر غيرى على جسمك ، نصف عار فى ثوب البحر ، بأنك بحثت عنى ذات يوم فى كل مكان لكى تخبرينى بأن خطيب ابنة خالتك قد دعا الأسرة الى العشاء فلم تقبلى الدعوة الا بعد أن تستأنسى برأيى .. خيل الى بعد ذلك كله أننى أمام ملاك يعيش فى عالم

أعلى من عالمنا ، مع روح شفافة تسبح بين السحب التى نرفع اليها أبصارنا ولا ندركها ، فلما هبطت الى الأرض الى جانب غــيرك من النساء أفقت من خيالى ..

هى ــ اعترفت منذ برهة بأننى دللتك ، وأنك انتهيت الى الاعتقاد بأنك مهمــا أخطأت فاننى سأغفر لك ، ولكن لو سافرت مع هـــذه المــرأة ..

هــو ــ لا تكملى .. لقد اتفقت معها على السفر .. غدا

«موسيقى تعزف أغنية من « جرامافون » فى « **كابين** » قريبــة :

« اذا شئت غدا أن تعود الى فسنعيش نحن الاثنان مرة أخرى هذه القصة العاشقة .

سأحبك .. دون ندم أو حسرة »

هى ــ لقد سمعنا هذه الأغنية معا .. أتذكر أين ؟

هــو ــ أجل .. فى حديقة مطعم بشارع الهرم ، ذات ليلة من ليالى الربيــــع .

هى ــ ما زلت أذكر بقيتها :

« لا تقل لى شيئا هذا المساء ..

أريد أن أحتفظ بالأمل فى أنك ستعود الى غدا .. غدا ..»

ما رأيك في هذه القطعة ؟

هــو ــ « متأهبا للرحيل » ككل شعر الحب •• يؤمن بامكان العــودة بعــد الهجر ••

هى ــ ألا تؤمن أنت بذلك ؟

هو ــ بالعكس •• أومن بأن هذه العودة ••

هى ــ « تضع يدها على فمه لتسكته •• الموسيقى تعزف بقية الأغنية بينما الدموع تلمع فى مآقيهما :

لا تقل لى شيئا هذا المساء •

أريد أن أحتفظ بالأمل •• فى أنك ستعود غدا » •

غرام ذات صيف

هذا الكتاب
ملك الأستاذ الدكتور
رمزى زكى بطرس

ــ يخيل الى أنك استيقظت من النوم منذ برهة ..

ــ أبدا .. اننى فى انتظار عودتك .

ــ اذا .. لماذا لم تسألى عنى ؟

ــ ايه .. كأنك لا تدرى !

ــ لمــاذا ؟ ..

ــ منذ متى اعتدت أن تعود الى المنزل قبل منتصف الليل؟

« فترة صمت قصيرة ، سمع تنفسها العميــق قادما يلهث من

بعيد .. وخيل اليه أن سماعة التليفون كانت تهتز فى يدها ، واستمرت شمس تقول » ـ من أين أنت قادم ؟

ـ ظللت فى المنزل الى ما بعد الساعة السابعة .. ثم ذهبت الى مطعم بميدان محطة الرمل فتناولت عشاء خفيفا ولما عدت الى المنزل طلبتك .

ـ تقـول انك غادرت المنزل بعـد السابعة ؟

ـ أجـل .

« تنفجر صـارخة »

ـ ولماذا تكذب ؟ سألت عنك فى الساعة السادسة فعلمت أنك خرجت ـ « صمت . تذكر أنه كان قد خرج بعد الخامسة بقليل ، تبين أنه انما أخبرها ببقائه فى المنزل الى ما بعد السـابعة لكى يبرر عودته من الخارج بعد منتصف الليل » :

ـ أجـل ، نسيت أن أخبـرك يا شوشو .. حتى فى الاسكندرية لا أستطيع أن أستريح من العمل ..تصورى أننى استدعيت لحضور تحقيق تجريه النيـابة بسبب مشـاجرة فى الشاطبى اشترك فيها أحد أقاربى ، دائما بسبب فتاة يتنافس عليها فريقان من الشـبان .

فقاطعته قائلة :

ـ لا داعى لتأليف هذه القصة الطويلة عن مشـــاجرة الشاطبى التى لا أصل لها ، قلت لك ألف مرة اننى اذا جننت فان سلسلة هذه الأكاذيب هى سبب جنونى ـ وصرخت فى صوت منتحب مبحوح ـ انك لم تذهب قط الى النيـــابة ... لقد كنت فى الحانة الايطالية اياها بالمنشية ، سألت عنك وعلمت أنك كنت هناك وخرجت مع الدكتور سليمان .

ودهش لهذه المفاجأة التى لم يكن ينتظرها ، لأن شمس أكدت له فى بدء الحديث أنها لم تحاول فى أول الليل أن تتصل به تليفونيا ، واستدرجته الى سرد تلك التفاصيل عن مغـــادرة المنزل متأخرا وعن ذهابه الى المطعم الذى كانت تعلم أنه اعتـــاد تناول العشاء فيه ، تبين أنها أدركت كل شىء ، أدركت أنه ذهب مع صديقه القديم الدكتور سليمان الى الحانة الايطالية والذهاب الى هناك ـ ومع سليمان ـ معناه على الأقل تعــاطى كأســين أو ثلاث كؤوس والنظر الى السيدات اللاتى اعدن أن يترددن على ذلك المكان فى كل أمسية ، وقد رأتهن شمس ذات ليلة عندما ذهبت مع شقيقها لقضاء بعض الوقت قبل موعد السينما فعادت تتشاجر وهى تكرر : فهمت الآن لم تتردد كل ليلة على هذا المكان، ولماذا كنت تتكلف البراءة الطاهرة فتســألنى قبل أن تذهب أن أسمح لك بالذهاب كأنك لا تملك الحق فى ذلك الا اذا سمحت

أنا ، يا لسذاجتى ! كنت فى كل مرة أجيبك : لماذا لا تذهب يا حبيبى ؟ انت حضرت الى المصيف لتريح أعصابك وتبتعد عن جو المكتب ، .. أتذكر ؟ كنت أكثر من ساذجة . كنت بلهاء ، ولكن الآن أقول لك اما أنا أو هذه الخمارة الايطالية .. ان اراحة أعصابك يمكن أن تتحقق دون اطالة النظر ساعات الى عشرات النسوة الجالسات هناك ، وسليمان هذا أيضا لا أريد أن أسمع أنك خرجت معه مرة أخرى ، أأجدبت الدنيا من الأصدقاء فلم تجد غيره ! سيرته مضغة الأفواه فى كل بيت .. معظم الأسر الطيبة لم تعد تقبل استدعاءه أو الذهاب الى عيادته بعد أن عرف عنه أنه لا يفيق من الخمر نهارا . ويقضى لياليه متنقلا بين نوادى القمار.. ألا تخجل من ظهورك معه أمام الناس؟

ولما حاول أن يدافع عن صديقه انفجرت وقد اختنق صوتها بالدموع :

ـ تجرؤ أيضا على الدفاع عنه ؟ أتسميه رجلا ذلك الذى يطلق زوجته لأنها تحاسبه على العودة الى بيته فى فجر كل يوم ثملا يترنح !

واتفقا ليلتئذ على ألا يذهب الى الحانة الايطالية وألا يلتقى بصديقه الدكتور سليمان ، ولذا ذعر عندما فاجأته بقولها انها سألت عنه فعلمت انه هناك وغادر المحل قبل ذلك بقليل .. حاول أن يقاوم .

ـ انه صديق الطفولة ، ماذا تريدين أن أفعل معه يا شوشو؟

ـ لا تقل لى « يا شوشو » ، لا أود أن أسمعك تنطق اسمى ، اذهب ودلل أولئك اللاتى كنت تجالسهن الليلة .

ـ ماذا جرى لك ؟

ـ أفقدتنى عقلى .

وتهدج صوتها ثم أجهشت بالبكاء وارتفع نحيبها .. فسألها فى لهجة جنون :

ـ ماذا حدث حتى تثورى هذه الثورة ؟

فلم تجب ، وظل صوت نحيبها تحمله أسلاك التليفون الى أذنه فى ظلام الليل الذى كان يسود غرفته اذ ذاك ، وعاد يكرر:

ـ ماذا بك يا شمس ؟ لم تبكين ؟

وانتظر أن تجيب ولكنها لم تفعل .. كانت اذ ذاك قد تجلدت فنقطع نحيبها ، ساد سكون رهيب ، وبدأ يضيق فقد فضل فى بادىء الأمر أن يحتمل ثورتها لأنه شعر بأنه كان مخطئا، ولكنها لما بالغت انفجر هو الآخر :

ـ أتودين أن تردى أم لا ؟

فلم تجب ، وعندئذ قال وهو يعيد السماعة الى مكانها :

ـ طيب .

الا أن جرس التليفون دق ثانية ، فتركه يدق مرات الى أن خشى أن يستيقظ من فى المنزل فرفع السماعة ووضعها على أذنه دون أن يجيب ، وسمع من بعيد نحيبا خافتا متقطعا .. وصوتا يقــول فى نبــرات مرهقــة :

ـ لماذا تفعــل ذلك ؟

ولما لم يجب ، عادت تســأله :

ـ أيهون عليك أن تقذف بالسماعة فى وجهى ؟

ففضل أن يظل صامتا دون أن يجيب ، وعندئذ اشتدت ثورة بكائهــا وقالت وكأنها تتشبث بــه :

ـ أجبنى .. أترانى أكلم نفسى ..

فأجاب فى برود :

ـ ماذا تريدين ؟

ـ انك لا تحبنى الآن ..

ـ لا أحب هذا النكد .

ـ « كأنها لم تسمعه » أحس بأنك لم تعد تحبنى كما كنت تحبنى من قبل ، كيف تقول لى أنك تحضر تحقيقا فى النيابة .. بينمــا ..

فقاطعها :

ـ كفى عن هذه السيرة .. دعينا نتحدث فى موضوع آخر الى أن تهدأ أعصابك ثم نعود لها .. أخبرينى ماذا تلبسين الآن؟

فاستعادت شمس هدوءها وأجابته فى صوت ما تزال تخنقه الدمـــوع :

ـ كأنك لا تعرف ماذا ألبس ؟ ..

ـ لا . من أين لى أن أعرف ؟

ـ تحب أن تسمعنى دائما أكرر أننى لا أرتدى الا الثياب التى تريد أنت أن أرتديها ، ولا أنتقى الا الألوان التى يستريح لها بصرك .. اننى أتحدث اليك الآن وأنا ملتفة بثوب الغرفة الأزرق الذى كنت أطل به من شرفة منزلنا عندما مررت عصر أول أمس بسيارتك والذى سألتك عن رأيك فيه فأجبتنى : مدهش !

ـ ألا زلت تذكرين يا شمس ؟

ـ لم تقول لى « يا شمس » الآن ؟

ـ كيف تريدين أن أناديك ؟

ـ انك لا تحس بثقل ظلك عندما تنادينى باسمى كاملا .. أتعرف بم تذكرنى ؟

ـ بماذا يا شـوشو ؟

ـ بالشيخ مدرس الخط العربى •• كم قال لى وهو يضرب المائدة بيده : شمس صادق •• وجهك في الحائط واياك أن تلتفتى خلفك أو تتكلسى ! ••

ـ شـقية منـذ طفولتك ••

ـ كان زمـان ••

ـ وبعـد ••

ـ منذ عرفتك تعلمت السير على العجين دون أن أخلطه ••

ـ هيه •• أتودين العودة الى الشـجار ؟

ـ لا •• لا أود أن تلقى سماعة التليفون فى وجهى مـرة أخرى •• أتعرف لماذا سألت عنك فى المنزل الساعة السادسة ؟

ـ لا ••

ـ لأن خالتى مفيدة مرت بنا وأخبرتنا أنها حجزت مقصورة فى المسرح الذى تمثل عليه بالمصيف احدى فرق القاهرة التمثيلية، ألحت على أن أصحبها •• حاولت أن أعتذر بالصداع وتوعـك الصحة ولكنها لم تقتنع ، اقتحمت غرفتى •• فتحت دولابى ••

واختارت ثوبا صممت على أن ألبسه .. ورغم ذلك كله لم أستطع أن أقبل الخروج معها قبل أن أستأذنك .. سألت عنك فى المنزل ولما ردت على شقيقتك أعدت السماعة دون أن أفتح فمى .. عاودت السؤال بضع مرات .. كنت كل مرة أسمع صوتها أخجل من السؤال عنك ، الى أن ردت على الخادمة فعلمت منها أنك خرجت قبل ذلك بساعة ، سألت عنك فى مطعم محطة الرمل فلم أجدك ، وعندئذ سألت عنك فى تلك الحانة الايطالية اللعينة فعلمت أنك كنت هناك مع الدكتور سليمان .. كنت أريد أن أخبرك بأننى سأخرج مع خالتى لأننى خشيت أن تلمحنى راكبة الى جانبها أو داخلة معها الى المسرح أو خارجة منه دون أن يكون لديك علم سابق ، أترى كيف أحرص على شعورك ، وأتجنب كل ما يحتمل أن يغضبك ؟ بينما أنت .

ـ هيه .. تحومين دائما حول ما يوحى بالشجار .

ـ لا تخف .. يكفى أن تعلم أننى ظللت طول الوقت جالسة الى جانب خالتى وأنا متظاهرة بالضجر والتعب الى أن أرغمتها على أن تترك المسرحية فى منتصف الفصل الثانى ، لست أدرى لماذا أفعل كل هذا من أجلك أنت ؟ أنا نفسى لا أعرف ماذا أحب فيك ؟

فقال لها محاولا تغيير مجرى الحديث :

ــ وماذا فعلت بعد أن عدت من المسرح مبكرة ؟

ــ آه .. نسيت أن أخبرك ، فتحت كتابا فرنسيا كان قد أحضره أخي معه من فرنسا بعد قضاء أجازته الصيفية ، أتعرف أنك يجب أن تقرأ هذا الكتاب لأنه يوحي اليك بأكثر من قصة، مجموعة قصائد لامرأة شاعرة ، ان هذه المرأة مدهشة ، اسمع سأقرأ لك بضعة أسطر ترجمتها وأنا أنتظرك ..

ولما ضحك ضحكة مكتومة فهمت هي ما يرمي اليه من ورائها قالت محتجة :

ــ لماذا تضحك ؟ أيخيل اليك أنك وحدك القادر على الترجمة من الفرنسية ؟

ــ لم أقل ذلك ..

ــ اذن اسمع ..

وبدأت تلقى ترجمتها العربية لتلك الصفحة من صفحات الشاعرة الفرنسية العاشقة :

« أحب أن أصمت وأنا أنظر اليك .. أن أحس بحبى لك يسرى فى عروقى كما لو كان حديدا محميا مصهورا دون أن أصرخ .. أن أغفو عندما أفكر فى قسمات وجهك دون أن أنام .. أن أتتبع بنظرى تلك الشرايين الناتئة فى ظهر يديك دون أن ألمسها .. أن أرى جسمك المهيب المتحدى قريبا منى دون أن

أدنو منه •• أن أشقى بهذا الهناء وأتعذب •• أحب أن أصمت وأنا أنظـــر اليـــك •• »

ولم تكد تنتهى من القاء هذا الشعر حتى سألته متهللة :

ـ لا تغالط بالله ، ما رأيك فى هذا الأسلوب ؟

ـ مدهش ••

فضحكت ضحكة ساذجة واستمرت قائلة :

ـ لسنا فى مقام هذر الآن •• هل وفقت فى ترجمتها أم لا ؟

ـ قلت لك ان الترجمة مدهشة ••

ـ كذاب •• انك تسخر منى •

ـ احتـــرت ••

ـ لن أسألك مرة أخرى ، اسمع ترجمة هذه القطعة الثانية

ـ وأخذت شمس تلقى ترجمة عربية لذلك الشعر الفرنسى المتدله:

« لست أدرى اذا كنت قد أقبلت أو رحلت •• هل حلمت ؟

وذلك الصوت الذى سمعته منذ لحظة ، أكان صوت الريح وهى تداعب النافذة ، أو صوت الهرة التى كانت تريد اقتحام غـــرفتى ؟

من الذى دق بابى ؟ لقد سمعت وقع أقدام تقترب من فراشى، أكنت أنت أقبلت تتحقق مما اذا كنت قد استغرقت فى النـــوم

ومما اذا كانت نوافذ غرفتى قد تركت مفتوحة معرضة جسمى لعبث الهواء ، أو أنه شبح حبيب تقدم فى حلكة الليل ليخون عزلتى ؟

هل حلمت ؟ لقد نعق البوم ليلة أمس وسمعت نعيقه بأذنى.

ولكن هذا الصوت الآخر ، هذه الصرخة الأخرى التى أسمعها من فوق كتفى والتى تضحك ساخرة من النوم وتحاول ايقاظى ..

لست أدرى اذا كنت أقبلت .. اذا كنت رحلت .. هل حلمت ؟ »

فلم تكد تنتهى من تلاوتها حتى دهش لمقدرتها على اتمام تلك الترجمة التى لم يكن يتوقع أنها مستطيعة اتمامها بتلك السرعة.

وكانت يده اذ ذاك قد بدأت تعبث ببعض كتب موضوعة على المكتب الذى تتوسطه آلة التليفون ، وتوقفت عند قصة اسمها « ليلة » كان قد انتهى من قراءتها قبل ذلك ببضع ساعات راقه حوار دار بين اثنين من أبطال القصة ، فقال لشمس وقد بدأ يحس بذلك الجو الشاعرى الذى غمرته به تلك السطور التى كانت تفيض حنانا والتى تلتها على مسمعه :

ـ أتعرفين يا شوشو أننى انتهيت اليوم من قراءة قصة كنت أعتزم ارسالها اليك ، وقد أشرت على بعض مواقف فيها راقتنى كثيرا .

ـ اقرأ لى شيئا منها ..

وبدأ يقرأ ذلك الحوار الرائع الذى وفق المؤلف فى كتابته مصورا روح الشاعر المحب الذى يخيل اليه أن السعادة بعيدة المنال عنه عبر حوار بينه وبين الفتاة التى أحبها :

« ـ لو أنه كان فى استطاعتى أن أكيف حياتى كما أشاء لقضيت كل عام ثلاثة أشهر فى العاصمة .. ثلاثة أشهر فقط لا أكثر .. أما بقية العام فاننى أقضيها فى منزل ريفى صغير تحيط به الحقول والمراعى والماشية .. سأعمل . سأتعلم كيف أسوس رجال مزرعتى ، سأنجب أطفالا ..

فقاطعته مبتسمة وأشاحت بيدها فى حركة أرادت بها أن تمسح كل الخيالات التى صورت له :

ـ أى جنون .. لا يجب أن تحلم ..

ـ من العسير أن تمنعينى من الحلم ، كم تمنيت أنا الآخر أن أحيا نفس الحياة التى تصورينها فى هذه اللوحة التى انتهيت من رسمها .. ولكننى أخاف العزلة ..

ــ تزوج ..

فقال لهـا ضـاحكا :

ــ أين أجد المرأة الذكية التى تشاركنى متعة الجهـد الأدبى الذى أبذله ولا أفكر قط فى أن أهجره ، المرأة التى لا تتردد فى أن تهجر العالم لكى تتبعنى أحيانا الى تلك المزرعة النائية التى حدثتك عنها ؟ ان الرجال الذين أرهقتهم الحياة مثلى يشـعرون بالحاجة الى العودة للطبيعة .

فقالت فى دعة :

ــ يبدو لى أنك سعيد مع ذلك ..

ــ انك تحكمين على قسمات الوجه ولكنك لا ترين ما فى القلوب .. لقد قرأت ذات مرة لامرأة شاعرة وفنانة موهوبة هذه الكلمات : من الذى استطاع يوما أن يبرأ من طفولته ؟ .. وهذا حـق » .

وكأن شمس قد فهمت ما يرمى اليه من ترجمة ذلك الحوار بين الأديب الشاعر وفتاته ! الحوار الذى أراد أن يسـتدرجها فيه الى قبول مشاركته الحياة بين العاصمة وذلك المنزل الريفى الذى صوره له خياله ، فقالت له فى حنان :

ــ نسيت أن أسألك ، أأنت جالس أم واقف وأنت تتحدث الى الآن ؟

ـ دخلت الغرفة فسمعت التليفون يدق ، ولما تحدثت نسيت نفسى فلم أجلس ..

ـ كم أنا آسفة .. اذن اخلع ثيابك لتستريح ..

وضع السماعة على المائدة الصغيرة المجاورة لفراشه . خلع ثيابه مسرعا ثم استلقى على الفراش فتبين أنه منهوك ، وأنه كان فى حاجة قصوى الى الراحة . .

وسمع شمس تقرأ فى الكتاب الذى كان بيدها :

« قلت لى ذات يوم : اننى لست جديرا بحبك ..

ماذا تعرف أنت عن نفسك ؟ لا شىء ..

انك تجهل الفتنة والروعة التى تحيط بك وبطلعتك عندما تقبل ..

انك تجهل ضحكتك التى تشبه ضحكات الينابيع ..

انك لم تر عينيك اللتين تضىء فيهما السماء .. وتظلم كلما شاءت أناملى أن تداعبهما .. انك لا تسمع الكلمات التى تذيب روحى وتحملها الى الشاطىء البعيد المجهول .. انك لا تعرف شيئا .. صه »

وسادت فترة صمت طويلة .. وفهم من تلك الكلمات الأخيرة التى قرأتها شمس أنها تعلق على ما قرأ هو ، تعلق على

حيرته في اختيار شريكة حياته .. وخيل اليه أنه اقتنع .. وان شمس هي تلك الشريكة المنشودة المثلى التي ساقها القدر اليه..

وسمع صوتا هادئا وديعا يقول له من الجهة الأخرى :

ــ هل أغلقت النــوافذ ؟

وعندئذ رفع رأسه وألقى نظرة على نوافذ غرفته ، كــانت موصدة ، فقال : أجل ، يظهر أن والدتي أغلقتها قبل عودتي..

فسكتت قليلا ثم قالت : انني متضـــايقة ..

ــ لمــاذا ؟ ..

فترددت .. ثم قالت بعد صمت قصير

ــ لم أكن أريد أن تفعل والدتك أو شقيقتك شيئا من أجلك .. يبدو أنك محقا الليلة عندما سألتني عما جرى لي . لعقلي . تصور ! ــ وعادت الى الصمت ــ هواء الاسكندرية شــــديد الرطوبة . أأطفأت النور ؟

ــ سأطفئه .. ــ ومد يده فأطفأه .

ــ ألا ترى شيئا الآن ؟

ــ أراك .. ملتفة بذلك الثوب الذي له زرقة البحر ، واقفة تسدلين ستائر الغرفة البيضاء وترفعين « المنبه » عن المائدة الصغيرة

المجاورة للفراش لكيلا تزعجك دقاته أثناء النوم ، ثم تسـيرين على أطراف قدميك فى خفة حلم ليلة صيف .

★ ★ ★

وسمع دقا عنيفا على الباب ، وأصوات ضحكات عالية ترتفع منادية باسمه ، ولما فتح عينيه تبين أنه مازال مستلقيا على فراشه فى غرفته بالطابق الرابع من فندق « الانستيتو » بشارع باستور بحى مونبارناس فى باريس ، تلفت حوله فرأى سماعة التليفون مدفونة تحت الوسادة ، فتذكر بعد أن أفاق من نومه انه كان قد اتفق مع بعض زملائه المصريين على أن يتركهم ساعة واحدة بعد الغداء ليستريح من عناء ليلة بيضاء سهروها حتى الصـباح ، استعدادا لسهرة جديدة ، وقد خشى أن يزعجه جرس التليفون فرفع السماعة ودفنها تحت الوسـادة ..

سامي وسميرة في رسائل

« اعيد عرض فيلم رميو وجولييت
فى احدى دور السينما الصيفية »

— ١ —

« ســامى ..

لعلك دهشت فى مساء الجمعة الماضية عندما رأيتنى أشب على قدمى وأتعمد أن أريك نفسى حين أنيرت قاعة السينما الصيفية وتبدد ظلامها عقب عرض فيلم « روميو وجولييت» ، ولعلك ساءلت نفسك فى زهوك المعروف :

« هل عادت سميرة تحاول وصل ما انقطع من علاقتنا ؟ »

ولذا أسرع فأؤكد لك أننى ليست لدى أية رغبة فى أن أعود ، ولكننى تعمدت أن أشب على قدمى وأن أدعك ترانى .. تكلفت ذلك . ولولا خشية الفضيحة لصحت بك على بعد المسافة التى كانت تفصل بينى وبينك :

« أرأيت ماذا يفعل الرجل العاشق اذا اعتزم التضحية من أجل حبيبته ؟ »

أكتب اليك هذه الكلمة لأعيد تكرار ما كنت أود أن أسمع ردا عليه منك عندما انتهى عرض « روميو وجولييت » ، ولو أننى واثقة من أنك لن تتعلم منه شيئا لأنك خلقت هكذا لا تعرف معنى للتضحية ! »

جاردن سيتى فى ٥ سبتمبر | سميرة

— ٢ —

« عزيزتى سـميرة ..

أما أنه خطر ببالى ، ولو برهة خاطفة ، أنك كنت تشـبين على قدميك لكى تعودى الى وصـل ما انقطع فظن خاطىء ، رأيتك وأنت تفعلين ذلك ، ولكن أتدرين كيف فسرته ؟ فسرته بانك سئمت النظر الى تلك « الجبانة » التى أرغمنا مخرج ذلك الفيـلم

الكريه على أن نعيش فيها نحو عشر دقائق •• وفى قلب القاهرة فى شارع ألفى بك ، على بعد خطوات من المطعم الذى تناولت فيه طعـام العشـاء ليلتئذ وذهبت الى السـينما لكى أحـاول الهضـم ، أرغمنا ذلك المخرج على أن نعيش تلك الدقائق التى تقززت منها نفسى ، وعرف خيـاله الرخيص كيف ينجو من « لائحة الجبانات » التى تحتم بناء المقابر خارج المدينة فى حى غير آهل بالسـكان ••

فسرت حركتك اذن بأنها تطلع الى الحيـاة ، عقب ذلك الاستعراض المضنى لدفن فتاة حيـة تدعى جوليبت فى مقبرة موحشة ، ولمبارزة مثيرة بين شابين الى جانب « تابوت » هـذه الفتاة تحت قبو المقبرة •• مبارزة تنتهى بأن يسقط أحـدهما مضرجا بدمه ، ولاقدام المنتصر فى هذه المبارزة الدموية ــ ويدعى روميـو ــ على الانتحار بتجرع السم ، والسقوط جثة هامدة تحت قدمى التابوت بعد أن يتلوى جسمه كالثعبان من أثر السم الزعاف ••

وأخيرا استعراض ليقظة الفتاة بعد أن يتضح أنها لم تكن قد فارقت الحياة ، ولانتحارها هى الأخرى بمحاولتها رشف السم من شفتى المنتحر رقم « ١ » فاذا تبينت أن السم قـد تطاير من

الشفتين تطاير « الكحول » النقى الذى كنت تساعديننى أحيانا على تنظيف ربطات عنقى به ، عمدت الى خنجر حاد أغمــــدت نصله فى صدرها . فانفجر دم قلبها قانيا غزيرا • وسقطت تتاوى هى الأخرى على جسم روميــو ••

هذا هو الاستعراض الذى لجأ اليـــــه مخرج « رومبو وجولييت » وأحسن اختيار الاطار الذى قدمه لنا فيه وهو قبــو « جبــــانة » !

أؤكد لك أننى أيقنت بعد أن جمعت أعصابى المنزقة ، أن المثل العامى المصرى الذى يشير الى من يبحثون عن جنازة حارة يشبعون فيها لطما أقدم من شكسبير •• ولا أخفى عنك شعورا آخر هاجمنى اذ ذاك ، فقد « سقط » من نظرى النقاد المسرحيون الذين طالما هاجموا الفرق المسرحية التى دأبت على تقديم تمثيليات تســـيل دماء بعض أبطالها ، ويســـدل ســـتار بعض فصولها على منظر « ندابة » أو صراخ أم ثكلى ••

ماذا يقول أولئك النقاد الآن فى شـــكسبير أب الدراما الشعرية ، وهو يزهق ثلاث أرواح فى ثلاث دقائق ، ويستخدم فى هذه العملية كل وسائل القتل •• السيف والسم والخنجر •• ويوفر بذلك على نفسه مهمة حشر دور « ندابة » ايطـــالية أو انجليزية فى القصة ، ليقينه من أن أفراد الجمهور الذى سيشاهد مسرحياته ، سيتحولون جميعا الى « ندابات » أو « ندابين » كل

وفق الطريقة التي تلائم مزاجه وتتسق مع طباع قومه ، وعادات بني جنســه ؟!

ألم تفعلى أنت ذلك ؟ ألم تفكرى توا ، بعد خروجك من « جبانة » شكسبير ، فى مواجهتى بالتحدى والثورة بدعوى أن « روميو » قد ضحى بكل شيء فى سبيل « جولييت » بينما أنا لم أفعل ذلك من أجلك ؟ .

ولكن .. أحقا أن ما فعله روميو يعد تضحية نبيلة سامية من التضحيات التى يتخيلها العشاق فى لحظات التطهر ، والنقــاء من أجل المعشوقة ؟

جففى دموع عينيك ، أصمى أذنيك عن ســـماع آهات المكلومين الذين احتشدوا معك فى « الجبانة » حول توابيت الموتى ، تحررى من ذلك الجو المشبع بالصراخ والعويل ، ابعدى عن بقع الدم المسفوح ورائحة السم الزعاف ، وتعالى نتحاسب .

ماذا فعل روميو من أجل جولييت ؟ انها ابنة أمير من أمراء المدينة ، فاتنة كالحلم الوديع يتمنى رضاها أشرف الشبان وأثراهم، ويتهافت على طلبها أشجع الفرسان وأنبلهم أصــلا ، رآها فاعجب بها وتمنى أن ينالها .. ثم رفع القناع الذى كان يخفى به وجهه، وصوب اليها نظراته فى اغراء خادع ليوقع ذلك الملاك الطــاهر فى الفخ الذى نصبه .. ووقعت . أحبته الفتاة من النظرة الأولى

وبدأت سلسلة التضحيات من جانبها هى وحدها .. أتذكرين .. لقد تجرأت وتسللت من حفلة الرقص فى قصر أبيها وانزوت مع روميو فى ركن منعزل تمنحه شفتيها ليطبع عليهما قبلة .. كان جائعا فطلب المزيد .. ولم تستطع المسكينة أن ترفض فوهبته شفتيها مرة أخـــرى ..

أما هـــو فماذا فعل ؟

أساء الى سمعتها فلوثها .. ترك جمـــاعة من أصـــدقائه الصعاليك يتبعونه الى قصرها ، تجرأ على تســلق ســـور الحديقة على مرأى منهم ، لتنطلق ألسنتهم بعدئذ بنهش عرضها فى حوارى المدينة وأزقتها التى اعتادوا التسكع وانشاد الأغانى الشعبية فيها ، والتندر على كرام العقائل من ساكناتها .

واشتدت به الجرأة ، فأخذ يقفز كلص على درجات ســـلم القصر حتى وصل الى شرفتها ثم طفق يغريها بكلمات الحب والوله والهيام ، لم يفكر لحظة فى سمعة الفتاة التى أحبها ، وفى الخطر الذى عرضها له لو أن أمرها انكشف وهى تستقبل رجلا غريبا فى شرفة مخدعها تحت ظلام الليل ..

ولم يتغير طابعه الخبيث ، حتى فى هـــذا الموقف العاطفى النبيل ، تجرأ فى اليوم التالى على تسلق السلم الحريرى الـــذى جدلته هى خصيصا لكى يرتقيه هو الى مخدعها .. وقضى الليل

بين ذراعيها .. أغواها ، أغراها ، استغل طيشها الساذج ، لم يقل لها مثـلا كما قلت لك ـ يوم عرضت على فكرة القـدوم الى الطابق العلوى من منزل عمك بشارع المنيرة والتظاهر برغبتى فى استئجاره لكى أتمكن من التحدث اليك فى غفلة من الأهل : « أتظنين أن رغبتى الشديدة فى رؤيتك تعمينى عن الحرص على سمعتك ! ماذا يصيب هذه السمعة لو عرف فيما بعد أننا دبرنا هذه المقابلة معا ؟ »

ولم يثنها السيد روميو عن متابعة تضحياتها برفض الزواج من الرجل الذى اختاره والدها لها ، مع أنه كان يعلم علم اليقين أن العداء القديم المستحكم بين الأسرتين . أسرة روميو وأسرة جولييت يجعل زواج هذين العاشقين مستحيلا .. لم يفعل كمـا فعلت أنا عندما قلت لك وأنا أكاد أبكى :

ثقى أن اليوم الذى أدعك فيه تلطخين سمعتك من أجلى ، هو اليوم الذى يكون حبى لك قد انطفأ ، اننى اذا ظللت عزبا طول حياتى فان هذا لا يشيننى ، أما أنت .. فان ألسنة الناس لا ترحمك يا ســـميرة ، اذا أضربت عن الزواج من أجلى ، ان سيدات أسرتك سرعان ما يذعن عنك أنك « بائرة » لم تجدى رجلا يطلب يدك .. ورجال الأسرة لا يتورعون عن أن يتهامسوا عن خيبتك . وسوء اختيارك للرجل الذى أحببته .

قلت لك هذه الكلمات .. ما زلت أذكر .. ولكن روميو

لم يفعل ذلك ، بل قبل على رجولته أن يجعلها مضغة فى أفواه أهل المدينة .

أما اذا كان قد خيل اليك والى غيرك ممن احتشدوا مساء الجمعة الماضية فى « جبانة شكسبير » ان روميو قد ضحى بحياته من أجل جولييت ، فاننى أسارع فأذكر أنه كان قد قتل ابن عمها وهرب من وجه العدالة خشية الحكم بالاعدام . وظل القصاص يلاحقه ويهدده .

شعر أخيرا عندما رأى جثتها مسجاة فى قبو المقبرة أنه فقد كل شيء .. فقـد حقـه فى استمرار الاقامة فى مسقط رأسه لأن العدالة تطارده ، فقـد الفتاة التى ضحت بكل شيء فى سبيله ، فقد الأمل فى نصب « فخ » جديد فى بلدة أخرى لفتاة أخرى قد لا تكون لها سذاجة جولييت فانتحر .. واذا كان الانتحار للتخلص من حبل «المشنقة» بعد تضحية فان أكثر من تمثال يجب أن يقام فى ميدان أحمد ماهر بالقاهرة لذلك العدد الكبير من المتهمين فى الجنايات المختلفة الذين يغافلون الجنود الذين يحرسونهم ويلقون بأنفسهم من نوافذ النيـابة أو غرف المحكمة فى الطابق الثالث !

أصارحك بأننى لم أتعلم شيئا جديدا من فيلم « روميو وجولييت » اللهم الا ما تبينته للمرة الأولى من أن ايطاليا عريقة فى تخريج ذلك الطراز من الرجال الذين يعولون فى حياتهم على

كسب النساء .. وان اختلفت درجاتهم ، لأن روميو لم يكلف نفسه حتى مئونة شراء الحبل الحريرى الذى تسلق به شرفة مخدع جولييت وتركها هى تشترى خيوطه من مالها الخاص وتنسجه له لكى يقنع بتسلقه ! »

المعادى فى ٨ سبتمبر

سامى

— ٣ —

« سامى

ليكن .. فليس غريبا أن يقبل روميو كل تلك التضحيات من الفتاة التى أحبها دون أن يهبها شيئا .. انه ليس أول رجل نذل فعل ذلك ولن يكون الأخير .. »

جاردن سيتى فى ٩ سبتمبر

سميرة

— ٤ —

« سامى

ألم تضح لأجلى ؟ .. ألم تنصحنى أن أتزوج ؟ لقد قدرت هذه التضحية النبيلة ، ولهذا سأتزوج ..

لا أريد أن يقول الناس عنى بائرة ! راهبة ! عاشقة ! لعله لا يرضيك أن يطيل الناس ألسنتهم على الفتاة التى أحببتها ..

سأتزوج .. وأشكر لك تضحياتك من أجل صديقتك السابقة .»

سميرة

— ٥ —

من أخبار الصحف اليومية

زفاف مبارك

احتفل أمس بزفاف الآنسة العريقة سميرة حلمى كريمة المرحوم الدكتور حامد حلمى باشا الى الأستاذ عباس فاضل المهندس بمصلحة الموانى والمنائر فى حفلة فخمة جمعت عددا كبيرا من أفراد الأسرتين .

— ٦ —

« سميرة

أرأيت ؟ لقد كتبت لى فى بادىء الأمر ظنا منك أن هناك شيئا جديدا كان على أن أتعلمه من « روميو وجولييت » فلما أفهمتك أن شخصية روميو ليست بالشخصية المثالية التى يحسن بمثلى أن يتخذها نموذجا له اتضح لك — أنت لا أنا — أن هناك شيئا جديدا يجب أن تتعلميه من هذه القصة .. فتزوجت ..

هكذا يجب أن تفهم تضحيات العشاق فى مصر .. يا سيدتى ! »

سامى

الجارية

ولدت لأبوين تركيين ، فأمها زهيرة هانم ابنة المرحوم على بك خورشيد أحد كبار رؤساء الأقلام باحدى مصالح الحكومة، وأبوها الدكتور سامى حلمى الذى كان الى عهد قريب معارا لأحد الأقطار العربية .. جمع ثروة ضخمة من العمل هناك ولكنه أحفظ عليه بعض الرؤساء الانجليز لما كان يظهره لأولئك الرؤساء من غطرسة واعتزاز ، فظلوا يدسون له حتى حملوا حكومة ذلك القطر الشقيق على اعادته الى مصر .

كان اسمها نبيلة .. شقراء ذهبية الشعر .. وكانت مظاهر الثراء التى أحاطها بها والداها ، وهى وحيدتهما ، لا تدع مجالا للشك فى أن « نبيلة » ستبتسم لها الحياة وتقبل راضخة صاغرة ، فقد كان أول ما فعله أبوها عقب عودته الى مصر أن أمن على حياتها لدى احدى شركات التأمين الكبرى بمبلغ عشرين ألفا من الجنيهات .. وتعمد أن يجعل مدة التأمين خمسة عشر عاما لكى تتمكن « نبيلة » من قبض المبلغ الضخم وهى فى سن الزواج ، وعمدت والدتها زهيرة هانم الى بيع الحلى الكثيرة التى ورثتها عن والدتها حرم المرحوم على بك خورشيد واستبداله بنوع آخر من الطراز العصرى الحديث ، وذاع بين أفراد الأسرة أن زهيرة هانم قد أعدت تلك الثروة الذهبية والماسية لكى تقدمها هدية يوم زفاف نبيلة الى الزوج الذى كان اسمه لا يزال مجهولا فى ضمير الغيب ..

واعتادت زميلات نبيلة فى المدرسة أن تقع أبصارهن على السيارة الفخمة التى كانت تحملها طفلة الى المدرسة وقد جلس السائق الألبانى بثوبه الأزرق الداكن وأزراره النحاسية اللامعة والى جانبه عم أحمد . بواب بيت على خورشيد . الذى انتقل ــ بعد زواج زهيرة ــ الى بيت زوجها الدكتور سامى حلمى مع الحلى والماس والأثاث .

استقبلت نبيلة الحياة وقد أحاطتها كل هذه الظروف المترفة

المواتية •• لم تعبس يومها لأنها لم تطلب طلبا استعصى عـلى والديها اجابته ، ولم تيأس يوما لأنها لم تتذوق لذة التفكير فى أمل حتى تيأس ، كانت الآمال تبحث عنها لتوافيها ، حتى أثارت مرة سخرية زميلاتها « الخبيثات » عندما اتصل بهن من أمهاتهن أن نبيلة تقدم لخطبتها ـ قبل أن تتجاوز الرابعة عشرة ـ الدكتور عباس عبـد الرحيم الاخصائى الشاب المعروف فى جراحة العظام الذى كانت عيادته تدر عليه الأرباح الطـائلة طالبـا يدها من أبيها ، على أن يبقيها فى المدرسـة حتى يزفها اليه فى السن التى تروق له ••

مرة أخرى ثارت سخرية زميلات نبيلة ليلة احتفلت المدرسة بتوزيع الجوائز على الطالبات اللاتى أتممن الدراسة ، فقد حضرت نبيلة الى الحفلة وفى أصبعها تلمع قطعة من الماس ، قطعة كانت زهيرة هانم والدتها قد أبقتها من تراث والدتها فلم تفرط فيها وانما رفعت الاطار الذهبى الذى كان يحيط بها ، واستبدلت به اطارا من « البلاتين » • قطعة من الماس لم يكن من اللائق أن تتزين بها طفلة فى سن نبيلة •

سارت حياة نبيلة فى ذلك المجرى ••

وذات يوم ذهب عمها الأسـتاذ عثمان حلمى المحامى لزيارة أخيه فلما وقع بصره على نبيلة وهى تتهادى فى ثوب جديد صاح سـاخرا :

ـ أهلا وسهلا بالجارية ..

وجم سامى وزهيرة لهذا « اللقب » الجديد الذى أطلقه الأستاذ عثمان على نبيلة ، وتبادلا نظرة مستفسرة حيرى ، ثم وجها هذه النظرة الى الأستاذ عثمان الذى أجاب عليها بقوله :

ـ أطلقت عليها هذا الاسم منذ سمعتها تصف احدى زميلاتها بأنها « جارية » لمجرد أنها قمحية اللون ..

واقتربت نبيلة فى بطء من عمها الأستاذ عثمان حلمى فضمها الى صدره وغمر شعرها الذهبى الغزير بقبلاته ، رفعت رأسها الى عينيه وتمتمت :

ـ كيف أكون جارية يا عمى ولى هذا الشعر ؟

ـ جارية بيضاء ! ألم تكن جداتنا من الجوارى البيض .. الجميلات ؟

وتبادل سامى وزوجته وأخوه ضحكات طويلة مرحة ، وانسحبت نبيلة الى غرفتها لكى تقوم كعادتها باعداد دروس اليوم التالى وترتيب مجموعة ثيابها المعلقة فى دولابها الكبير .

وتكرر تردد الأستاذ عثمان حلمى المحامى على منزل شقيقه سامى بعد أن كانت زيارته له نادرة من قبل لقضايا بينهما كانت منظورة فى المحاكم بشأن تركة والدهما ، واعتاد الأستاذ عثمان أن ينادى نبيلة دائما باسم « الجارية » وأن يمزح معها ويثير

ثائرتها .. فتبكى تارة وتعمد الى ربطة عنقه تعبث بهـا تارة أخرى .

وانقضت أعوام .. شبت نبيلة ، نمـا جسمها ، ونضـج شبابها ، أصبحت زهرة فاتنة نضرة فى الحفلات التى كانت تتردد عليها ، ذاع عنها أنها نموذج رائع للأناقة فى اختيار ثيابها .. وتنسيق شعرها ، وكان عطرها يعلن عنها قبل أن تقبل ..

كما أخذت هذه الحفلات تتحدث عن نبيلة سامى ، وعرف شبان الأسر الكبيرة تنقلاتها بين مسارح القاهرة ودورها السينمية وسهرات جمعياتها الخيرية فى مختلف ملاهيها .

لم تعد ترى نبيلة فى مسرح أو دار سينما الا وهالة من أولئك الشبان تحيط بها وترنو اليها والى جانبها والدها ووالدتها أو أحدهما ، فاذا أضيئت أنوار القـاعة فى فترات الاستراحة تحركت مقاعد المقاصير القريبة حركة خفيفة لكى يتمكن الجالسون عليها من التمتع برؤية قسماتها النضرة المرسومة رسـما معبرا دقيقا وثوبها الأنيق .. وقطعة الماس التى تبهر فى خاتمها أو قرطها .

وحار الشبان الذين كانوا يتبعون نبيلة بين سهرات المسارح ودور السينما .. أخذوا يتساءلون عن الاعراض العجيب الذى كانوا يلقونه منها ، كانت تبخل حتى بابتسامة على أى منهم . كانت لا تكلف نفسها عناء لفتة الى سيارة معجب يتبعها بسيارته وهى عائدة الى منزلها بعد قضاء السهرة .

بذل أولئك الشبان جهــودا جبارة للوصول الى سر ذلك الاعــراض ..

واستعان عدلى كمال ضابط الشرطة باحدى نقط ضواحى القاهرة الذى كان يشترك فى استقصاء أخبار نبيلة ، مع بعض اخوانه من شباب الأسر الثرية ، بشــقيقته وقريباته ممن كن يزاملن نبيلة فى المدرسة ولكن هذه المحاولة لم تلق نجاحا هى الأخرى .. اتضح أن نبيلة انقطعت صلتها بزميلاتها منذ غادرت المدرســة .

كانت ذكرى تقدم الدكتور عباس عبد الرحيم الأخصــائى فى جراحة العظام لخطبتها قـــد اتصلت بهـم من بعض أولئك الزميلات ، كما اتصل بهم أن الدكتور عباس لم يتزوج بعد لأنه ما يزال كبير الأمل فى الفوز بيد نبيلة ..

وفى صباح أحد الأيام فوجىء عدلى وهو جالس الى مكتبه ببلاغ يفيد بأن سيارة الدكتور سامى حلمى وجــدت محطمة واتضح أن التى كانت تقــودها هى ابنته نبيلة ، وأنهــا اصطدمت صدمة عنيفة بقضبان أحد الكبارى المقامة على النيــل فى الفجر على أثر محاولة نبيلة تفــادى عربة كانت تحمل خضرا من امبابة الى أسواق القاهرة ، وقد فارقت الفتاة الحياة بعد أن تهشمت عظامها من عنف الصدمة .

وبدأ التحقيق ، بدأه المحقق الشاب الذى طالما تتبع القتيلة

بسيارته دون أن يفوز منها حتى بابتسامة فاترة أو لفتة متكلفة ، فلما انتقل لمعاينة الحادث ووقع بصره على جثة نبيلة أشاح بوجهه، لم يطق النظر الى جسدها المشوه ، وعظامها المتفتتة وأشـلائها المتنـاثرة .

وعثر فى حقيبتها على رسالة صغيرة .. ذهل عندما انتهى من قراءتها . فقد كانت مرسلة من زميل له فى الدراسة الثانوية هو عبد السلام ابراهيم الذى التحق بوظيفة تافهة فى احـدى الشركات المصرية فظل خامل الذكر ، لم يكن قط من الطلبـة الظاهرين ، ومنذ تخرج عبد السلام من كلية التجارة ، لم يره أحد من زملائه فى محفل عام أو فى سهرة من سهرات القـاهرة التى كان زملاؤه يترددون عليها .. انقضت سـنوات دون أن يسمع عنه أحد من زملائه ، ودون أن يرد ذكره فيما كانوا يرددونه من أخبار مغامراتهم التى كانت تضم شبان الأسر الثرية .. الى أن عثر على خطابه فى حقيبة « نبيلة » فاذا به يقول لها :

« عزيزتى نبيـلة ..

كررت لك أكثر من مرة أننى لا أصلح زوجا لك .. لأننى أعتقد أن زواجنا لن يكون موفقا .. فقد اعتدت أن أحيا حياة عابثة مضطربة ، لا تتفق وهذه السهرات الأنيقة التى ترددين عليها والتى أعلم أنك تكونين فيها محط أنظار من هم أغنى منى وأكثر أناقة وأشد اغراء وفتنة . مازلت أجوب أنحاء القاهرة

على قدمى ، أو فى عربات الترام وسيارات الركوب الجماعى بالأجرة ، بينما أنت تقودين سيارتك أو يقودها لك ذلك السائق الألبانى الانيق ..

هكذا ولدت وهكذا سأموت ، أما أنت فتستطيعين ان تجدى فى كل لحظة الزوج الذى تتمناه فتيات القاهرة فلا يفزن به ، اننى أعلم أن الدكتور عباس عبد الرحيم ما زال يتمنى اليوم الذى تتنازلين فيه بقبوله ..

ثم .. أننى لا أصلح زوجا لك لأننى لا أقبل أن يثير زواجى منك دهشة الناس ، أنا واثق من أن زملائى واخوانى سيتساءلون لو تزوجنا : « بم يمتاز حتى تزوجته ؟ » وسيتهموننى بأننى غررت بك طمعا فى مالك ، وأنا أدفع دمى ثمنا لتحاشى هذا التساؤل ..

.. انك لا ترضين لى ذلك فيما أعتقد ، سيرى فى طريقك ودعينى أنا أسير أيضا فى طريقى .. سأعود من الليلة الى الحياة التى توافقنى ، لا تحاولى اقناعى بالعدول عن هذا العزم .. والوداع »

وقد اتضح من التحقيق أن نبيلة بعد أن تلقت هذا الخطاب فى المساء انتظرت الى أن نام والدها وهبطت الى « الجاراج » فأخرجت السيارة وقادتها بنفسها ، أخذت تمر على الأماكن التى كانت تعرف أن عبد السلام اعتاد التردد عليها .. حتى عثرت

عليه فى عائمته الخشبية الصغيرة التى كان يقطنها بجانب كوبرى الزمالك .. اندفعت الى داخل العائمة دون أن تعبأ باعتراض « البحار » الذى كان يتولى حراستها . فوجدت عبد السلام ثملا . والى جانبه امرأة .. بدا من مظهرها ــ كما شهد البحار ــ أنها راقصة من راقصات الملاهى الشعبية . كما شهد هذا البحار أنه سمع صوت شجار داخل العائمة :

ــ من هذه التى معك ؟

ــ انها .. انها خادمتى .

ــ اطردها .

ــ ماذا جنت حتى أطردها ؟

وارتفع صوت الشجار وخيل للبحار أن عبد السلام كان يدفع نبيلة دفعا الى خارج العائمة بينما كانت نبيلة تتشبث به .

ولما أغلق عبد السلام باب العائمة كانت نبيلة تترنح على السلم الخشبى .. شخصت الى الباب المغلق كأنها تفكر فى اقتحامه مرة أخرى ولكنها رأت البحار كما لمحت شرطى «الداورية» الذى أقبل من بعيد . فهزت رأسها عدة مرات فى حسرة أليمة ثم أدارت ظهرها وركبت سيارتها وهى تحاول التظاهر بالجلد .. وكانت الفاجعة بعد ذلك بثوان معدودة .

ولما توجه الدكتور سامى حلمى الى «نقطة الشرطة» لحضور

التحقيق صحبه شقيقه الأستاذ عثمان حلمى فلاحظ المحقق الشاب أن الوالد المنكوب كان ينحنى على أذن شقيقه فى فترات متقطعة ويهمس فى نبرة ذاهلة :

ــ ماتت « الجارية » يا عثمان •• ماتت ••

ولما خارت قوى سامى حملوه الى الخارج ، وجاء ذكر الخطاب الذى وجد فى حقيبة نبيلة فأثبته المحقق فى محضره ، ثم التفت الى الأستاذ عثمان وسأله :

ــ من هى هذه الجارية التى كان يشير اليها الدكتور سامى؟

فهز المحامى العم رأسه ، خطر له أنه يستطيع أن يختلق قصة لا أصل لها ، فأجاب وهو يحاول اخفاء خجله :

ــ ان القتيلة لم تكن بنت أخى وانما هى ابنة جارية ، جارية كانت تخدمه وهو يعمل فى خارج مصر ••

ولما أقيمت ليالى المأتم قررت زهيرة هجر المنزل الذى شبت فيه نبيلة وشهد شبابها •• وعندما أخذ الخدم فى نقل الأثاث شوهد عم أحمد بواب المنزل العجوز محمولا على احدى الأرائك الخشبية وقد أغمى عليه كأنه قطعة من ذلك الأثاث الذى قضى عليه بالنقل بعد أن ظل فى مكانه خمسة وعشرين عاما •• عمر نبيلة ••

أما الأستاذ عبد السلام ابراهيم الموظف الخامل باحدى

الشركات الناشئة فقد أصبح حديث الناس فى الأوساط التى كانت نبيلة قد اعتادت التردد عليها ، حديثا امتزج فيه السخط بالرغبة فى الاهتداء الى سر استئثاره بقلب نبيلة ..

حتى الفتيات ، اللاتى اتصلت بهن تفصيلات الفاجعة الرهيبة، واللاتى طالما تناقلن التعليقات الحاسدة عن ثيابها ، وحليها ، وتنسيق شعرها ، وعطرها ، كن لا يسمعن بخبر وجود عبد السلام فى مكان عام حتى يثير اهتمامهن . ويشد أبصارهن اليه ..

كان هناك اجماع على أنه قسا على نبيلة قسوة متوحشة .. قسوة كانت السبب فى قتلها .. ولكنه أصبح محط فضول الفتيات وحسد الشبان الذين خابت جهودهم فى سبيل الفوز من نبيلة بابتسامة أو لفتة .

ونسيت سهرات القاهرة نبيلة بعد أن ووريت مقابر « المجاورين » ، وبدأت تروى أساطير عن نجم جديد .. عبد السلام ابراهيم ..

وحي.. "رخيص"

وحى ... « رخيص »

لم يكن منير يوم عرفته « عديلة » جديرا بحب امرأة حبا يجتاح حياتها ، فقد كان اذ ذاك شابا يتقدم الى الثلاثين يحب عمله الى حد الجنون .. ويفضله على أجمل امرأة فى الوجود ، وكان هذا العمل بطبيعته يجذب اليه أنظار الناس . فلم تكن تنقضى فترة حتى يظهر منير بكتاب جديد يضم طائفة من شعره ، يصور به آلام القلوب وشقاء الأرواح ، وكان بدء علاقته بعديلة شاعريا هو الآخر ، فقد تحدثت اليه ذات مساء عقب صدور كتاب لـه وصارحته برأيها فيه .. كان الكتاب يصف حياة زوجة شقية ،

وكانت عديلة قد تزوجت قبل ذلك بعشرة أعوام من مهندس شاب ورزقت منه بطفل ، ولكنها لم تذق خلال الأعوام العشرة طعما للســعادة .

قالت له :

ـ شعرت عندما انتهيت من قراءة ما كتبت أنك تعرف دقائق حياتى ، هل روى لك أحد شيئا عنى ؟

ـ كلا .. لم أسمع باسمك الا الآن ..

ـ ولكنك رأيتنى ذات يوم ..

ـ أين ؟ ..

ـ فى مصعد العمارة التى أسكنها .. بضع ثوان قضيناها معا فى ذلك المصعد ، ومع ذلك أحسست عندما دخلت الى بيتى بعد ذلك أنك عرفت كل شىء عنى .. لم تكثر من ذكر اللون الأزرق فى قصصك ؟ انك تعرف ولا شك أننى أحب هـــذا اللون ، وأننى اخترته لطلاء غرفتى ..

وراق للشاعر الشاب يومئذ أن يجارى محدثته فى ذلك الاتجاه فقــال :

ـ انك تحدثيننى تليفونيا اليوم للمرة الأولى ، ولكننى أحس أننا تعارفنا منذ زمن طويل .. هل أستطيع أن أراك ؟

ـــ لمـــاذا ؟

ـــ لست أدرى .. ولكننى فجأة تبينت أننى مسئول عن بعض شـــــقائك ..

ـــ ماذا فعلت لكى تشقينى ؟

ـــ لم أفعل شيئا لكى أســعدك .

ـــ أتســـتطيع ؟

ـــ أعتقـــــد ..

واتفقا على اللقاء فى اليوم التالى .. اعتزم منير أن يضفى على اللقاء الأول لونا عاطفيا خياليا .. لم يخطر له ذلك اعتباطا، بل فكر فيه وقرره لتحقيق غرض معين .. لقد فهم من عديلة أنها تزوجت زواجا مبكرا ، وأنها عاشت عشرة أعوام سجينة حياة زوجية راكدة ، مملة ، متشابهة ، لا يثيرها حب زوج، ولا تلهبها متعة مثيرة ، فرأى أن ينقلها من تلك الحياة الى النقيض .. كان له صديق عجوز ضابط كندى متقاعد ، أقام منزلا على هضـــبة مرتفعة خلف الفندق الرابض عند سفح الأهرام ، فى أول طريق القاهرة ـــ الاسكندرية الصحراوى بعيدا عن الناس ، فاتصـــل به وأخبره بأنه قادم لزيارته مساء ذلك اليوم ، وذهب للقياها عند محطة « المترو » أمام كوبرى الليمون كما اتفقا ، خجل أن يسألها عن لون الثوب الذى سترتديه ، لأنه سبق أن قال لها انهما تعارفا

منذ زمن طويل ، فلما هبطت من « المترو » اتجهت مسرعة الى سيارته ، لم يلحظ ، أول الأمر ، فى قسمات وجهها جمالا آسرا ولا فى قامتها طيفا مثيرا ولا فى هندامها أصالة بهيرة ، ولكنه خطر له أن يستمر فى « مناورته » حتى النهاية ، وقاد سيارته الى طريق الهـــــرم فسألته :

ـــ الى أين ؟

ـــ لا أدرى ..

ـــ كيف ؟ ..

ـــ أود أن أهرب بك من النـــاس ..

وظلت السيارة سائرة .. وطال سيرها ، فعادت تسأله :

ـــ ابتعـــدنا كثيرا ..

ـــ لا تخافى .. ألم أقل لك اننى مســئول عنك ..

ـــ واذا تعطلت الســـيارة ؟

ـــ سنجد طعاما ، وماء ، أنت تطهين الطعام وأنا أحضر لك المـــاء ..

ـــ وبيتى ؟

فقطب جبينه وتمتم هامسا :

ـــ لا تذكرينى بأن لك عودة الى غيرى ..

وقضيا مساء ذلك اليوم فى ذلك البيت الصحراوى العجيب .. ولما غربت الشمس سارا جنبا الى جنب وسط الصحراء وقد تأبط ذراعها ، وبعد صمت طويل قال لها :

ـ اننى شرير ..

ـ لماذا ؟

ـ لأننى تمنيت الآن أن تمرضى فأعنى بك هنا .. وحدى .

ـ هل حضرت مع امرأة أخرى الى هذا المكان ؟

ـ أبدا ..

ـ ولن تحضر مع أخرى ؟

ـ أعدك ..

ولما عاد منير الى منزله ليلتئذ كان ضميره متعبا ، فقد كذب على عديلة عدة مرات .. لم يكن معقولا أن يحس بأنه عرفها قبل أن يراها بزمن طويل .. ولم يتمن قط أن يهجر العالم من أجلها .. وليس صحيحا أنه لم يستدرج غيرها الى ذلك المكان ..

وانقضى عامان آخران .. لم يتقابلا .. وان كررت عديلة أثناءها السؤال عنه فى كل مناسبة .. كانت تشعر بأنه لا يمكن أن يكون لها وحدها ، وظروفها ـ كزوجة وأم ـ لا تمكنها من أن تراه الا بصعوبة شديدة ، ولذلك فضلت أن تتحدث اليه وأن تطمئن عليه ، وأن تغالب العاطفة التى بدأت تسيطر عليها .

أما منير فكان الكفاح نحو المجد يجـرفه بعيـدا عن كل شيء .. كان يلهو كما يلهو شاب عزب في الثلاثين من عمره ..

وتحدثت اليه عديلة ذات يوم فعلم أنها تستطيع أن تحضر لرؤيته .. عندئذ فكر في المكان الذي سيذهبان اليـه معـا ، واعتزم اتمام « المناورة » التي بدأها قبل ذلك ، فحملها الى مقهى ريفي يقع في طريق المرج ، مقهى هادىء يحيطه سور أخضر مرتفع تختفي مقاعده تحت الكرم المتدلي وتنطلق في فنائه جمـاعات من الدجاج يعنى صاحب المقهى بتربيتها ..

ـ لماذا أحضرتني الى هذا المكان ؟

ـ أعلم أنك سعيدة بالمجيء اليـه ..

ـ أجـل ولـكن ..

ـ ولكن لماذا تريدين الهروب من هذه السعادة ؟

ـ لا تغضب يا منير .. انني زوجة وأخشى أن أزل ــ وعاد ضمير الشاعر يثقل عليه .. أطال التفكير ثم رفع بصره الى عيني عديلة ، كانتا تومضان ببريق مخيف .. كان يبدو في نظراتهما أثر الاجهاد العنيف والمقاومة الطويلة العنيدة .. وكانت شفتاها الغليظتان ترتعشان رعشات خفيفة . رعشـات امرأة تجاوزت الثلاثين ولم تذق بعد طعم الحب .. كاد منير يسمع صراخا يدوي

فى جوف تلك المرأة ، ثم لم يكد يصل الى تلك الشفتين حتى انكتــم ..

ومدت ذراعيها فعانقته ..

ولما قبلها شعر بأنها تريد بتلك القبلة أن تقتل كلمات كادت تتفــوه بهــا على الرغــم منهــا ..

ثم انقضى عامان آخران .. لم يتقابلا ، ولكن عديلة كانت تعرف أخبار منير مما ينشر عنه ، وما كانت تسمعه ، كان لا يزال يتابع حياة العبث التى لا زمام لها .. كان يرى أن تعدد مغامراته هو الغذاء الوحيد لوحيه ..

وكاد منير ينسى عديلة بين كأس مع امرأة ، ونزهة فى السيارة مع أخرى ، ورقصة مع ثالثة ... الى أن فوجىء ذات يوم بخبر طلاقها ، فأسرع للمرة الأولى ــ منذ عرفها ــ يطلبها ويتقدم بواجب المواســـاة

تجددت العلاقة بين الاثنين ، أتاحت الحرية الطارئة لعديلة أن تتوالى اللقاءات ، قضيا ساعات من الحب العنيف فى منــزل هادىء اشتراه منير فى طريق حلوان .. وتبين الشاعر الشـــاب انه لم يكن يلهو مع تلك المرأة وانما كان يحب .. أصبحت جزءا من كيانه لا يستطيع التخلى عنه .. كان يسخر فيما مضى من الحياة المستقرة الى جانب امرأة واحدة ، ولكنه الآن أصبح يشمئز

من التنقل الذى يلوث روحه وشعره ، كوب من الماء « المعين » تحضره عديلة بنفسها من « طلمبة » الحديقة أشهى من أى شراب فى أفخم فنادق القاهرة .. دقائق يقضيها ملقيا رأسه على صدرها تمسح عناء عمل أرهقه طيلة النهار .. قبلة تطبعها على فمه تبعث فيه الاعتزاز بالنفس والثقة فى المستقبل ..

ولكن عديلة ــ التى كانت تعدو مسرعة الى الأربعين ــ تبينت شيئا آخر .. انها أحبت ذلك الشاعر منذ ستة أعوام لأنه أحاطها بذلك اللون الساحر من الحياة العاطفية المتجردة من ماديات الناس البعيدة عن ضجة العالم .. كان ابنها طفلا صغيرا ، وكانت هى زوجة لرجل، لرجل فى المنزل، أما الآن فقد كبر الطفل واكتمل شبابه وتكرر الهمس بين الأقارب عن عروسه المنشودة .. كما أن حياتها خلت من رجل يملأ فراغ المنزل . هذا الفراغ لا يليق أن تملأه برجل بعد أن يتزوج ابنها !

وبدأ سباق رهيب .. أحست عديلة أنها يجب أن تسرع بالزواج قبل ابنهـا ..

وأحس منير بأن شيئا قد تغير .. أن ستارا يفصل بينه وبين عديلة .. وراق له ذات يوم صيف فى الاسكندرية ، أن يطيل النظر الى عينيها فسألته :

ــ ما الذى يلفت نظرك فى عينى ؟ ــ فمر بأصبعه فى رفق على جبينها ثم قبلها ...

وعادت مرة أخرى تسأله بعد أن لامها لأنها لم تحضر فى موعد حدداه من قبل :

ــ أتريدنى الى جانبك نهارا وليلا ؟

ــ أجــل ..

ــ خـــذنى اذن ..

كان يشعر فى أعماق روحه بأنها له وحده وبأنه لن يكون لغيرها .. أما هى .. أما الأم التى ترى ابنها شابا فى سن الزواج .. فقد كانت تصارع الزمن صراعا جبارا .. كانت ترتعد من فكرة الزواج بعد أن يفوت الوقت وتصبح حماة وجدة .، كانت تتوقع منه أن ينهض مسرعا وأن يحضر « المأذون » وأن ينتهى كل شىء فى دقائق .. فلم يفعل .. لم يفعل لأنه كان مطمئنا الى المستقبل الباسم .

أما هى فقد تحول حبها القديم الى شىء آخر . الى رغبة فى الثأر .. الثأر من كل شىء حتى من نفسها . وملأت خيالها فكرة حاسمة .. ان الحياة وهى مقبلة على الأربعين ليست ســـاعات تقضيها فى المنزل النائى وسط الصحراء خلف الفندق العتيـــد تستمع الى غناء البدو .. أو فى المقهى الريفى بطـــريق المرج تشاهد جماعات الدجاج .. أو فى منزل منير بطريق حلوان تخرج الماء من « طلمبة » الحديقة .. انها شىء آخر ..

وانقطعت عديلة .. تكرر اعتذارها بأسباب عديدة لم يشك منير في صحتها ، كان لا يزال يحبها ويؤمن بأنها أطهر امـــرأة عرفها .. ألم تف له ستة أعوام طويلة ؟ ألم تحضر له طائعة كلما طلبها ؟

وبدأ منير يكتب قصة غرامه بعديلة .. الغرام الذى بدأ بحديث تليفونى فى صيف ذات عام .. كان فيما سبق يكتب شعرا عن الحب دون أن يحب ، أما هذه المرة فقد خيل اليــه فى أول الأمر أنه يلهو ويخدع ويعيش فى مغامرة طائشة ، ثم تبين له أنه عاشق وأن عديلة وحيه الأول ، فأطلق على قصـــته الجديدة اســـم « وحى » ..

وتعب من الكتابة ذات مساء فغادر المســـكن الذى كـــان يقضى فيه اجازة الصيف بالاســـــكندرية ليكون على مقربة من عديلة ، وسار على قدميه بجانب الشاطىء .. كان الظلام حالكا .. حتى الأنوار الخافتة التى كانت تومض من بعيد فى قوارب الصيد المتأرجحة على قمم الأمواج اختفت .. كان يفكر فى عديلة .. وفجأة مزق السكون صوت سيارة مزت مسرعة من طــريق « الكورنيش » الى جانبه ودخلت فى احدى الطرقات الصاعدة من ذلك الطريق وارتفعت ضحكة امرأة يعرفها ، انها هى .. هى نفسها عديلة .. هبطت من السيارة تتأبط ذراع شاب وتقدمت معه الى أحد الفنادق العديدة المطلة على البحر ..

وعلم فى اليوم التالى أن عديلة قد أرهفت السمع أثناء غيبته الى كل من يعد بالزواج .. الزواج السريع .. قبل أن تتزايد الشعرات البيض .. وتتجمع التجعدات تحت العينين .، وقيل أن تتعدد مغامرات ابنها مع فتيات الشاطىء ، فتكرر خروجها .. وكانت كلما تبينت بطء الوفاء بالوعد هجرت وعمدت الى محاولة أخرى ..

وعاد منير يتصفح قصته .. انها لم تعد تصلح للنشر ، فقد بدأها برسم لشخصية عديلة رفعها فيه الى مرتبة القديسات .. فلما هوت أمامه اكتفى بأن أضاف كلمة أخرى الى عنوانها وأغلق عليها درج مكتبه .

أصبح هذا العنوان : وحى رخيص !

العودة إلى سيدي بشر

العودة الى سيدى بشر

ثلاثة أعوام انقضت على فراقهما .. حاول أثناءها بكل ما في طاقته أن ينساها وأن يتغافل عن كل ما يذكره بها .. حتى خيل اليه أنه قد نسيها ، الى أن سافر فى الأسبوع الماضى الى الاسكندرية فوجد نفسه يتجه فى حركة آلية الى «سبورتنج» ، راعه أن سيارته وقفت أمام ذلك المبنى الكبير الذى اعتادت أسرتها أن تقطن احدى شققه المطلة على البحر .. وقف برهة ثم تابع سيره الى « سيدى بشر » .

كان الليل قد بدأ يغمر شاطىء الاسكندرية بظلامه ، وكان

الطريق الطويل المطل على البحر شبه خال ومع ذلك فانه لم يشعر بشيء من السأم ، خيل اليه وهو يتجه مسرعا الى « سيدى بشر » أنها الى جانبه ! ..

لم يكن قد سافر الى الاسكندرية بعد أن افترقا ، فقد اضطره العمل المتواصل من أجل انجاز عدد من اللوحات الزيتية لأحد معارض الصور الدولية الى البقاء فى القاهرة طول تلك المدة ، ولذا لم يصدق قط أنه اجتاز « الكورنيش » ومر بمنزلها .. ووقف على بعد منه وأطلق صوت « بوق » السيارة الأجش الذى طالما سخرت منه قائلة :

ـ ان صوت هذا البوق كصوتك عندما يركبك شيطانك فتثور وتصخب دون أن تدرى ما تقول .. الا أننى لا أكرهه.. يخيل الى أنه يريحك كلما عن لك أن تثور وتصخب !

لم يصدق أنه فعل ذلك دون أن تهبط للقياه، ومع ذلك فلابد أن تكون قد عادت الى البيت وأنها سمعت ذلك البوق . لا يمكن أن تبقى خارج بيتها الى ما بعد الساعة العاشرة مساء ..

ووقف مرة أخرى أمام ذلك الباب الصغير من أبواب سور الشاطىء عند « سيدى بشر » الذى يهبط منه درج صغير الى تلك الصخرة التى اكتشفها فى سفح الشاطىء ، والتى اعتادا أن يلتقيا عندها كلما أرادا ..

وغادر السيارة بعد قليل .. انتظر الوقت الكافى لكى تقفز من جانبها الآخر وتلحق به .. انتظر عبثا .. فقد تبين أنها لم تكن الى جانبه ، زاد احساسه بغيابها أن الهواء كان يصفر صفيرا مخيفا فى ذلك المكان من الشاطىء المظلم .

وتلفت حوله يتفقدها ووجد نفسه ينادى :

ــ ريرى !

ولكن أحدا لم يجب ، أخذ العرق يتصبب منه فشعر بخوف .. خوف من هواء البحر البارد الذى كان يلفح صدره العارى المتصبب عرقا . فافتقدها . أحس حتى أعماقه بغيابها فقد اعتاد فى هذا المكان أن يجد أناملها تمتد فى حنان الى صدره تضم عليه أطراف سترته ، والى احدى الصحف التى يحملها عادة فتضعها على صدره وهى تتمتم :

ــ الى متى تظل كطفل صغير فى حاجة الى من يرعاه ؟ كيف تعرض صدرك للهواء وأنت تتصبب عرقا ؟

وصاح مرة أخرى يناديها .. ورفع يده يتحسس بها جبينه . الذى ما زال يتصبب عرقا .. باردا ..

واشتد خوفه من أن يتحقق ما كانت تنذره به ، فهبط الدرج الى سفح الشاطىء لكى يحتمى به من الهواء العنيف الذى كان صفيره قد تحول الى شىء أشبه بزئير مخيف .

واستقرت جلسته على صخرتها .. الصخرة التى طالما تحدثت اليه عنها فى رسائلها كلما غادر الاسكندرية وعاد الى القاهرة.. وصح ما توقعه فقد كانت الفجوة الواسعة التى فى ظهر الصخرة تحميه من ذلك الهواء المخيف الذى كان يطارده وهو فى أعلى الطريق المكشوف .

وانقضت ساعات وهو فى وحـدته ...

كان يسمع أصوات السيارات وهى تمر فوق رأسه مجتازة « الكورنيش » فى رحلاتها الغرامية الليلية ، تحمل الكثيرات ممن يندفعن الى مغامرات الصيف . مخدوعات . أو متورطات

شـعر ليلتئذ وهو قابع فى الظلام على تلك الصـخرة بالفارق بينهن جميعا وبينها « هى » .. الفارق الهائل الذى لم يكن قد تبين من قبل مداه ..

لم يخطر له مـع ذلك أنهـا بعيـدة عنـه .. انها هناك .. فى ذلك العالم الذى يموج بآلاف الفتيات فى دور السينما أو قاعات الشاى أو الفنادق أو السيارات التى تجتاز «الكورنيش» أو تدلف الى ضاحية منعزلة من ضواحى الاسكندرية ، لم يمـر هذا الخاطر بخياله .. كان لا يزال يحس .. انها الى جانبه أو على الأقل قريبة منه .

وسرح الطرف الى الأمواج التى كانت تتكسر تحت قدميه ، نفس الأمواج التى طالما تكسرت تحت أقدامهما ـ هو وهى ـ لم تتغير قط ، وفية للصخرة أكثر من وفائهما لها .. تغسلها فى رفق ، تحمل اليهـا العشب الأخضر ثم تتركه باقات تحتهـا وتولى ، خريرها يحكى لها أثناء الليل فى وحدتها أقصوصة حنونا كأقاصيص الأطفال التى ترتل على آذانهم الصغيرة قبل النـوم فى ليالى الشتاء .

وامتد بصره الى بعيـد .. الى تلك الأنوار الضئيلة المتناثرة التى كانت تبدو من قوارب الصيد الصغيرة المتأرجحة على قمم أمواج البحـر ..

أى شعور غمره اذ ذاك !

صاح مرة أخرى وهو ينهض ويلوح بيـده :

ـ ريرى .. ريرى ..

خيل اليه أنه عثر عليها .. هناك فى أحد تلك القوارب التى فضل أصحابها أن يبتعدوا بها عن المدينة ومن فيها ، واشتد ذلك الاحساس فى صدره عندما تذكر كلماتها التى همست بها ذات ليلة أثناء جلسة على الرمل فى طريق الفيوم عندما أزف وقت العودة الى القاهرة .

« لا أود العودة •• كم أحب أن أبقى هنا ، بعيدة عن الناس •• أقيم لى عشا يضمنا ، وماعــزة نحلب لبنها ، وكلبا يحرسنى وينبح كلما رآك قادما من بعيد •• لا تتهمنى بالجنون •• لا أود أن أعيش الحيـــاة التى يتمنى غيرى أن يعشـــنها فى الحفلات الساهرة ، يخطرن أمام الناس فى ثياب أنيقة جديدة نصف عارية ، لأننى لا أريد أن يرى رجل غيرك شيئا من جسمى، لا أود أن أشم عطرا صناعيا مما تشتهيه نساء المدن ، لأننى أريد أن أشم رائحة العطر الذى يفوح من ثيابك وكتبك وصورك ، طالما تخيلت حياة البدويات اللاتى يتبعن رجالهن مسافات طويلة فى جوف الصحراء ، لا تهديهن الا الرائحة التى تفوح من أجسام أولئك الرجال ، وطالما تمنيت أن أعيش حياتهن » •

مرت هذه الكلمات بذاكرته •• هل نفذت ذلك العزم ؟ أيمكن أن تكون قد أبت أن تعيش حياة الصحراء ما داما قــد افترقا ففضلت حياة البحر مع صيادى السمك ، تطهى طعامهم وتهيىء شباكهم ، وترتق ثيابهم ، وتشاركهم ذلك العمل الفطرى؛ فتخرج اذا ما خيم الظلام الى عرض البحر ، تبحث معهم عن الرزق الغامض المجهــول !

وخيل اليه أنه يبكى •

هاجمته كل ذكريات غرامهما ••

ووقف طويلا أمام ذكرى اليوم الأول .. الذكرى التى طالما سعدا باستعراضها ليثبتا أن القدر كان ينسق لقاءهما الأول ..

يوم هبط فى الساعة الثالثة من بعد ظهر أحد أيام شهر سبتمبر منذ بضعة أعوام الى شاطىء « ستانلى » الذى كان خاليا اذ ذاك بعد أن غادره المستحمون ، لم يكد يصل الى الدرجة الأخيرة من السلم حتى لمحها فى ثوب رياضى أبيض من ثياب الشاطىء واقفة الى جانب احدى قريباتها ، لم يكن يعرف ما الذى ساقه الى هناك يومئذ ولكنه كان يدير بصره كأنه يبحث عن .. عن شخص ما ! سمعها تردد اسمه فى صوت عال لقريبتها ، .. لم تكن أول مرة سمع فيها اسمه تهمس به الأفواه ، طالما سمعه فى بعض دور السينما أو أثناء سيره فى الطريق أو تردده على بعض المكتبات ، كانت صوره التى تكرر نشرها للمناسبات المختلفة التى كانت تعرض فيها لوحاته تتيح للكثيرين معرفته وتدل عليه ، ولكنه يومئذ شعر بزهو خاص لأنه أيقن بأن « القدر » هو الذى ساقه فى تلك الساعة الى ذلك المكان ليلقاها .. ليلقى الفتاة التى كان يحب أن يلقاها يوما ما ، والتى كان مفروضا أن يعدو خلفها وسط آلاف الفتيات الأخريات .. وسط الموكب البشرى الحاشد .. وألا ييأس مهما تجنت ، وجفت ، وتدللت ، لأنه كان يحس أنها هى وحدها التى تقوده الى المجد ، فتحقق كل ما كان يرجو .. عرفته هى من قبل أن يعرفها ، بل نطقت باسمه فى لهفة :

عام •• عام بأكمله انقضى على آخر لقــاء ••

وتذكــر ••

تذكر يوم تحدثت اليه فى التليفون ، ورجته فى صــوت خافت أن يستمع الى الاذاعة فى المســاء ، فلما اعتذر بأن لديه عملا هاما قد يعوقه ألحت فسألها :

ـ ولم هذا الالحــاح ؟

فأجــابت :

ـ ستستمع الى قطعة موسيقية بديعة أحب أن نسمعها معا ••

وأراد أن يعارضها ليلتئذ فعاد يسأل :

ـ ما هى هذه القطعة ؟ ـ وعنــدئذ أجابته :

ـ لا أستطيع أن أطيل الحديث الآن فأنا أتحـــدث من الصيدلية التى بجوار المنزل لأن الأسرة مجتمعة حول التليفون •• عدنى بأنك ستستمع الى موسيقى الاذاعة هذا المساء ••

ولما استمع الى الاذاعة ليلتئذ كانت قطعة مطلعها :

« وقفنا نذكر العهد وأيام الوصال »

وتذكر ••

تذكر يوم نفد الزيت من سيارته فى طريق السويس الخالى

فنزل هو وهى ، ودفعا السيارة بأيديهما حتى وصلا بها الى حيث وجدا من يساعدهما على دفع السيارة الى أقرب محطة من محطات «البنزين» وهما يضحكان فى صوت عال مرح برغم العرق الذى كان يتصبب من جبينيهما .

وتوالت الذكريات ..

لم يفته شيء من ذلك الماضى المغرم الحبيب ..

وفى اليوم التالى تلقى الفنان الشاب هذه الكلمة ..

« لا تفسر رسالتى بشىء أكثر من أنها تصف ليلة غـريبة قضيتها الى جانبك ، أو على الأقل قريبة منك ، أنت على الشاطىء وأنا فى قارب بعيد من قوارب الصيد التى تطفو أنوارها الواهنة على سطح الماء كعقد تناثرت حباته .. جئت الى الاسكندرية مع أسرتى لقضاء صيف هذا العام بعد أن عاقتنا ظروف فى بضـعة الأعوام الماضية عن المجىء ، وحاولت أن أعـود الى « سـيدى بشر » ، وحدى دون أن أقوى على هذه العودة ، خطر لى أن أحوم حول المكان الذى اعتدنا أن نلتقى فيه . أن نختلس فيه لقاءاتنا .. فخرجت فى قارب صغير الى عرض البحر وأخـذت أنظر الى صخرتنا من بعيد .. لم أجرؤ على الاقتراب منها فى غيبتـك ..

لقد التقينا مصادفة فتعارفنا دون أن يتوسط أحد فى ذلك

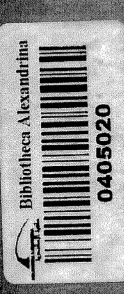
التعارف وافترقنا لسبب تافه •• لست أدرى على وجه التحقيق لم افترقنا ؟ فلنترك مصيرنا فى يد القدر نفسه •• اننى واثقة من أننا سنلتقى يوما ما ، هنا ، أو هناك •• على صخرتنا •• أو فى الطريق •• أى طريق • ، أو فوق ظهر مركب يمخر هذا البحر الحبيب الذى طالما أرهفت أمواجه المتكسرة السمع الى أحاديثنا الخافتة وهى تتظاهر بمداعبة أقدامنا ، واختزنتها •• اختزنت تلك الأحاديث لكى تعيدها على مسمعنا فى اليوم الموعود •• سنتحاب ، سيكون كل منا لصاحبه •• أتسمع ؟ سنتحاب ••

كأننا لسنا الآن متحابين ! »

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٦/٥٤٩٢

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٢٠٥ ٧



١٠٠ قرش